



2260  
.6157

2260.615

Majmū'at al-tawhīd

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

**DUE JUN 15 1960**

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 008472167







# مجموع التوجيه

وتحتوي

على ست عشرة رسالة

على نفقة

صاحب السمو

علي بن عبد الله الثاني

حفظه الله

منشورات المكتب الإسلامي بدمشق





Majmū'at al-tawhīd

# مجموع التوحيد

وتحتوي

على ست عشرة رسالة

على نفقة

صاحب السمو

علي بن عبد الله الثاني

حفظه الله

منشورات المكتب الإسلامي بدمشق

المكتب الإسلامي  
للطباعة والنشر  
دمشق - حلبوني

ص ب : ٨٠٠ - هاتف ١١٦٣٧ - برقياً : (اسلامي)

١٩٦٢ - ١٣٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

إن الكتاب المسمى بـ «مجموعة التوحيد» من الكتب القيمة المفيدة ،  
تضمن جملة سالحة من الكتب والرسائل من مؤلفات أئمة الاسلام ، كشيخ  
الاسلام ابن تيمية ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وغيرها من الأعلام ، رحمهم  
الله تعالى .

وهذه المؤلفات الجليلة متعلقة بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو  
مدلول كلمة الاخلاص : لا إله إلا الله . فان معنى هذه الكلمة الطيبة . الذي دلت  
عليه أنه لا معبود بحق إلا الله ، وهذا هو المسمى بتوحيد العبادة ، وتوحيد  
الالهية ، وهذا التوحيد أنكره المشركون الأولون ، وكذلك المشركون  
الآخرون ، ولم يعترف أكثرهم إلا بتوحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله ،  
وأنه الخالق الرازق المدبر وحده لجميع الامور ، ولكن المشركين الآخريين زاد  
شركهم على شرك الاولين ، حيث نسبوا إلى آلهتهم من الأموات ، والأشجار ،  
والاحجار وغيرها التصرف بالكون ، وطلبوا حصول البركة الحاصلة من تمسحهم  
بالاحجار ، وتملقهم بالأشجار وهذا العمل الباطل زينته لهم الشيطان حتى أبعدهم  
عن الحق الذي خلقوا له ، كما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان

ولانجاة من هذا الكفر والضلال إلابقتفاء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ  
وماقرره علماء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية القايمون بأنواع  
التوحيد الثلاثة: توحيد الالهية، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات .

وكل هذه الأنواع قد تضمنت بحجة التوحيد توضيحها ، وبيان حقيقتها ،  
والرد على مخالفيها ، وبيان ما يناقضها ، والجواب عما احتج به المشركون على شركهم ،  
ودحض ما احتج به الممثلة على مذهبهم الباطل الذي هو إنكار الصفات الإلهية ،  
أو تأويلها بما لا يصبغ عقلاً ولا نقلاً ، حيث إن الحق هو الذي عليه السلف  
الصالح ، من إثباتها لله ، والإيمان بها .

ولما كان هذا المجموع بهذه المثابة ، سميت مهمة صاحب السمو الشيخ علي بن  
الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني ، فأصدر أمره الكريم بطبعه على نفقته وفقاً لوجه  
الله ، وقد سبقه إلى ذلك جده الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ، فنشر آلافاً من هذا  
المجموع ، وعدة كتب من مؤلفات أهل السنة والجماعة ، ثم إنه أعيد طبعه بعد  
ذلك مرتين ، ولكن بعدما حذف جملة من فوائده ، فأراد صاحب السمو الشيخ علي  
ابن عبد الله آل ثاني أن يطبعه كاملاً غير منقوص منه شيء ، فجزاه الله أحسن الجزاء .  
وإن هذا الرجل الفاضل ، له من الحسنات والأعمال الصالحة ما يصعب على  
المتتبع عدده ، ويفوق حصره : من بناء المساجد ، وإنشاء المكتبات وشحنها  
بالألوف من المؤلفات على اختلاف أنواعها ، وطبع الكتب النافعة في الحديث ،  
والفقه ، والتوحيد ، والأدب . وهو الآن يريد أن يطبع أربعة تفاسير من مؤلفات  
علماء الحنابلة .

ولما علم أن الذهبي ، وابن رجب أثنيا على أحد هذه التفاسير اجتهد في  
البحث عنه ، حتى ذكر له أنه في مكاتب برلين في ألمانيا ، فأمر حفظة الله بأخذ  
صورته ، وهو في أربع مجلدات ، وهذا الرجل الفاضل ما يعمل على ما يقوله أكثر  
الناس من مدح الكتب والثناء على مؤلفيها من بحث وتحقيق ، لأنه عالم ناقد بصير ،  
يقرأ الكتاب بنفسه قبل إصدار أمره بطبعه ، وهو شديد التمسك بالسنة ، ولا  
يحوم حول مخالفة شيء منها وفي هذه الأيام - وكان في دمشق - أردنا زيارة قبر  
شيخ الإسلام ابن تيمية في جامعة دمشق ، فقلت لسموه : إنه في مقابر الصوفية ،

فقال : لا حاجة داعية الى هذه الزيارة . فقلت لسموه : إنه لم يبق لمقابر الصوفية هناك عين ولا أثر . وذكرت له أن الحكومة التركية أزالَت تلك القبور ، وأرادت أيضاً إزالة قبر شيخ الاسلام ، وقصدهم بذلك الانتفاع بالارض ، ولكن أهل الشام قاموا بوجه الحكومة ومنعوا من التمرض لقبر شيخ الاسلام ، وذلك بتهدية الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ، كما ذكره تلميذه الشهير محمد كرد علي في ترجمته ، فحينئذ زار قبر شيخ الاسلام ، وبجواره قبر أخيه شرف الدين عبد الله ، وهناك قبر ثالث يقال : إنه قبر ابن كثير ، ثم زار قبر ابن القيم ، وكنت مع سموه في تلك الزيارة ، أدام الله له السعادة والسيادة بمنه تعالى وكرمه .

كتبه

محمد بن عبد العزيز بن مانع

(١)

## فهرس مجمل لمجموعة التوجيه

- الرسالة الاولى :  
أنواع التوحيد الثلاثة  
من صفحة ٣ - ٨٢
- الرسالة الثانية :  
مسائل الجاهلية : للشيخ محمد بن عبد الوهاب  
٨٣ - ٩٨
- الرسالة الثالثة :  
كشف الشبهات : للشيخ محمد بن عبد الوهاب  
٩٩ - ١٢٦
- الرسالة الرابعة :  
الواسطة بين الحق والخلق : للشيخ الاسلام ابن تيمية  
١٢٧ - ١٥٠
- الرسالة الخامسة :  
هدية طيبة : للشيخ محمد بن عبد الوهاب  
١٥١ - ١٥٧
- الرسالة السادسة :  
أوثق عرى الايمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب  
١٥٨ - ١٧٨
- الرسالة السابعة :  
جواب أبي بطين على سؤال أورده الشيخ عبد الرحمن  
ابن حسن بن محمد عبد الوهاب  
١٧٩ - ١٩٤
- الرسالة الثامنة :  
أسباب نجاة السؤل من السيف المسلؤل  
١٩٥ - ٢١٥
- الرسالة التاسعة :  
رسالة في مقادير في الزوال  
٢١٦ - ٢١٨

(١) انظر الفهرس المفصل في آخر الكتاب من صفحة ٩٠٣ - ٩١٦

الرسالة العاشرة :

التوحيد الذي هو حق الله على العبيد : للشيخ

من صفحة ٢١٩-٣٣٠

محمد بن عبد الوهاب

الرسالة الحادية عشرة :

» » ٣٣١-٣٥٤

حكم موالاة أهل الأشرار

الرسالة الثانية عشرة :

بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل

» » ٣٥٥-٤٣٤

الأشراك : جمع حمد بن عتيق

الرسالة الثالثة عشرة :

بيان المحجة في الرد على اللجة : للشيخ عبد الرحمن

» » ٤٣٥-٥٤٢

ابن حسن بن محمد عبد الوهاب

الرسالة الرابعة عشرة :

» » ٥٤٣-٦٤٨

العبودية : للشيخ الإسلام ابن تيمية

الرسالة الخامسة عشرة :

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : للشيخ

» » ٦٤٩-٨٢٨

الإسلام ابن تيمية

الرسالة السادسة عشرة :

الحزب المقبول من أحاديث الرسول : للشيخ

» » ٨٢٩-٩٠٢

محمد بن الفيض الأنصاري

هذا الكتاب

وقف لله تعالى

من صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله الثاني

حفظه الله



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .  
 أمّا بعد : اعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ،  
 ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى : ( وما خلقت الجنّ والانس إلا  
 ليعبدون ) (١) .

والعبادة : هي التوحيد ، لأنّ الخصومة بين الانبياء والامم فيه ،  
 كما قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن عبدوا الله واجتنبوا  
 الطاغوت ) (٢) .

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد  
 الالهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذي أقر به الكفّار على زمن رسول  
 الله ﷺ ، ولم يدخلهم في الاسلام ، وقاتلهم رسول الله ﷺ . واستحل  
 دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بفعله تعالى . والدليل قوله تعالى :

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ (٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦

( 'قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبّر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون )<sup>(١)</sup> ( 'قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون )<sup>(٢)</sup> والآيات على هذا كثيرة جداً ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثاني : وهو توحيد الألوهية ، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه . وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كاللذات ، والنذر ، والنحر ، والرّجاء ، والخوف ، والنوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والإجابة .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )<sup>(٣)</sup> وكل نوع من هذه الأنواع عليها دليل من القرآن .

وأصل العبادة : تجريد الاخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ . قال تعالى : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١

(٣) سورة غافر ، الآية : ٦٠

أحداً) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى: (له دعوة الحق) الى قوله تعالى: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) <sup>(٣)</sup> وقال تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير) <sup>(٤)</sup> والآيات معلومات. وقال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) <sup>(٦)</sup>.

والأصل الثالث: فهو توحيد الذات والأسماء والصفات. وقال تعالى: (قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد) <sup>(٧)</sup> وقال تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه، سيجزون ما كانوا يعملون) <sup>(٨)</sup> وقال تعالى: (ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير) <sup>(٩)</sup>.

ثم اعلم أن ضدَّ التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن

- |                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الجن، الآية: ١٨   | (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ |
| (٣) سورة الرعد، الآية: ١٤  | (٤) سورة الحج، الآية: ٦٢     |
| (٥) سورة الحشر، الآية: ٧   | (٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١ |
| (٧) سورة الاخلاص           | (٨) سورة الاعراف، الآية: ١٨٠ |
| (٩) سورة الشورى، الآية: ١١ |                              |

يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضلّ  
 ضلالاً بعيداً) <sup>(١)</sup> (وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي  
 وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار  
 وما للظالمين من أنصار) <sup>(٢)</sup> .

وهو أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى : (فاذا ركبوا  
 في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البرّ إذا هم  
 يشركون) <sup>(٣)</sup> .

النوع الثاني : شرك النيّة والارادة والقصد ، والدليل قوله  
 تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم  
 فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط  
 ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) <sup>(٤)</sup> .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : (اتخذوا  
 أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا  
 ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) <sup>(٥)</sup> وتفسيرها

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٦ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٧٢

(٣) سورة المنكوت ، الآية : ٦٥ (٤) سورة هود ، الآيتان : ١٥-١٦

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٣١

الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لادعائهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: لسنا نعبدكم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية<sup>(١)</sup>.

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) (٢).

والنوع الثاني<sup>(٣)</sup>: شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فيعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٤).

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفات سوداء في ظلمة الليل».

وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

فالكفر كفران: كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه، أليس في جهنم

(١) رواه الترمذي وحسنه (٢) سورة البقرة، الآية ١٦٥

(٣) يعني من أنواع الشرك الثلاثة (٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠

منوى لا كافرين) (١).

النوع الثاني : كفر الإياء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ) (٢).

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى : ( ودخل جنّته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً ) (٣).

النوع الرابع : كفر الاعراض ، والدليل قوله تعالى : ( الذين كفروا عما أنذروا معرضون ) (٤).

النوع الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : ( ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ) (٥).

وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : ( وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٣٤

(٣) سورة الكهف ، الآيات : ٣٥-٣٨ (٤) سورة الاحقاف ، الآية : ٣

(٥) سورة المنافقون ، الآية : ٣

رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (١) .

وأما النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي .

فأما الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانحفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول .

وأما العملي : فهو خمسة أنواع ، وللدليل قوله ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان » ، « وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر » (٢) .

فهذه الأنواع الخمسة ، وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار (١) نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب ، والله أعلم .

(١) سورة النحل ، الآية : ١١٢

(٢) هذه رواية أخرى للحديث في مسلم وغيره .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

اعلم رحمك الله تعالى : [ أنه من ] الواجب على كل مسلم  
ومسلمة أن يتعلم ثلاث مسائل :

الأولى : أن الله خلقنا ، ولم يخلقنا عبثاً ، ولم يتر كنا هملاً ، بل أرسل  
الينا رسولاً ، وعنده كتاب ، من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو  
في النار ، والدليل قوله تعالى : ( إنا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم  
كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ، فمضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً  
وبيلاً ) (٢) .

المسألة الثانية : أن أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع  
الله في عبادته أحد ، والدليل قوله تعالى : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا

(١) قوله : فهذه الأنواع الخمسة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار  
مراده بالأنواع الخمسة ، أنواع الكفر المخرج من الملة ، كما تقدم بيانها . وأما  
أنواع النفاق العملي ، فليست مرادة هنا بهذا الكلام ، مع أنه قد قيل في  
الكذب على رسول الله عمداً : إنه كفر ، كما ذكره العلماء عن والد إمام الحرمين  
ابن الجويني ، فليحذر الذين يطلقون القول على رسول الله من غير ثبوت ولا  
رواية صحيحة .

(٢) سورة المزمل ، الآيتان : ١٥-١٦



مع الله أحداً) (١).

المسألة الثالثة: أن من وحّد الله وعبد الله لا يجوز له موالاته من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، والدليل قوله تعالى: (لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الایمان وأبّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٢).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والایمان بالله، والدليل قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣).

فأمّا صفة الكفر بالطاغوت، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتركها، وتكفر أهلها وتماديهم.

وأما معنى الإیمان بالله، أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده

(١) سورة الجن، الآية: ١٨ (٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦

دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفىها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ؛ وهذه ملة إبراهيم التي سفه من رغب عنها .

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ) (١) .

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت ، من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ) (٢) .

الثاني : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ، والدليل قوله تعالى : ( لم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ) (٣) .

(٢) سورة يس ، الآية : ٦٠ .

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٠ .

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) (١) .

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى : ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ) (٢) وقال تعالى : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) (٣) .

الخامس : الذي يعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : ( ومن يقل منهم إنه إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وكذلك نجزي الظالمين ) (٤) .

واعلم أن الانسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ) (٥) .

الرشد : دين محمد ﷺ ، والنبي : دين أبي جهل . والعروة الوثقى :

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ (٤) سورة الجن ، الآيتان : ٢٦-٢٧

(٣) سورة الانعام ، الآية : ٥٩ (٤) سورة الانبياء ، الآية : ٢٩

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ وأولها : ( لا اكراه في الدين قد تبين الرشد

من النبي فمن . . . )

شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي متضمنة للذني والآيات ، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهي معرفة ربه ، ودينه ، ونبيه .

الأصل الأول : إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله الذي رباني بنعمته ، وخلقني من عدم إلى وجود ، والدليل قوله تعالى : ( إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )<sup>(١)</sup> .

وإذا قيل لك : بأي شيء عرفت ربك ؟ فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى<sup>(٢)</sup> : ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ، ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون )<sup>(٣)</sup> .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين )<sup>(٤)</sup> .

(٢) الأصل : قوله

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥١

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٣٧

وإذا قيل لك : لا شيء خلقك الله ؟ فقل : خلقتي لعبادته وطاعته  
 واتباع أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : ( وما خلقت  
 الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون .  
 إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين )<sup>(١)</sup> . ودليل الطاعة قوله تعالى :  
 ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن  
 تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول )<sup>(٢)</sup> يعني كتاب الله وسنة نبيه .  
 وإذا قيل لك : أي شيء أمرك الله به وأي شيء نهاك عنه ؟ فقل :  
 أمرني بالوحيد ونهاني عن الشرك . ودليل الأمر قوله تعالى : ( إن الله يأمر  
 بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ،  
 يعظكم لعلكم تذكرون )<sup>(٣)</sup> ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى : ( إن  
 الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )<sup>(٤)</sup> و ( لأنه من  
 يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )<sup>(٥)</sup> .  
 الأصل الثاني : إذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وهو  
 الاستسلام والاذعان والانقياد إلى الله تعالى ، والدليل قوله تعالى :  
 ( إن الدين عند الله الاسلام )<sup>(٦)</sup> ، ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن

(١) سورة الذاريات ، الآيات : ٥٦-٥٨ (٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٠

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٦ وتمامها : ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ (٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٩

يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (١).

وهو مبني على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فأما دليل الشهادة قوله تعالى : ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ) (٢).

وليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) (٣).

ودليل الزكاة قوله تعالى : ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ) (٤).

ودليل الصوم قوله : ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) (٥).

وإذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ) (٦).

وإذا قيل لك : الصيام في الليل أو في النهار ؟ فقل : في النهار ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨

(٣) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٠ (٤) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥

والدليل قوله تعالى: ( وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل )<sup>(١)</sup> .  
 ودليل الحج قوله تعالى : ( والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين )<sup>(٢)</sup> .

وإذا قيل لك: وما الايمان؟ فقل: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير )<sup>(٣)</sup> .

ودليل القدر قوله تعالى : ( إنا كل شيء خلقناه بقدر )<sup>(٤)</sup> .  
 وإذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون )<sup>(٥)</sup> .

وإذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بل يورثني لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير )<sup>(٦)</sup> .

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٧ | (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ |
| (٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ | (٤) سورة القمر ، الآية : ٤٩    |
| (٥) سورة النحل ، الآية : ١٢٨  | (٦) سورة التباين ، الآية : ٧   |

الأصل الثالث : إذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل ، وإسماعيل من إبراهيم ، وإبراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : ( إن مثل غيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )<sup>(١)</sup> .

وإذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح ، وآخرهم ، وأفضلهم محمد ﷺ . والدليل قوله تعالى : ( إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوْحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ )<sup>(٢)</sup> .

وإذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )<sup>(٣)</sup> . وإذا قيل لك : محمد بشر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( قل : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا )<sup>(٤)</sup> .

وإذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ١٦٣

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦ (٤) سورة الكهف ، الآية : ١١٠



باركنا حوله) (١).

وإذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً ، نبي\* ب(قرأ) ، وأرسل ب(المدثر) ، وخرج على الناس فقال : (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) (٢) فكذبوه وآذوه وطردهوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل الله عليه : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأنا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (٣) بلده مكة ، وولد فيها ، وهاجر إلى المدينة وبها توفي ، ودفن جسمه . وبقي علمه ، نبي لا يعبد ، ورسول لا يكذب ؛ بل يطاع ويتبع ، صلوات الله وسلامه عليه .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميّز بهن المسلم دينه من دين المشركين .

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرّين لله بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن الله هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك في الآلام ، والدليل

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ١٥٨

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣

قوله تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ) (١) .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ما أرادوا ممن قصدوا إلا قربة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) (٢) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ( ويمبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون ) (٣) .

القاعدة الثالثة : بعث النبي ﷺ إلى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة ، وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم ، والدليل قوله تعالى : ( وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) (٤) .

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١

(٢) سورة ص ، الآية : ٣

(٣) سورة يونس ، الآية : ١٨

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩

ودليل<sup>(١)</sup> الملائكة قوله تعالى: (ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت وليتنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (٢).

ودليل النبيين قوله تعالى: (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيدياً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (٣).

ودليل الصالحين قوله تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً) (٤).

(١) أي الدليل على عبادة المشركين الملائكة . ويقال كذلك فيما بعده من الأدلة . وعبادتهم إياهم : دعاؤهم والاتجاه إليهم ، لأنهم يستقدون أنهم مخلوقون أو يرزقون أو يدبرون أمراً من الأمور ، فإن ذلك خاص بالله ، ولكن قصدتم التقرب إلى الله بدعائهم ، كما هو ظاهر من نصوص الكتاب والسنة .

(٢) سورة سبأ ، الآيات: ٤٠-٤١ (٣) سورة المائدة ، الآيات: ١١٦-١١٨

(٤) سورة الاسراء، الآيات: ٥٦-٥٧

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى : ( أفرايتم اللات والعزى  
ومناة الثالثة الأخرى )<sup>(١)</sup> .

القاعدة الرابعة : أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا  
يخلصون في الشدة ، ويشر كون في الرخاء .

والدليل قوله تعالى : ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين  
له الدين ، فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشرّكون )<sup>(٢)</sup> .

وأهل زماننا هذا يشرّكون في الشدة ، وفي الرخاء كذلك  
والله أعلم<sup>(٣)</sup> .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

قلت : طاعته بامثال أو امره ، واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ؟ قلت : من  
أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة . وذبح القربان ، والنذر ،

(١) سورة النجم ، الآيتان : ١٩ ، ٢٠ (٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥  
(٣) هذا هو الواقع من عباد القبور الآن ، ويمتقّدون شركهم وجاهلهم  
وضلالهم قربة تقرّهم إلى الله ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن  
مواضعه ، فالشرك الأكبر جعلوه توسلاً وطاعة ، ومع ذلك يضلّون من دان  
الله بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .

وما أحسن ما قال ابن القيم :

هربوا من الرق الذي خلقوا له      فبلوا برق النفس والشيطان  
وقال أيضاً :

وخصومنا قد كفرّونا بالذي      هو غاية التوحيد والايان

والخوف ، و لرجاء ، والتوكل ، والاناة ، والمحبة ، والخشية ، والرغبة ،  
والرهبة ، والثاثة ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلل ،  
والتعظيم الذي هو من خصائص الآهية .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ( وأن المساجد لله . فلا تدعوا مع الله  
أحداً )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ( له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه  
لا يستجيبون لهم بشيء )<sup>(٢)</sup> الى قوله : ( وما دعاء الكافرين إلا في  
ضلال )<sup>(٣)</sup> .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ )<sup>(٤)</sup> .  
ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ( إذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب  
لكم )<sup>(٥)</sup> .

ودليل الذبح قوله تعالى : ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي  
لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )<sup>(٦)</sup> .  
ودليل النذر قوله تعالى : ( يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان  
شره مستطيراً )<sup>(٧)</sup> .

ودليل الخوف قوله تعالى : ( إنما ذالكم الشيطان يخوف

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨ (٢) سورة الرعد ، الآية : ١٤

(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٤ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٩

(٥) سورة الأنعام ، الآيات : ١٦٣ ، ١٦٣ (٦) سورة الدهر ، الآية : ٧

أولياؤه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١).

ودليل الرجاء قوله تعالى: ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) (٢).

ودليل التوكل قوله تعالى: ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ) (٣).

ودليل الإجابة قوله تعالى: ( وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له ) (٤).

ودليل المحبة قوله تعالى: ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ) (٥).

ودليل الخشية قوله تعالى: ( فلا تخشوا الناس واخشون ) (٦).

ودليل الرغبة والرغبة قوله تعالى: ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ) (٧).

ودليل التائبة قوله تعالى: ( وإلهمكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) (٨).

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى: ( يا أيها الذين آمنوا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥ (٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٣٣ (٤) سورة الزمر ، الآية : ٥٤

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٤٤

(٧) سورة الانبياء ، الآية : ٩٠ (٨) سورة البقرة ، الآية : ١٦٣

اركعوا واسجدوا واعبدوا ربَّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون<sup>(١)</sup>.  
 ودليل الخشوع قوله تعالى: ( وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ  
 بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ، لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
 ثَمَنًا قَلِيلًا )<sup>(٢)</sup> الآية ونحوها. فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير  
 الله فقد أشرك بالله غيره .

فان قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمرَ الله به عباده ؟ فقل : توحيد  
 بالعبادة . وقد تقدم بيانه، وأعظم نهي نهي الله عنه الشرك به ، وهو أن  
 يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . فمن صرف  
 شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فقد اتخذهُ ربّاً وإلهاً، وأشرك مع الله  
 غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات  
 ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهي الله عنه ، وأنكره على  
 المشركين .

وقد قال تعالى : ( إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرَ مَا دُونَ  
 ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا )<sup>(٣)</sup> . وقال  
 تعالى : ( وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ  
 مِنْ أَنْصَارٍ )<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٧ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٩

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٦ (٤) سورة المائدة ، الآية : ٧٢

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين .  
 قال الشيخ رحمه الله تعالى : تضمنت ثلاث آيات ثلاث مسائل :  
 الآية الأولى فيها المحبة . إن الله منعم ، والمنعم يحب على قدر إنعامه .  
 والمحبة تنقسم على أربعة أنواع :  
 محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم : ( ومن الناس من يتخذ  
 من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( وما هم بخارجين  
 من النار )<sup>(١)</sup> .  
 المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ، وهذه  
 صفة المنافقين .

المحبة الثالثة طبيعية ، وهي محبة المال والولد ، إذا لم تشغل عن  
 طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهي مباحة .  
 والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ،  
 وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .  
 الآية الثانية : فيها الرجاء .  
 والآية الثالثة : فيها الخوف ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ ) أي أعبدك يارب بما

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٦٥-١٦٧



مضى بهذه الثلاث : بحببتك ، ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها غير الله شرك . وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن ، كمن تعلق بالحبّة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ، أو تعلق بالخوف وحده . فمن صرف واحدة منهنّ لغير الله فقد أشرك . وفيها من الفوائد الردّ على الثلاث الطوائف التي كل طائفة تعلق بواحدة منها ، كمن عبد الله بالحبّة وحدها . وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج . (إياك نعبد وإياك نستعين) فيها توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية . (إياك نعبد) فيها توحيد الألوهية ، و(إياك نستعين) فيها توحيد الربوبية .

اهدنا الصراط المستقيم ، فيها الرد على المبتدعين .  
وأما الآياتان الأخيرتان ففيها<sup>(١)</sup> من الفوائد ذكر أحوال الناس ، قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه ، وضالٌّ .  
ف(المغضوب عليهم) : أهل علم ليس معهم عمل . و(الضالين) : أهل عبادة ليس معها علم وإن [ كان ] سبب النزول في اليهود والنصارى ، فهي لكل من اتصف بذلك .

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من الفوائد التبري من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه . وكذلك فيها

(١) في الأصل : فيها .

معرفة الله على التمام ، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الانسان ربه ، ومعرفة نفسه ، فانه إذا كان رب ، فلا بد من مربوب ، وإذا كان هنا راحم ، فلا بد من مرحوم ، وإذا كان هنا مالك ، فلا بد من مملوك ، وإذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود ، وإذا كان هنا هادي ، فلا بد من مهدي ، وإذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ، وإذا كان هنا مغضوب عليه ، فلا بد من غاضب .

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفي النقائص عن الله عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه  
بمنه وكرمه آمين .

تأمل رحمة الله ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهماً حسناً ،  
لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فان  
أكثر من يدعي الدين ، ويدعي أنه من الموحدين لا يفهم المسئلة  
كما ينبغي .

الأولى : قصة نزول الوحي ، وفيها أن أول ما أرسله الله به : ( يا أيها

المدثر . قم فأندر (١) فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة ، ويمرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة ، ويتقربون بها إلى الله ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلتها عندهم الشرك ، فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) (٢) . وقال تعالى : ( إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ) (٣) .

فأول ما أمر به الأنداز عنه ، قبل الأنداز عن الزنا وغيره ، وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من نبي آدم ، ويقولون : ما يريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالأنداز عنه في أول آية أرسل بها ، فان أحكت هذه المسألة ، فيابشرك ، خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض إلا في ليلة الاسراء سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فاذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٣

(١) سورة المدثر ، الآيتان : ١-٢

(٣) سورة الاعراف ، الآية : ٣

الموضع الثاني : أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ، وبأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسبب دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شتموا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أعلامنا ، وعاب ديننا ، وشمم آلهتنا .

ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين . لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضررون ، جعلوا ذلك شتماً . فاذا عرفت هذه ، عرفت أن الانسان لا يستقيم له إلا مآل ولو وحد الله وترك الشرك ، إلا بعبادة المشركين والتصريح لهم بالعبادة والبغض ، كما قال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ) (١) .

فاذا فهمت هذا فهماً جيداً ، عرفت أن كثيراً من الذين يدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب ، والأسر ، والضرب ، والهجرة إلى الحبشة ، مع أنه ﷺ أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لا رخص لهم ، كيف وقد أنزل الله : ( ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ) (٢) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ١٠ .

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

فاذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك .  
الموضع الثالث : قصة قرأته ﷺ سورة النجم بحضرتهم ، فلما  
بلغ ( أفرأيتم اللآت والعزى ) ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرائق  
العلی وإن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله ﷺ قرأها ،  
ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه : هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أن  
الله هو النافع الضار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا  
عنده ، فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه ، فشاع الخبر أنهم صادقوه (١)  
وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ  
حادوا إلى أشرف ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : إنك قلت ذلك ، خاف من  
الله خوفاً عظيماً ، حتى أنزل الله عليه ( وما أرسلنا من قبلك من رسول  
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ) (٢) الآية ، فمن فهم هذه  
القصة ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ،  
فأبعده ، خصوصاً إن عرف أن قولهم تلك الغرائق (٣) ، الملائكة .

الموضع الرابع : قصة أبي طالب . فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل

(١) أي تابعوا النبي وآمنوا به (٢) سورة الحج ، الآية : ٥٢

(٣) مسألة الغرائق كثر فيها القال والقيل ، فهمم من أنكرها بعقله ، كما في  
« فتح الباري » لابن حجر ، و « فتح القدير » للشوكاني . وحكى في « جمع البيان »  
للصفوي أنها من وضع الزنادقة ، والله أعلم بحقيقة الحال . وقال ناصر الدين الألباني :  
هذه القصة باطلة لا تصح ، وليس لها إسناد تقوم به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل  
لا تصلح للتقوية . وقد فصلت القول في ذلك في رسالة خاصة ، أرجو الله أن ييسر طبعها قريباً .

إقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ،  
ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في  
نصرة رسول الله ﷺ إلى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ،  
لكن [لما] لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصبر مسلماً ، مع أنه  
يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لآبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من  
مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله ﷺ ، فأنزله الله  
عليه ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي  
قربى ) (١) الآية . والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل  
البصرة أو الحساء يحب الدين ويحب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين  
بيد ولا مال ، ولا له من الأعداء مثل ما لآبي طالب ، وفهم الواقع  
من أكثر من يدعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء  
الافهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا  
يعرفه أكثر من قرأها ؛ ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ،  
وهي أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر ، من غير شك في  
الدين ، وفي تزيين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال والوطن ،  
فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، قتل بعضهم

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٣

بالرعي ، والرأي لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة: أن صح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأُنزل الله ( إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( وكان الله عفواً غفوراً )<sup>(٢)</sup> .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة: قتلنا إخواننا أنه لو يبلغ عنه كلاماً في الدين أو كلاماً في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا إخواننا ، فإن الله قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الايمان بقوله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان )<sup>(٣)</sup> .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله فيهم ، فإن الملائكة تقول : ( فيم كنتم؟ )<sup>(١)</sup> ولم يقولوا : كيف تصدبكم؟ ( قالوا كنا مستضعفين في الأرض )<sup>(٢)</sup> لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول الله للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل قاتلت ليقال : جري ، وكذلك يقولون للعالم والمنصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل أجابوهم بقولهم : ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها )<sup>(١)</sup> . ويزيد ذلك إيضاحاً للمعارف والجاهل الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ( إلا المستضعفين من الرجال

(١) سورة النساء ، الآيتان ٩٧-٩٩ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً (١).

فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : ( صم بكم عمي فهم لا يرجعون ) (٢) .

ومن فهم هذا الموضوع والذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري . قال : ليس الايمان بالتجلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال ، وذلك أن الله تعالى يقول : ( إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ) (٣) .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فن صممها ثم بقي في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون العلماء ، وهي قولهم : هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء . وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس (٤) معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا إله إلا الله ، وهم بهذه اللفظة اسلام ، وحرّم الاسلام ما لهم ودمهم مع إقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله (٥) ومع علمهم بانكارهم البعث ، واستهزأهم

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨

(٣) سورة فاطر ، الآية : ١٠ (٤) في الاصل : ليسوا

(٥) أقول قد صدر في هذه الايام كتاب ألفه رجل عالم ، ولكنه سلك مسلكا

في موضع من كتابه فقال مما قال : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولو لم يأت بشيء =



عن أقربه ، واستهزأهم ، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفاً لدين النبي ﷺ ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهيلة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ولزم قولهم أن اليهود أسلموا ، لأنهم يقولونها ، وأيضاً كفر هؤلاء أغاظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا .  
والذي يبين ذلك من قصة الردة أن المرتدين افترقوا في ردتهم ، فمنهم من كذب النبي ﷺ ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان نبياً ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، ولكن أقر بنبوة مسيئة ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة ، لأن مسيئة أقام شهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك . ومن شك في ردتهم فهو كافر ، فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوه ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان ، وشتوا رسول الله ﷺ . ومنهم من أقر بنبوة مسيئة في حال واحدة

== من أركان الاسلام . ولا شك أن هذا مما طغى به القلم وزل به القدم ، فان النبي ﷺ رتب دخول الجنة والنجاة من النار على القيام بأركان الاسلام ، كما في حديث معاذ وغيره ، والانسان يدخل في الاسلام بكلمة التوحيد حكماً ، فان أتى بأركان الاسلام ، صار مسلماً حقيقة يستحق دخول الجنة والنجاة من النار . وتأمل ما ذكره الشيخ هنا ، فهو فصل الخطاب .

ولو ثبت على الاسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدق طليحة في دعواه النبوة . ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء . كل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء . ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة . ومنهم أنواع ، آخرهم الفجأة السلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لا ميرم : أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ولم أكفر . فقال : إن كنت صادقاً فألق السلاح ، فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي ، فاذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الاسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة ؟ إلا أن يقول : لا إله إلا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب الله ، ويقولون هذا دين الخضر ، وديننا دين آباءنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله إذا قالوا : لا إله إلا الله ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الاسلام . قال : أشهد أننا كفار ، يعني هو وجميع البوادي ، وأشهد أن

المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر ، آخره والحمد لله رب العالمين ،  
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض (١) :

الأول : الشرك في عبادة الله قال الله تعالى : (إن الله لا يفر أن يشرك  
به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٢) و (إنه من يشرك بالله فقد حرم  
الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٣) ومنه الذبح لغير  
الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ،  
ويتوكل عليهم ، كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك في كفرهم ، أو صحح  
مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكل من هديه ، أو

(١) من أم ما يجب على المسلم الموحد الحر يص على دينه ، أن يعرف نواقض  
الاسلام ، فإن أكثر الناس يجعلها ولا يعرفها ، فهذا وقوا في الشرك الأكبر  
وم يحسبون أنهم مهتدون .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤٨ (٣) سورة المائدة ، الآية : ٧٢

أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به ، كفر .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، كفر ، والدليل قوله تعالى : ( قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )<sup>(١)</sup> .

السابع : السحر ، ومنه الصرف ، والمطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى : ( وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنا نحن فتنة فلا تكفر )<sup>(٢)</sup> .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ( ومن يتولهم منهم فإنه منكم فإنهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين )<sup>(٣)</sup> .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسمعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر [الخروج] عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل

(١) سورة التوبة ، الآيات : ٦٥-٦٦ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١

قوله تعالى : ( ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون )<sup>(١)</sup> .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاذ والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منهما على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد : فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(٢)</sup> . فهذا كلام وجيز يبين غرابة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة ، وقد خالف فيها من خالف<sup>(٣)</sup> .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والمظالم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

(١) سورة السجدة ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الجن ، الآية : ١٨

(٣) أي لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا في ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير الله ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذي جاء به النبي ﷺ واعتقدوا الباطل وعملوا به .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم إذا اعتنقه أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً أو خائفاً أو طامعاً ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القاب هذه لدرجة ويصدق بها ؟! وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : أنك تعمل معه عمك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى لا إله إلا الله . والإله : هو المألوه . والإله : عمل من الأعمال ، وكونه منفيًا عن غير الله ترك من التروك .  
التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعي لغير الله لا يقبل منه الجزية <sup>(١)</sup> كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغاظ

---

(١) أي لأن الجزية لا تؤخذ إلا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

كفرًا . وكل درجة من هذه الدرجات إذا علمت بها تخلف عنك بمض من كان معك ، والله أعلم .

قوله : عند كل درجة . وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم . بل ملّة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت ، والايمان بالله ، وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم .

قوله تعالى : ( قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يتوفّقكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكوننّ من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فانك إذأ من الظالمين )<sup>(١)</sup> .

فيه ثمان حالات :

وقوله تعالى : ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )<sup>(٢)</sup> .  
الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسجد مع أمه .

(١) سورة يونس ، الآيات : ١٠٤-١٠٦ (٢) سورة الروم ، الآية : ٣٠

الحالة الثانية: أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يفتن بما يريد الله من إجلاله ورهبته، فذكر هذه الحالة بقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) <sup>(١)</sup>.

الحالة الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يفض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت <sup>(٢)</sup> الذين لا يلبغون الغاية في العداوة، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحالة الرابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين. والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحالة الخامسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع، فلا بد من مذهب ينتسب إليه، فأمر أن يكون مذهب الحنيفية، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً، ففي الحنيفية عنه غنية.

الحالة السادسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبياً، أو غير شيء من مقاصده، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا، خصوصاً عند الخوف، أنه لا يدخل في هذا.

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٤ (٢) في الأصل: كثيرة فيها من الطواغيت.



الحالة الثامنة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر !؟ فهو يحب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ؛ بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ؛ بل ما أعز من لا يظنه جنوناً ، والله أعلم .

## باب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

## باب

أركان الصلاة أربعة عشر ركناً :

القيام مع القدرة ، وتكبير الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدين ، والطمأنينة في الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليم الأولى<sup>(١)</sup> ، وترتيب الأركان .

(١) أي والثانية سنة أو واجبة ، والصحيح أن التسليمتين ركن من أركان الصلاة .

## باب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكلام العمد ، والضحك ، والأكل ، والشرب ، وكشف العورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبث الكثير ، وحدوث النجاسة .

## باب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثاني : قول سمع الله لمن حمده لامام ومنفرد . الثالث : قول ربنا ولك الحمد الرابع : تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لي بين السجدين ، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول ، لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، ومجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

## باب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب ، والموااة .

## باب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور، وكون الرجل مسلماً مميزاً<sup>(١)</sup>، وعدم المانع، ووصول الماء إلى البشرة، ودخول الوقت في دائم الحدث.

## باب

نواقض الوضوء ثمانية :

الخارج من السبيلين، والخارج الفاحش من البدن، وزوال العقل بنوم أو غيره، ولمس المرأة بشهوة، ومس الفرجين لآدمي، وغسل الميت، وأكل لحم الجزور، والردة عن الاسلام أعاذنا الله منها. والله أعلم.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله رحمه الله تعالى : أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :  
الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاته فيه ، وتكفير من تركه .

قلت : وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى :  
( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله

(١) في الأصل : وكون الرجل أن يكون مسلماً مميزاً .

ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بمضنا بعضاً أرباباً من دون الله) (١) الآية  
أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي  
دعى إليه العرب وغيرهم. والكلمة: هي لا إله إلا الله، ففسرها بقوله:  
أن لا نعبد إلا الله.

فقوله: أن لا نعبد. فيه معنى لا إله، وهو نفي العبادة عما  
سوى الله.

قوله: إلا الله، هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فأمره تعالى  
أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده، ونفيها عن سواه. ومثل هذه  
الآية كثير بين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصح منها شيء لغير  
الله، كما قال تعالى: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) (٢) معنى:  
(قضى): أمر ووصى، قولان، ومعناها واحد.

وقوله: (ألا تعبدوا) فيه معنى لا إله.

وقوله: (إلا إياه) فيه معنى إلا الله، وهذا هو توحيد العبادة،  
وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم: (أن اعبدوا الله ما لكم من إله  
غيره) (٣) فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه ومن  
فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: (إذ قال لأبيه وقومه

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٢٣

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٨

إني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني (١) فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : ( وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ) (٢) فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ) (٣) والذين معهم من الرسل ، كما ذكره ابن جرير . وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا (٤) رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموااة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له ، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فأنهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد . وقد قال تعالى في حق من أشرك : ( وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ) (٥) فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة . وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرء موحداً إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦ ، ٢٧ (٢) سورة مريم ، الآية : ٤٨

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٤) يعني به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٨

ثم قال رحمه الله تعالى :

الثاني : الإِذْيار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعادة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( واذكر أبا عاد إذا نذر قومهم بالأحقاد وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله )<sup>(٣)</sup> .

قوله في عبادة الله :

العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله : والتغليظ في ذلك .

وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ( ففروا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين )<sup>(٤)</sup> ( ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنني لكم منه نذير مبين )<sup>(٥)</sup> ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور في السيرة مفصلاً ،

(١) سورة النحل ، الآية : ٣٦ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٥

(٣) سورة الاحقاف ، الآية : ٢١ (٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠

(٥) سورة الذاريات ، الآية : ٥١

فانه بادأهم بسبب دينهم ، وهيب آلهم .

قوله رحمه الله تعالى : والمعافاة فيه ، كما قال تعالى : ( اقتلوا  
المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل  
مرصد )<sup>(١)</sup> والآيات في هذا كثيرة جداً ، كقوله : ( وقتلواهم حتى  
لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله )<sup>(٢)</sup> . والفتنة : الشرك . ووسم تعالى  
أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ، فلا بد من تكفيرهم أيضاً .  
هذا هو مقتضى لا إله إلا الله كلمة الاخلاص ، فلا يتم معناها  
إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته ، كما في الحديث الصحيح :  
« من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه  
وحسابه على الله » .

فقوله : وكفر بما يعبدون من دون الله ، تأكيدي للنفي فلا  
يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك ، فلو شك أو تردد ، لم يعصم دمه  
وماله ، فهذه الأمور هي تمام التوحيد ، لأن لا إله إلا الله قيّدت في  
الأحاديث بقيود تقال ، بالعلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ،  
وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ،  
وقبوله ، ومحبته ، والمعادة فيه ، والموالاته ، فبمجموع ما ذكره شيخنا  
رحمه الله يحصل ذلك .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦ (٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩

ثم قال رحمه الله تعالى : والمخالف في ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع ، فقبل الشرك واعتقده ديناً ، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً ، كما هو حال الأكثر .

وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور . وحجتهم : إنا وجدنا آباءنا ، كذلك يفعلون .

وهذا النوع من الناس والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه ، وهو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قضى الله تعالى عنهم في كتابه .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله .

قلت : ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا



النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك ، وما تقتضيه من تكفير من فعله به -د البيان إجماعاً ، وهو مضمون سورة ( الاخلاص ) ، و ( قل يا أيها الكافرون ) .

وقوله في آية الممتحنة : ( كفرنا بكم ) ومن لم يكفر من كفره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه .  
ثم قال رحمه الله : ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه .  
فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده ، كما قال تعالى : ( ورضيت لكم الاسلام ديناً )<sup>(١)</sup> فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه ، ولا بد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد .  
قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى : الاخلاص محبة الله ، وإرادة وجهه . فمن أحب الله أحب دينه . وما لا فلا . وبالمحبة<sup>(٢)</sup> يترتب عليها كلمة الاخلاص من شروط التوحيد .

ثم قال رحمه الله تعالى : ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه . قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفقه لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه ، فهذا ليس من

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣

(٢) كذا الاصل والظاهر أن فيه

سقطاً ، ولعل الصواب : والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص التي هي ...

( توحيد - ٤ )

الاسلام في شيء أصلاً، ولم يعصم دمه ولا ماله، كما دل عليه الحديث المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره، فلم ينقه، ولا يكون موحداً إلا من نفي الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفرهم. وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لا إله إلا الله ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها، فليس من الاسلام في شيء، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم، ويقين، وصدق، وإخلاص، ومحبة، وقبول، واثقياد. وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء. وإن قال: لا إله إلا الله، فهو لا يعرف ما دلت عليه وما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره. فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) (١).

وقوله رحمه الله: ومنهم - وهو أشد الأنواع خطراً - من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه، ولم يكفرهم. فقوله رحمه الله: وهو أشد الأنواع خطراً، لأنه لم يعرف قدر

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤

ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيد من القيود الثقال التي لا بد منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضي نفي الشرك ، والبراءة منه ، ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يفتر بحاله ، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الاخلاص نفياً وإثباتاً .

وكذلك قوله رحمه الله : ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره ، وهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل : (إني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني) (١) .

وقوله : (إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) (٢) .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاة ، والبراءة من العابد والمعبود ، وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم . وهذان النوعان هو (٣) الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الاسلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاثبات بكلمة الاخلاص ، وما اقتضته ، على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟ !

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٧ (٢) سورة المنتحنة ، الآية : ٤٠ .

(٣) في الاصل : هي .

فإذا عرفت أن الله كفر أهل الشرك ، ووصفهم به في الآيات المحكمات ، كقوله: ( ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر )<sup>(١)</sup> وكذلك السنة .

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقرباً إلى الله ، وطلباً للجزاء من الله لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ، ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحررون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به ، معظومون لاغراضهم .

قلت : ما ذكره شيخ الاسلام يشبه حال هذين النوعين الآخرين . بقي مسألة حديث<sup>(٢)</sup> تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعين ابتداءً<sup>(٣)</sup> لسبب ذكره رحمه الله - أوجب له التوقف

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٧ (٢) اكذ الاصل

(٣) أي قبل إقامة الحجّة الشرعية التي يكفر جاحدها ، ولكن لا يقال لمن يعمل الكفر : إنه مسلم وهو يعبد غير الله ، بل يقال : كل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، كاللذات ، والذبيح ، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، فهو كافر . ولكن الشخص المعين لا يكفر ابتداءً قبل تعريفه بيطان عمله .

في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه .

قال رحمه الله تعالى : ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ، ولا الصالحين ، ولا غيرهم ، بلفظ الاستغانة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ، ولا إلى ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله ﷺ . ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه . انتهى .

قلت : فذكر رحمه الله ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة ، إلا بعد البيان والأصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ، ولأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة ، فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في ابتداء دعوته ، فانه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد ، تمريناً لهم على نفي الشرك ، بلبين الكلام ، نظر إلى المصلحة وعدم النفرة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن رفع الله درجاته بمضاعفة حسناته مجيباً عن إيراد أورده جهمي ضال على بعض الاخوان :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين ،  
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد وردت علينا أسئلة من 'عمان ، صدرت من جهمي  
ضال' ، يستعجز بها بعض المسلمين .

فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، ومالا فائدة فيه  
لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه .

فما ينبغي أن نجيب عنه قوله : إن الاسم مشتق من السمو ، أو  
من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم ، لكن  
يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق الذي  
يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين . وإن كانا  
مذكورين في كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته في «فتح المجيد لشرح  
كتاب التوحيد» .

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالقدر : أصل من  
أصول الإيمان ، كما في سؤال جبريل ، وما أجابه رسول الله ﷺ  
حين سأله قال : «الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ،  
واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره» .

وفي الحديث الصحيح : « إن أول ما خلق الله القلم <sup>(١)</sup> . فقال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » <sup>(٢)</sup> أي جرى بما يكون مما يعلمه الله تعالى ، فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .  
وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر ، كقوله :  
(فقضاهن سبع سماوات في يومين) <sup>(٣)</sup> .

وقوله . ( فلما قضينا عليه الموت ما دلَّهم على موته إلا دابة الأرض ) <sup>(٤)</sup> .

ويطلق ويراد به <sup>(٥)</sup> الإخبار بما سيقع مما قدر كقوله : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) <sup>(٦)</sup> أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين .

(١) أي بعد خلق العرش كما قال ابن القيم في النونية :

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الرحمن

هل كان قبل العرش أو هو بعده؟

والحق أن العرش قبل ، لأنه

وكتابة القلم الشريف تمقتب

(٢) صحيح ، رواه أحمد وغيره . وقد خرجته في تخریج أحاديث شرح القصيدة

(٣) سورة غافر ، الآية : ١٢

(الطحاوية رقم ١٤٢)

(٤) في الاصل : بها .

(٤) سورة سبأ ، الآية : ١٤

(٦) سورة الاسراء ، الآية : ٤

ويطلق ويراد به الأمر، والوصية، كما قال: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) <sup>(١)</sup> أي أمر ووصى.

ويطلق ويراد به الحكم، كقوله: (وقضى بينهم بالحق) <sup>(٢)</sup>.  
ويطلق ويراد به القدر، ونحو ذلك.

وأما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستوياً على غيره.

فالجواب أن نقول: قد أجمع أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لا يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فهو جهمي ضالٌّ مضلٌّ، يقول على الله بلا علم. وقد ذكر سبحانه استوائه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه: في سورة (الأعراف)، وفي سورة (يونس) وفي سورة (الرعد)، وفي سورة (طه)، وفي سورة (الفرقان)، وفي سورة (السجدة)، وفي سورة (الحديد) ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش، ولا ذكره رسوله ﷺ فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها. فمن أدخل في صفات الله ما لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله،

(١) سورة الاسراء، الآية: ٢٣ (٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩



فهو جهمي يقول على الله ما لا يعلم . وقد قال الله تعالى : ( تخرج الملائكة والروح إليه )<sup>(١)</sup> ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه )<sup>(٢)</sup> ( يخافون ربهم من فوقهم )<sup>(٣)</sup> ( إني متوفيك ورافعك إليَّ )<sup>(٤)</sup> ( بل رفعه الله إليه )<sup>(٥)</sup> ( وهو العلي العظيم )<sup>(٦)</sup> ( وهو العلي الكبير )<sup>(٧)</sup> علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات ، لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكمالته تعالى في أوصافه ، فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ . وقال تعالى : ( رفيع الدرجات ذو العرش )<sup>(٨)</sup> فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكتوبه تعالى : ( تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم )<sup>(٩)</sup> الآية .

وذكر النبي ﷺ في معنى قوله تعالى : ( هو الأول والآخر والظاهر والباطن )<sup>(١٠)</sup> الآية « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء » ،

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة المارج ، الآية : ٤   | (٢) سورة فاطر الآية : ١٠       |
| (٣) سورة النحل ، الآية : ٥٠   | (٤) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥ |
| (٥) سورة النساء ، الآية : ١٥٨ | (٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥  |
| (٧) سورة سبأ ، الآية : ٢٣     | (٨) سورة غافر ، الآية : ١٥     |
| (٩) سورة الشورى ، الآية : ٥   | (١٠) سورة الحديد ، الآية : ٣   |

وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت  
الباطن فليس دونك شيء .»

فقوله : « فليس فوقك شيء » نص في أنه تعالى فوق جميع  
المخلوقات ، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم  
في معنى قوله : ( الرحمن على العرش استوى ) <sup>(١)</sup> إن معنى استوى  
استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا إلا جهمي  
زنديق ، يحكم على الله وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى  
يؤفكون .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً . وقد  
صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كباراً ، ومن ذلك  
كتاب « السنة » لعبد الله ابن الإمام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة  
والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » للإمام الأئمة محمد بن خزيمة ،  
وكتاب « السنة » للإمام صاحب الإمام أحمد ، وكتاب عثمان بن  
سعيد الدارمي في رده على المريسي ، وكتاب « السنة » للخلال ، وكتاب  
« العلو » للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، والله الحمد والمنة .

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك ما في

(١) سورة طه ، الآية : ٥

وذكر ابن القيم في النونية أربعة معان لكلمة استوى هذه المذكورة وزاد صمد .

«الصحيح» عن الزوام بن سمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخرُّوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مرَّ على سماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قاله جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل.

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق السموات السبع، فيمر بها كلها نازلاً إلى حيث أمره الله، وهذا صريح بأن الله تعالى فوق السموات على عرشه، بأن من خلقه، كما قال عبد الله بن المبارك لما قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه، بأن من خلقه. وهذا قول أئمة الإسلام قاطبة، خلافاً للجهمية الحلولية، والفلاسفة، وأهل الوحدة، وغيرهم من أهل البدع.

فرحم الله أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي» فهو عنده فوق العرش. وفي

حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي رواه أبو داود ،  
 والترمذي ، وابن ماجه ، أن النبي ﷺ ذكر سبع سماوات وما بينها<sup>(١)</sup> ،  
 ثم قال : «فوق ذلك بحر ، بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء إلى سماء ،  
 ثم فوق ذلك ثمانية أو عال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين  
 سماء إلى سماء ، ثم فوق ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين  
 سماء إلى سماء ، والله تعالى فوق ذلك»<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي شيخ  
 الامام أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن ذر ، عن عبد الله بن  
 مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى  
 سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين  
 الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله تعالى فوق  
 العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا في التكذيب ،  
 فصاروا بذلك كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة ، وهذا القدر الذي  
 ذكرنا كافٍ في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو الله تعالى على  
 جميع المخلوقات ، واستوائه على عرشه . وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب  
 والسنة على ذلك ، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتل مجلداً .

(١) في الاصل : بينها .

(٢) ضعيف ، علته عبد الله بن عميرة . قال الذهبي : فيه جهالة .

فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله ،  
 وبنقل العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبيا بني إسرائيل ، وهدانا إلى  
 ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة ،  
 فيألفها من نعمة ما أجلها في حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ورضي  
 به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمة ، المثنين بها عليه ، فله الحمد لا  
 نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به إليهم من صفات  
 كماله اللاتقنة بجلال الله ، فأثبتوا له تعالى ما أثبتته لنفسه ، وأثبتته له رسوله ،  
 إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ،  
 وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه ،  
 فعبدوا رباً واحداً صمداً ، إلهاً واحداً ، وهو الله الذي الإلهية وصفه ،  
 فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له في إلهيته ، ولا في ربوبيته ،  
 ولا في ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : ( قل أعوذ برب الناس .

ملك الناس . إله الناس )<sup>(١)</sup> ، ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه  
 عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق  
 بجلاله وعظمته . فمطّلوه من صفات الكمال ، وصاروا إنما يعبدون  
 عدماً ، لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ،

فشبهوه بالنافسات تارة، وبالمعدوم تارة، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم ، كقوله : ( وهو معكم أينما كنتم )<sup>(١)</sup> وقوله : ( ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم )<sup>(٢)</sup> فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، وإحاطة علمه بخلقته ، والسياق يدل على ذلك .

أما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى : ( هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها )<sup>(١)</sup> ، ذكر استواءه على عرشه ، وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسماوات ثم قال : ( وهو معكم أينما كنتم )<sup>(٢)</sup> أي : بعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختمها تعالى به فقال : ( ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم )<sup>(٢)</sup> إلى قوله : ( إن الله بكل شيء عليم )<sup>(٣)</sup> .

فعلم أن المراد علمه بخلقته ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ،

(١) سورة الحديد ، الآية : ٤ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٧

كما قال تعالى: ( الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن ينزل  
الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط  
بكل شيء علماً ) (١) .

وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون من الصحابة  
والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع ، فعرموا معرفة الحق لانحرافهم  
عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله  
تعالى : ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان . ومن المعلوم  
أنه لا يقبل الحق إلا من طلبه .

وأما أهل البدع ، فأشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع  
والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله إلا أن يتم  
نوره ولو كره الكافرون .

فاذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن  
أمور لا يسع مسامحة (٢) أن يجهلها ، لأن الاسلام يتوقف على معرفتها .

فن ذلك : مامعنى كلمة الاخلاص لا إله إلا الله ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟

ومامعنى الآلهية التي ثبتت لله وحده دون ما سواه ؟

(١) سورة الطلاق ، الآية : ١٢ (٢) في الاصل : مسلم .

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه؟ وما معنى الاخلاص الذي أمر  
الله به عباده، وأخبرهم أنه له وحده؟  
وما تعريف العبادة التي خلقوا لها؟  
وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله؟  
وما معنى اسم الله تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره؟  
وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه؟  
فالجواب عن هذا مطلوب، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا  
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ وصلى الله على محمد سيد المرسلين  
وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم  
الدين وسلم تسليماً كثيراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه ست مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سائر  
المسلمين آمين.

المسألة الأولى: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية  
لأجل التجارة أم لا؟

الجواب: الحمد لله، إن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين،



جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم ، كأبي بكر وغيره من الصحابة إلى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره . وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك ، لم يجز وأيضاً فقد يجزه ذلك إلى موافقتهم أو إرضائهم ، كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين ، نعوذ بالله من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلد لا (توحيد - ٥)

يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم موالاته المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها .

المسألة الرابعة : في معنى قوله تبارك وتعالى : ( إنكم إذا مثلهم )<sup>(١)</sup>

وقوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فإنه مثله » .

الجواب : إن معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعلة ، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوا كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » على ظاهره ، وهو أن الذي يدعي الاسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم ،

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠

بحيث يعده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وإن ادعى الاسلام ، إلا إن كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين .

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا في مكة بعد ما هاجر النبي ﷺ ، فادعوا الاسلام ، إلا أنهم أقاموا في مكة ، بعدم المشركون منهم ، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا ، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأُنزل الله تعالى فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) <sup>(١)</sup> الآية .

قال السدي وغيره من المفسرين : إنهم كانوا كهاراً ، ولم يعذر الله منهم إلا المستضعفين .

المسألة الخامسة : هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الاسلام : إنه منافق ، أم لا ؟

الجواب : إنه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند التحريب على المؤمنين ، وخذلانهم عند اجتماع العدو ، كالذين قالوا : لو نعلم قتالاً لا تبغناكم ، وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم ، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم ، ومدحه للمشركين بعض الأحيان ، ومواليتهم من دون المؤمنين ، وأشباه هذه العلامات

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧

التي ذكر الله أنها علامات للنفاق، وصفات للمنافقين، فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك كثيراً، كما قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقاً، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح: كذبت، ولكنك منافق. وكذلك قال عمر في قصة حاطب: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. وفي رواية: دعني أضرب عنقه فإنه منافق، وأشبه ذلك كثير. وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عباد لما قال ذلك الكلام: كذبت ولكنك منافق: تجادل عن المنافقين.

ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً، وبين كونه منافقاً باطناً، فإذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الإنسان مخطئاً لا علم عنده، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقاً. فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه، كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً، مع أنه ليس بمنافق، ومن سكت لم ينكر عليه، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين، فإنه لا يكون إلا منافقاً.

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية،

أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنيا ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين . فيحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صحح في ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله<sup>(١)</sup> ، وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق ، كالعلامات التي ذكرنا وأشباهاها ، بخلاف مثل الكذبة والفجرة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيته إعلاء كلمة الله ونصر دينه .

المسألة السادسة : في الموالاته والمعاداة ، هل هي من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ؟  
الجواب أن يقال : الله أعلم ، لكن بحسب<sup>(٢)</sup> المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا معرفة أن الله فرض ذلك ، وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، فمن

(١) المعروف في «الصحيحين» وغيرهما أن ذلك كفر ، وفي «مسلم» مرفوعاً «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر» . (٢) الاصل (أحسب) .

عرف أن ذلك من معناها ، أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير .  
ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما إذا كان الجدال والمنازعة فيه  
مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا  
بواجبات الايمان وجاهدوا في الله وعادوا المشركين وآلوا المسلمين ،  
فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لي . على أن الاختلاف قريب  
من جهة المعنى ، والله تعالى أعلم ، والله الحمد والمنّة ، وصلى الله على محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوْلَاكَ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتَ ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا  
أَعْطِيَ شُكْرًا ، وَإِذَا ابْتَلِيَ صَبْرًا ، وَإِذَا أَذِنَ اسْتَغْفَرَ ، فَان هَذِهِ الثَّلَاثُ  
عَنْوَانُ السَّعَادَةِ .

أَعْلَمُ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ  
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :  
( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) (١) .

(١) سورة الزاريات ، الآية : ٥٦

فاذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحديث إذا دخل في الطهارة ، كما قال تعالى : ( ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حطبت أعمالهم وفي النار هم خالدون ) (١) .

فاذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأجبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه :

الأولى أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين أن الله هو الخالق ، الرازق المحيي ، المميت ، النافع ، الضار ، الذي يدبر جميع الأمور ، وما أدخلهم ذلك في الاسلام . والدليل قوله تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ) (٢) .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجهنا إليهم ودعوناهم إلا

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣١

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٧

لطلب القربة والشفاعة ، نريد من الله لا منهم ، لكن بشفاعتهم والتقرب إليهم .

ودليل القربة قوله تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون . إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ) (١) .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض . سبحانه وتعالى عما يشركون ) (٢) .

القاعدة الثالثة : أن النبي ﷺ ظهر على ناس متفرقين في عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الصالحين ، ومنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، وقالهم صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بينهم . والدليل قوله تعالى : ( وقالوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) (٣) .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣ (٢) سورة يونس ، الآية : ١٨

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩



خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون) (١).

ودليل الصالحين قوله تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ) (٢).

ودليل الملائكة قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليستنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فالיום لا يملك بكم بعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ) (٣).

ودليل الأنبياء قوله تعالى : ( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٧ (٢) سورة الاسراء ، الآيات : ٥٦-٥٧

(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٤٠-٤٢

شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم (١) .

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي قال :  
 خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ،  
 وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها :  
 ذات أنواط ، فررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط  
 كما لهم ذات أنواط . فقال : « الله أكبر ، إنها السنن قلتم - والذي نفسي  
 بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال :  
 إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرّ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .  
 قال أغير الله أبنيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ) (٢) .

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين ،  
 لأن الأولين يخلصون لله في الشدة ، ويشركون في الرخاء ، ومشركي  
 زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة .

والدليل قوله تعالى : ( فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين  
 له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم

(١) سورة المائدة ، الآيات : ١١٦-١١٨

(٢) سورة الأعراف ، الآيات : ١٣٨-١٤٠

وليتمتعوا فسوف يعلمون) (١) .

تمت والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي الله . فإذا قيل لك : أي شيء  
معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فإذا قيل لك : أي شيء  
أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السماوات والأرض . فإذا قيل لك :  
أي شيء تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . وإذا قيل لك : أي  
شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ( إن ربكم الله الذي خلق  
السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل  
النهار يطلبه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له  
الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) (٢) .

فإذا قيل لك : أي شيء معنى الله ؟ فقل : معناه ذو الألوهية  
والعبودية على خلقه أجمعين فإذا قيل لك : لأي شيء الله خلقك ؟ فقل :  
لعبادته . فإذا قيل لك : أي شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته .

(١) سورة المنكبوت ، الآيات : ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤

فاذا قيل لك : أي شيء يدل<sup>(١)</sup> على ذلك؟ فقل : قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)<sup>(٢)</sup> . وإذا قيل لك : أي شيء أول ما فرض الله عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وإيمان بالله .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم )<sup>(٣)</sup> .

فاذا قيل لك : أي شيء العروة الوثقى ؟ فقل : لا إله إلا الله ، ومعنى لا إله إلا الله : لا إله ، نفي . إلا الله ؛ إثبات .

فاذا قيل لك : أي شيء أنت نافي ، وأي شيء أنت مثبت ؟ فقل : نافي جميع ما كان يعبد من دون الله ، ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له .

فاذا قيل لك : أي شيء الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني )<sup>(٤)</sup> .

فاذا قيل لك : أي شيء النفي ؟ وأي شيء الاثبات ؟ فقل : دليل النفي : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون )<sup>(٥)</sup> هذا النفي ، ودليل الاثبات : ( إلا الذي فطرني )<sup>(٦)</sup> .

(١) في الأصل : دليل . (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ (٤) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦ و ٢٧

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٢٦ (٦) سورة الزخرف ، الآية : ٢٧

فاذا قيل لك : أي شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب<sup>(١)</sup> ، مثل الخلق ، والرزق ، والاحياء ، والاماتة ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وتدير الأمور . وتوحيد الالهية ، فملك العبد مثل الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والابانة ، والرغبة ، والرغبة ، والرغبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أي شيء دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وأصله وقاعدته أمران : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له . والتحرير على ذلك ، والموالاتة فيه ، وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك في عبادة الله تعالى ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو مبني على خمسة أركان :

أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة . ودليل الشهادة قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)<sup>(٢)</sup> .

ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : ( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين )<sup>(٣)</sup> .

(١) لعل الاولى أن يقال : توحيد الربوبية : اعتقاد تفرد الرب بالفعل ، وتوحيد الالهية : أفراد العبد ربه في العبادة .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ (٣) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٠

والدليل على إخلاص العبادة والصلاة؛ والزكاة قوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)<sup>(١)</sup>.

ودليل الصوم قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)<sup>(٢)</sup>.

ودليل الحج قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين)<sup>(٣)</sup>.

وأصول الايمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

والاحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فاذا قيل: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بلده مكة، وهاجر إلى المدينة. وعمره ثلاث وستون سنة، منها أربعون ما نبي فيها وثلاث وعشرون نبي رسول<sup>(٤)</sup>، نبي<sup>(٤)</sup> ب(إقرأ)، وأرسل ب(المدثر).

(١) سورة البينة، الآية: ٥ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٧ (٤) كذا الاصل.

فاذا قيل : هو مات، أم لم يميت<sup>(١)</sup>؛ فقل: مات، ودينه لا يموت<sup>(٢)</sup>  
إلى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : ( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِهِمْ مَيِّتُونَ  
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ )<sup>(٣)</sup> .

والناس إذا ماتوا يبعثون؛ فقل : نعم . والدليل قوله تعالى :  
( منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى )<sup>(٤)</sup> . والذي  
ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : ( زعم الذين كفروا أن لن  
يبغثوا قل بل يبي وربي لتعبين<sup>٥</sup> ثم لننبؤن<sup>٦</sup> بما عملتم وذلك على الله  
يسير )<sup>(٥)</sup> .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

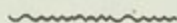


(١) في الاصل : أو مات .  
(٢) في الاصل : مات .  
(٣) سورة الزمر ، الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .  
(٤) سورة طه ، الآية : ٥٥ .  
(٥) سورة التباين ، الآية : ٧ .

## استدرارك

وقع في صفحة (٣١) رقم الحاشية (٣) نقص في العبارة ، والعبارة بتامها :  
 مسألة الغرائيق كثير فيها القال والقييل ، فمنهم من أنكرها بمقله ، ومنهم  
 من صحت عنده الرواية فصدق بها . ومنهم من سلك مسلكاً جمع فيه بين الرواية  
 والدرابة ، كما في « فتح الباري » لابن حجر ، و« فتح القدير » للشوكاني .  
 وحكى في « مجمع البيان » للصفوي أنها من وضع الزنادقة ، والله أعلم بحقيقة الحال .  
 وقال ناصر الدين الألباني : هذه القصة باطلة لا تصح ، وليس لها إسناد تقوم  
 به الحجة ، وعامة طرقها مراسيل لا تصلح للتقوية . وقد فصلت القول في ذلك في  
 رسالة خاصة ، أرجو الله أن يبسر طبعها قريباً .

ووقع سهواً تعليق رقم (١) في صفحة (١٠) وهو تعليق للصفحة (٩) رقم (٣)  
 عند قول المؤلف : فهذه الأنواع الخمسة ، فاقتضى التنويه .





## هذه مسائل الجاهلية تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رحمه الله : هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأمة ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدّها خطراً ، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة ؛ كما قال تعالى : (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله ، أولئك هم الخاسرون) (١).

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بأشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند الله ؛ كما قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) (٢)؛

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٥٢ (٢) سورة يونس الآية : ١٨

وقال تعالى : ( والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) (١) .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) (٢) .

الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ( كل حزب بما لديهم فرحون ) (٣) ، وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) (٤) وقال تعالى : ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ) (٥) .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩

(٣) سورة الروم ، الآية : ٣٢

(٤) سورة الشورى ، الآية : ١٣

(٥) سورة الانعام ، الآية : ١٥٩

ونهانا عن مشابهم بقوله : ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا  
واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات )<sup>(١)</sup>.

ونهانا عن النفرق في الدين بقوله : ( واعتصموا بحبل الله جميعاً  
ولا تفرقوا )<sup>(٢)</sup>.

الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر [عندهم] وعدم الانقياد له فضيلة ،  
والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله ﷺ ، وأمر  
بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ  
في ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر<sup>(٣)</sup> عنه في « الصحيحين »  
أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : ألا تعبدوا إلا الله ، ولا تشركوا  
به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من  
ولاه الله أمركم » . ولم يقع خلل في دين الناس ودينامهم إلا بسبب  
الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة  
الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ( وكذلك ما أرسلنا  
من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣

(٣) لو قال (ورد) كان أولى ، فان صيغة (ذكر) للتصنيف في اصطلاح أهل العلم .

وإنا على آثارهم مقتدون) (١) وقال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) (٢) فأتاهم بقوله: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) (٣) الآية، وقوله: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) (٤).

الخامسة: أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالآثار، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغيرته، وقلة أهله، فأتاهم (٥) بضد ذلك، وأوضحه في غير موضع من القرآن.

السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين، كقوله (فما بالقرون الأولى) (٦) (ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين) (٧).

السابعة: الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال، وفي الملك والمال والجاه، فرد الله ذلك بقوله: (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) (٨) الآية. وقوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) (٩). وقوله: (يعرفونه

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٣. (٢) سورة لقمان، الآية: ٢١.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٦. (٤) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٥) في الأصل (فأتتهم). (٦) سورة طه، الآية: ٥١.

(٧) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤. (٨) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

كما يعرفون أبناءهم) <sup>(١)</sup> الآية .

الثامنة : الاستدلال على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ،  
كقوله : ( أنؤمن لك واتبك الأذلون ) <sup>(٢)</sup> . وقوله : ( أهؤلاء  
من الله عليهم من بيننا ) <sup>(٣)</sup> ، فرده الله بقوله : ( أليس الله بأعلم بالشاكرين ) <sup>(٣)</sup> .  
التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ( يا أيها الذين  
آمنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل  
ويصدون عن سبيل الله ) <sup>(٤)</sup> . وبقوله : ( لا تغلوا في دينكم غير الحق  
ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء  
السبيل ) <sup>(٥)</sup> .

العاشر : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم  
حفظهم ، كقوله : ( بادي الرأي ) <sup>(٦)</sup> .  
الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ( إن أنتم  
إلا بشر مثلنا ) <sup>(٧)</sup> .

الثانية عشرة : ابتكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله ،  
عدم فهم الجامع والفارق .

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ | (٢) سورة الشعراء ، الآية : ١١١ |
| (٣) سورة الانعام ، الآية : ٥٣ | (٤) سورة التوبة ، الآية : ٣٤   |
| (٥) سورة المائدة ، الآية : ٧٧ | (٦) سورة هود ، الآية : ٢٧      |
| (٧) سورة ابراهيم ، الآية : ١٠ |                                |

الثالثة عشرة : الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله : ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق )<sup>(١)</sup> .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والاثبات ، فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم الله .  
الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم الله بعدم الفهم ، كقوله : ( فلو بنا غلف )<sup>(٢)</sup> ( يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول )<sup>(٣)</sup> ، فأكذبهم الله ، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما آتاهم من الله بكتب السحر ، كما ذكر الله ذلك في قوله : ( نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تنلوا الشياطين على ملك سليمان )<sup>(٤)</sup> .

السابعة عشرة : نسبة باطلهم إلى الأنبياء ، كقوله : ( وما كفر سليمان )<sup>(٤)</sup> . وقوله : ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً )<sup>(٥)</sup> .

الثامنة عشرة : تناقضهم في الانتساب ، ينتسبون إلى إبراهيم ، مع إظهارهم ترك اتباعه .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ (٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٥

(٣) سورة هود ، الآية : ٩١ (٤) سورة البقرة ، الآيات : ١٠١ ، ١٠٢

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٦٧

التاسعة عشرة : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ،  
 كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ .  
 العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات  
 الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .  
 الحادية والعشرون : تعبدهم بالملكاء والتصدية .  
 الثانية والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .  
 الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرمتهم ، فظنوا أن عطاء الله منها  
 يدل على رضاه ، كقوله : (نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدئين) (١) .  
 الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء  
 تكبراً وأنفةً ، فأنزل الله : ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم ) (٢) الآية .  
 الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله :  
 ( لو كان خيراً ما سبقونا إليه ) (٣) .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .  
 السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله ، كقوله :  
 (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) (٤) الآية .  
 الثامنة والعشرون : أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مع طائفهم ،

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٥ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٢

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ١١ (٤) سورة البقرة ، الآية : ٧٩

كقوله : ( نؤمن بما أنزل علينا )<sup>(١)</sup> .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما  
سبه الله عليه بقوله : ( فلم تقنلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين )<sup>(٢)</sup> .  
الثلاثون : وهي من عجائب آيات الله أنهم لما تركوا وصية الله  
بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافة ، صار ( كل حزب بما  
لديهم فرحون )<sup>(٣)</sup> .

الحادية والثلاثون : وهي من عجائب الله أيضاً ، معاداتهم الدين  
الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم  
وعادوا نبينهم ، وفتنتهم غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما آتاهم بدين  
موسى واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق إذا كان مع من لا يهودونه ، كما قال  
تعالى : ( وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى  
ليست اليهود على شيء )<sup>(٤)</sup> الآية .

الثالثة والثلاثون : إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حجج  
البيت فقال تعالى : ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه )<sup>(٥)</sup> .  
الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعي أنها الناجية ، فأكذبهم الله  
بقوله : ( هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين )<sup>(٥)</sup> . ثم بين الصواب بقوله :

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩١ (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٤

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠

(٥) سورة النمل ، الآية : ٦٤



(بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) (١) الآية .

الخامسة والثلاثون : التعبد بكشف العورات ، كقوله : ( وإذا فعلوا فاحشة ) (٢) الآية .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأُحبار والرهبان أرباباً من دون الله .

الثامنة والثلاثون : الإلحاد في الصفات ، كقوله تعالى : ( ولكن ظننتم

أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ) (٣) .

التاسعة والثلاثون : الإلحاد في الأسماء كقوله تعالى : ( وهم يكفرون

بالرحمن ) (٤) ،

الأربعون : التعطيل ، كقول آل فرعون (٥) .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص إليه .

الثانية والأربعون : الشرك في الملك ، كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على الله .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع الله بقدره .

السادسة والأربعون مسبة الدهر ، كقولهم : ( وما يهلكنا إلا الدهر )

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٢ (٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٨

(٣) سورة فصلت ، الآية : ٢٢ (٤) سورة الرعد ، الآية : ٣٠

(٥) يشير الى ما حكاه الله عنه في قوله : ( ما علمت لكم من إله غيري ) سورة

القصص ، الآية : ٣٨ .

السابعة والأربعون: إضافة نعم الله إلى غيره كقوله: ( يعرفون  
نعمة الله ثم ينكرونها )<sup>(١)</sup>.

الثامنة والأربعون: الكفر بآيات الله .

التاسعة والأربعون: حجده بعضها .

الخمسون: قولهم: ( ما أنزل الله على بشر من شيء )<sup>(٢)</sup> .

الحادية والخمسون: قولهم في القرآن: ( إن هذا إلا قول البشر )<sup>(٣)</sup> .

الثانية والخمسون: القدح في حكمة الله تعالى .

الثالثة والخمسون: أعمال الخيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت

به الرسل، كقوله: ( ومكروا ومكر الله )<sup>(٤)</sup> . وقوله تعالى: ( وقالت

طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار )<sup>(٥)</sup> .

الرابعة والخمسون: الاقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية<sup>(٦)</sup> .

الخامسة والخمسون: التعصب للمذهب، كقوله بعدها<sup>(٧)</sup>: ( ولا تؤمنوا

إلا لمن تبع دينكم )<sup>(٨)</sup> .

السادسة والخمسون: تسمية أتباع الاسلام شركاء، كما ذكره في

قوله تعالى: ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣ (٢) سورة الانعام، الآية: ٩١

(٣) سورة المدثر، الآية: ٢٥ (٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٢ وتمامها ( واكفروا آخره لهم يرجعون )

(٦) يعني المتقدمة . (٧) الاصل (فيها) (٨) سورة آل عمران، الآية: ٧٣

يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) <sup>(١)</sup> الآية .

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه .

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصباة والحشوية .

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على الله .

الستون : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك ،

كما قال <sup>(٢)</sup> : (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) <sup>(٣)</sup> .

الحادية والستون : رميهم بإيham بالفساد في الأرض ، كما في الآية .

الثانية والستون : رميهم بإيham بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى :

(ويذكر وأهنتك) <sup>(٤)</sup> وكما قال تعالى : (إني أخاف أن يبدل دينكم) <sup>(٥)</sup> الآية .

الثالثة والستون : رميهم بإيham بانتقاص آلهة الملك ، كما في الآية .

الخامسة والستون : رميهم بإيham بتبديل الدين ، كما قال : (إني

أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) <sup>(٦)</sup> .

السادسة والستون : رميهم بإيham بانتقاص الملك ، كقولهم :

(ويذكر وأهنتك) <sup>(٦)</sup> .

السابعة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله :

(نؤمن بما أنزل علينا) <sup>(٧)</sup> مع تركهم إيham .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ (٢) حكاية عن الملاّ من قوم موسى .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧ (٤) سورة غافر ، الآية : ٢٦

(٥) سورة غافر ، الآية : ٢٦ (٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٧

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٩١

- الثامنة والستون : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .
- التاسعة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .
- السبعون : تركهم الواجب ورعاً<sup>(١)</sup> .
- الحادية والسبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .
- الثانية والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله .
- الثالثة والسبعون : دعواهم الناس إلى الضلال بغير علم .
- الرابعة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم الله بقوله : ( إن كنتم تحبون الله )<sup>(٢)</sup> الآية .
- الخامسة والسبعون : دعواهم إياهم إلى الكفر مع العلم .
- السادسة والسبعون : المكر الكبّار ، كفعل قوم نوح .
- السابعة والسبعون : أن أتهمهم : إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل ، كما في قوله : ( وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله )<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ( ومنهم أميون )<sup>(٤)</sup> .
- الثامنة والسبعون : تمنيمهم الأمانى الكاذبة ، كقوله لهم : ( لن

تمسنا النار إلا أياماً معدودة )<sup>(٥)</sup> وقولهم : ( لن يدخل الجنة إلا من

(١) مثل ترك ستر العورة أثناء الطواف .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ وتمامها ( فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم

ذنوبكم والله غفور رحيم ) . (٣) سورة البقرة ، الآية : ٧٥

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٧٨ (٥) سورة البقرة ، الآية : ٨٠

كان هوداً أو نصارى<sup>(١)</sup>.

- الثمانون : اتخاذ قبور انبيائهم وصالحهم مساجد .  
 الحادية والثمانون : اتخاذ آثار انبيائهم مساجد ، كما ذكر<sup>(٢)</sup> عن عمر .  
 الثانية والثمانون : اتخاذ السرج على القبور .  
 الثالثة والثمانون : اتخاذها أعياداً .  
 الرابعة والثمانون : الذبح عند القبور .  
 الخامسة والثمانون : التبرك بآثار المعظمين ، كدار<sup>(٣)</sup> ابن حزم  
 لعبت مكرمة قريش .  
 السابعة والثمانون : الفخر بالأحساب .  
 الثامنة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء .  
 التاسعة والثمانون : الطعن في الأنساب .  
 التسعون : النياحة .  
 الحادية والتسعون : أن أجل فضائلهم الفخر بالأنساب ، فذكر  
 الله فيه ما ذكر .

- الثانية والتسعون : أن أجل فضائلهم أيضاً الفخر ولو بحق ، فنهى عنه .  
 الثالثة والتسعون : أن الذي لا بد منه عندهم تعصب الانسان

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١١

(٢) الاولى أن يقال (ورد) فإن السند الى عمر بذلك صحيح .

(٣) على هامش الاصل ( الندوة . نسخة ) .

لطايفته، ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً، فأُنزل الله في ذلك ما أنزل .  
الرابعة والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فأُنزل  
الله : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى )<sup>(١)</sup> .

الخامسة والتسعون : تعير الرجل بما في غيره ، فقال : « أعيرته  
بأمه ، إنك امرؤٌ فيك جاهلية » .

السادسة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله :  
( مستكبرين به سامراً تهجرون )<sup>(٢)</sup> .

السابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الانبياء ، فأثنى الله  
بقوله : ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت )<sup>(٣)</sup> الآية .

الثامنة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين  
على أهل الحرث .

التاسعة والتسعون : عظمة الدنيا في قلوبهم ، كقولهم : ( لولا نزل  
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم )<sup>(٤)</sup> .

المائة : التحكم على الله كما في الآية .  
الحادية بعد المائة : ازدراء الفقراء ، فاتاهم بقوله : ( ولا تطرد

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي )<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤ (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٦٧

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٣٤ (٤) سورة الزخرف ، الآية : ٣١

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٥٢

الثانية بعد المائة : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا، فأجابهم بقوله: (ما عليك من حسابهم من شيء) (٣) الآية وأمثالها.

الثالثة بعد المائة : الكفر بالملائكة .

الرابعة بعد المائة : الكفر بالرسول .

الخامسة بعد المائة : الكفر بالكتب .

السادسة بعد المائة : الاعراض عما جاء عن الله .

السابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الثامنة بعد المائة : التكذيب ببقاء الله .

التاسعة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن

اليوم الآخر، كما في قوله: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) (١)

ومنها التكذيب بقوله: (مالك يوم الدين) (٢) وقوله: (لا يبيع فيه

ولا خلة ولا شفاعة) (٣) وقوله: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) (٤).

العاشره بعد المائة : الايمان بالجبت والطاغوت .

الحادية عشرة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين .

الثانية عشرة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

الثالثة عشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٠٥ (٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٣

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ (٤) سورة الزخرف ، الآية : ٨٦

الرابعة عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهي القول على الله

بلا علم .

الخامسة عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ،

كما قال تعالى : ( بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب )<sup>(١)</sup> .

السادسة عشرة بعد المائة : الايمان ببعض المنزل دون بعض .

السابعة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل .

الثامنة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .

التاسعة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح

بمخالفتهم .

العشرون بعد المائة : صدھم عن سبيل الله من آمن به .

الحادية والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين .

الثانية والعشرون بعد المائة : والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ،

والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعشرون ، وتام الثلاثين ،

والواحدة والثلاثون بعد المائة : العيافة ، والطرق ، والطيرة ، والكهانة ،

والتحاكم إلى الطاغوت ، وكرهة التزويج بين العيدين ، والله أعلم .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



# كشف الشبهات

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده .

فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله الله إلى قومه لما غلّوا في الصالحين : وَدَّ ، وَسُوعَ ، وَيَنْعُوثَ ، وَيَعُوقَ ، وَنَسَرَ .

وآخر الرسل محمد ﷺ ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ،

أرسله الله إلى أناس يتعبدون ، ويحجون ، ويتصدقون ، ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ،

يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل

الملائكة ، وعيسى ، وصريم ، وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث الله

إليهم محمداً ﷺ يحدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ويخبرهم

(توحيد - ٧)

أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، لا يصاح منه شيء لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما ، وإلا فهو لاه المشركون مقرّون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن ، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

فاذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا ، فاقرأ قوله تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمئن بملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل : أفلا تتقون ؟ )<sup>(١)</sup> وقوله : ( قل لمن الأرض ؟ ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ؟ قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله ، قل فأنتى تسحرون )<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الآيات .

فاذا تحققت أنهم مقرّون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في النوحيد

(١) سورة يونس ، الآية : ٣١ (٢) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩

الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ ، وعرفت أن التوحيد الذي جمعه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات ، أو نبياً مثل عيسى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك . ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(١)</sup> ، وكما قال تعالى : ( له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء )<sup>(٢)</sup> وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله ، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وأن قصد الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا الله ، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكاً ،

(٢) سورة الرعد ، الآية : ١٤

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨

أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً. لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبّر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأناهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله. قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا شيءٌ عجاب) (١)

فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالحجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبّر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي

قال الله فيه : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به )<sup>(١)</sup> الآية ، وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته ، كما قال تعالى : ( قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون )<sup>(٢)</sup> .

وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فانك إذا عرفت أن الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله ، كما ظن المشركون ، خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة )<sup>(٣)</sup> فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً )<sup>(٤)</sup> وقد

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٨ وتمامها : ( ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٥٨ (٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨

(٤) سورة الانعام ، الآية : ١١٢

يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعالى :  
 ( فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ) (١) .  
 إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لا بد له  
 من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن  
 تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقا تل به هؤلاء الشياطين الذين  
 قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل : ( لا أقعدن لهم صراطك المستقيم ،  
 ثم لا تينسهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيامهم وعن شمائلهم ولا  
 تجدوا أكثرهم شاكرين ) (٢) . ولكن إذا أقبلت على الله ، وأصغيت إلى  
 حجج الله وبيناته ، فلا تخف ولا تحزن ( إن كيد الشيطان كان  
 ضعيفاً ) (٣) .

والعالم من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء لمشركين  
 كما قال تعالى : ( وإن جندنا لهم الغالبون ) (٤) ، فجند الله هم الغالبون  
 بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف  
 على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد منّ الله علينا  
 بكتابه الذي جملة تبياناته لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ،  
 فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ،

(١) سورة غافر ، الآية : ٨٣ (٢) سورة الاعراف ، الآيتان : ١٦-١٧

(٣) سورة النساء ، الآية : ٧٦ (٤) سورة الصافات ، الآية : ١٧٣

كما قال تعالى : ( ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً )<sup>(١)</sup>  
قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل  
إلى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكل ما احتج  
به المشركون في زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طرفين :  
بجمل ومفصل :

أما الجمل ، فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ،  
وذلك قوله تعالى : ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات  
هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون  
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله )<sup>(٢)</sup> .  
وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الذين  
يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » .

مثال ذلك ، إذا قال لك بعض المشركين : ( ألا إن أولياء الله  
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون )<sup>(٣)</sup> أو إن الشفاعة حق ، أو إن الأنبياء  
لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من  
باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٧

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٣٣

(٣) سورة يونس ، الآية : ٦٢

الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرّون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : ( هوّلاء شفعاؤنا عند الله )<sup>(١)</sup> هذا أمر محكم يبيّن لا يقدر أحد أن يغيّر معناه ، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله ﷺ ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى : ( وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم )<sup>(٢)</sup> .

وأما الجواب المفصل ، فان أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدّون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الدين قائلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت ، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٣٥

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨



شيئاً، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة، وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فان قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذا ذكر له أن الكفار ؛ منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب )<sup>(١)</sup> الآية ، ويدعون عيسى بن مريم وأمه . وقد قال تعالى : ( ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم )<sup>(٢)</sup> . وأذكر له قوله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون )<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ( وإذا قال الله

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧ (٢) سورة المائدة ، الآيات : ٧٥ ، ٧٦

(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٤٠ ، ٤١

يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال سبحانه: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب<sup>(١)</sup>.

فقل له: عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين، وقَاتلهم رسول الله ﷺ.

فان قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدكم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)<sup>(٣)</sup>، واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فاذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً؛ فما بعدها أيسر منها.

فان قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الاتجاه إليهم ودعاؤهم ليس

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦

(٣) سورة يونس، الآية: ١٨

بعبادة . فقل له : أنت تقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله ،  
 فإذا قال : نعم . فقل له : يتبن لي هذا الذي فرضه الله عليك ، وهو  
 إخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك ، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها ،  
 فيدينها له بقولك : قال الله تعالى : ( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه  
 لا يحب المعتدين )<sup>(١)</sup> . فإذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة  
 لله ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له : إذا أقررت  
 أنها عبادة ، ودعوت الله ليلاً نهاراً خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك  
 الحاجة نبياً أو غيره ، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ فلا بد أن  
 يقول : نعم . فقل له : فإذا عملت بقول الله تعالى : ( فصل لربك  
 وانحر )<sup>(٢)</sup> وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول :  
 نعم . فقل له : فإن نحرت لمخلوق ، نبي ، أو جني ، أو غيرهما ، هل  
 أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقرّ ويقول : نعم . وقل له  
 أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة  
 والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : وهل  
 كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء ، والذبيح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟  
 وإلا فهم مقرّون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥ (٢) سورة الكوثر ، الآية : ٢

الأمر، ولكن دعوهم والتجوؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً.

فان قال: أنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها؛ فقل: لأنكرها، ولا تبرأ منها، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى، كما قال تعالى: (قل لله الشفاعة جميعاً) <sup>(١)</sup> ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) <sup>(٢)</sup> ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه، كما قال تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) <sup>(٣)</sup> وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) <sup>(٤)</sup> فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد. تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيّ، وأمثال هذا.

فان قال: النبي صلى الله عليه وسلم أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله. فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا. فقال تعالى:

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥

(٣) سورة الانبياء، الآية: ٢٨

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥

( فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(١)</sup> فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك ، فأطعه في قوله : ( فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(١)</sup> . وأيضاً فإن الشفاعة أعطيتها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة فاطابها منهم ؟ فإن قلت هذا ، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه . وإن قلت : لا . بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، حاشا وكلا ، ولكن الانتجاع إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تقر أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ؟ فما هذا الأمر الذي حرّمه الله ، وذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدري . فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ، ويذكر أنه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبيّنه لنا ؟ فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام . فقل له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أنظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن . وإن قال : هو من قصد خشبة ، أو حجراً ، أو بنية على قبر ، أو

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨

غيره ، يدعون ذلك ، ويدبحون له . يقولون : إنه يقربنا إلى الله زلفى ، ويدفع الله عنا ببر كته ، أو يعطينا ببر كته . فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها . فهذا أقرّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ، فهو المطلوب .

ويقال له أيضاً قولك : الشرك : عبادة الأصنام ، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعواتهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يرد ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة ، أو عيسى ، أو الصالحين ، فلا بد أن يقرّ لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن ، وهذا هو المطلوب . وسر المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ، فسره لي ؟ فان قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لي . فان قال : أنا لا أعبد إلا الله وحده . فقل : ما معنى عبادة الله وحده ، فسرها لي ؟ فان فسرها بما بينه القرآن ، فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه ؟ وإن فسر ذلك بغير معناه ، بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ، ويصبحون فيه كما صاح

إخوانهم حيث قالوا : ( أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب )<sup>(١)</sup> .

فاذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين : أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء ، والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء ، كما قال تعالى : ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجواكم إلى البر أعرضتم . وكان الانسان كفوراً )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( قل أرأيتم إن أناكم عذاب الله أو أنتم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً إليه )<sup>(٤)</sup> إلى قوله : ( قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار )<sup>(٥)</sup> وقوله : ( وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين )<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة ص ، الآية : • (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٦٧

(٣) سورة الانعام ، الآية : ٤٠ (٤) سورة الزمر ، الآية : ٨ وتمامها :

(ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله) .

(٥) سورة لقمان ، الآية : ٣٢

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضرر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً جيداً راسخاً ؟ والله المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقرّبين عند الله ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة . أو يدعون أحجاراً ، أو أشجاراً مطيعة لله ليست حاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء ، فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذبون الرسول ﷺ ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحراً ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،





بعض ، فهو الكافر حقاً ، زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضاً : إذا كنت تقرأ أن من صدق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق<sup>(١)</sup> بذلك كله ، لا يجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فكيف إذا جحد الانسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .

ويقال أيضاً : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وقد أساموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويؤذنون ويصلون . فان قال : إنهم يقولون : إن مسيماة نبي . قلنا : هذا هو المطلوب . إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة ، فكيف

(١) في الأصل : وكذب ، ولا يستقيم المعنى به .

عن رفع شمسان أو يوسف<sup>(١)</sup> أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبار السموات والأرض؟ سبحانه الله ما أعظم شأنه! (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)<sup>(٢)</sup>.

ويقال أيضاً: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الاسلام، وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفر.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الاسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

(١) يوسف وشمسان وتاج، أسماء لبعض المتقدين في تلك البلاد الذين يدعون مع الله أو من دون الله، كالبدوي، والدسوقي، والمتبولي، وأمثالهم في مصر، وكابن عربي في دمشق.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٩

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب؟ (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفر، ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) <sup>(١)</sup> أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون؟ وكذلك الذين قال الله فيهم: (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) <sup>(٢)</sup> فهو لاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فانه

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٦٥، ٦٦

من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحتهم، أنهم قالوا لموسى: ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة )<sup>(١)</sup> وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط . فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ( اجعل لنا إلهاً )<sup>(١)</sup> ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة . وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا .

فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا . ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهام النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٣٨

وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر ، فإنه يفاظ عليه الكلام تغليظاً شديداً ، كما فعل رسول الله ﷺ .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلا الله . وقال : « أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله؟! » وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله؟ » وأحاديث أخر في الكف عن قائلها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قائلها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسبام ، وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقررون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئاً من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قائلها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة ، فإنه قتل رجلاً ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله . والرجل إذا أظهر الاسلام وجب

الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) <sup>(١)</sup> أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل ، لقوله : (فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه ، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : « أقتله بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً ، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتل اليهود وقتل الصحابة بني حنيفة .

وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله تعالى : (يا أيها الذين

آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين<sup>(١)</sup> وكان الرجل كاذباً عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم براهيم ، ثم بموسى ، ثم بعبسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالخلق على ما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى : ( فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه )<sup>(٢)</sup> وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها الخلق . ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

إذا ثبت ذلك ، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي ، يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٦ (٢) سورة القصص ، الآية : ١٥



رسول الله ﷺ يسألونه في حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه <sup>(١)</sup> ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟ !

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار ، اعترض له جبريل في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أما إليك فلا . قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً ، لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله تعالى فيه : ( شديد القوى ) <sup>(٢)</sup> . فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير ، يرى رجلاً محتاجاً ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا مثته فيه

(١) كذا في الاصل . والمراد أنهم ما سألوه . وهذا التعبير مستعمل في نجد ، وفي الأمصار في النفي ، أي حاشا أن يكونوا سألوه .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٥

لأحد فأين هذا من استغائة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟  
ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم  
مما تقدم ، ولكن نفرّد لها الكلام اعظم شأنها ، وكثرة الفاظ فيها  
فنقول :

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ،  
فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم  
يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يناقض فيه  
كثير من الناس يقولون : هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه  
الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من  
واقفهم<sup>(١)</sup> ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة  
الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى :  
( اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً )<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الآيات ، كقوله :  
( يعرفونه كما يعرفون أبناءهم )<sup>(٣)</sup> فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو  
لا يفهمه ، أو لا يعتقد به بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص :  
( إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار )<sup>(٤)</sup> .

(١) هذا من حكاية قولهم ، يريدون به أنه لا يكون مقبولاً عند الامن واقفهم .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٩ (٣) سورة البقرة ، الآية ١٤٦

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٥

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تبين لك إذا تأملت في السنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألتهم عما يمتد بقلبه، فإذا هو لا يعرفه. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله، أولاهما ما تقدم من قوله: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) (١) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مال، أو جاه، أو مداراة لأحد، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٢). فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان وأما غير هذا، فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراة، أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكروه. والآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: (إلا من أكره) (٣) فلم يستثن الله إلا المكروه. ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام. وأما عقيدة

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٦

القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة )<sup>(١)</sup> . فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فأثره على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم .  
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،  
آمين

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٧

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا . فقال أحدهما : لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله ، فإننا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك .  
الجواب : الحمد لله رب العالمين . إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر الله ، فهذا حق ؛ فإن الخلق لا يعاون ما يحبه الله ويرضاه ؛ وما أمر به وما نهى عنه ؛ وما أعد له لأوليائه من كرامته ؛ وما وعد به أعداءه من عذابه ؛ ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العاليا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسول الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده .

فالؤمنون بالرسول ، المتبعون لهم ، هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ؛ ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة .

وأما المخالفون للرسول ، فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون . قال الله تعالى : (إيا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) (١)

وقال تعالى: (فإِمْبَايَاتِيْكُمْ مِّنِي هُدًى ، فَمَن آتَبَع هُدَايَ فَلَا يَضِل وَلَا يُشْقَى ، وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّه مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ، وَنُحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَب لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) (١) .

قال ابن عباس: تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. وقال تعالى عن أهل النار: (كَلِمَاتُ الَّتِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُهَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ) (٢) وقال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ) (٣) وقال تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، فَمَن آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُعَذِّبُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) (٤) . وقال الله تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى

(١) سورة طه ، الآيات : ١٢٣ - ١٢٧ (٢) سورة الملك ، الآيات : ٨ ، ٩

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٧١

(٤) سورة الانعام ، الآيات : ٤٨ ، ٤٩

نوح والنبين من بعده ؛ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (١) ومثل هذا في القرآن كثير ؛ وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين، واليهود، والنصارى ؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ؛ وهم الرسل الذين بلاغوا عن الله أمره وخبره ؛ قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) (٢) . ومن أنكر هذه الوسائط، فهو كافر باجماع أهل الملل . والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة، مثل : الأنعام والأعراف، وذوات (الر)، (وحم)، (وطس) ونحو ذلك، هي متضمنة لأصول الدين، كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ؛ وقد قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكتهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى : ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) . (٣) وقال :

(إنا لنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٦٣ - ١٦٥

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧٥

(٣) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١ - ١٧٣

(الاشهاد) (١) فهذه الوسائط، تطاع وتبتع ويقتدى بها، كما قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (٢). وقال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٣) وقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (٤) وقال: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (٥). وقال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٦).

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء، يجتلبون بهم المنافع، ويدفعون بهم المضار. لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق. قال الله تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم

(١) سورة غافر، الآية: ٥١ (٢) سورة النساء، الآية: ٦٤

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠ (٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ (٦) سورة الاحزاب، الآية: ٢١



استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تنذكرون<sup>(١)</sup>.  
 وقال تعالى: ( وأُنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ  
 دُونِهِ وَلِي وَلَا شَفِيعٌ )<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ( وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسًا بِمَا  
 كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِي وَلَا شَفِيعٌ )<sup>(٣)</sup>. وقال سبحانه: ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا  
 تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة أيهم أقرب  
 ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً )<sup>(٤)</sup>.  
 وقال: ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في  
 السماوات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من  
 ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )<sup>(٥)</sup>.

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير  
 والملائكة، فبين الله لهم أن الملائكة والانبياء لا يملكون كشف  
 الضر عنهم ولا تحويلاً، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون  
 عذابه. وقال تعالى: ( ما كان لبشر أن يؤتية الله الكتاب والحكم  
 والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا

(١) سورة السجدة، الآية: ٤ (٢) سورة الانعام، الآية: ٥

(٣) سورة الانعام الآية: ٧٠ (٤) سورة الاسراء، الآيات: ٥٧، ٥٦

(٥) سورة سبأ، الآيات: ٢٢، ٢٣

ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا بأمركم أن  
 تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون<sup>(١)</sup>.  
 فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبين أرباباً كفر ، فمن جعل الملائكة  
 والانبيا وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع  
 ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ،  
 وتفريج الكروب ، وسد الفاقات ، فهو كافر بإجماع المسلمين وقد قال  
 تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه  
 بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون  
 إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إني إله من  
 دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( لن  
 يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن  
 يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى :  
 ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن  
 منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي  
 للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي  
 الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعددهم عدداً . وكلهم آتية يوم القيامة فرداً )<sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) سورة الانبياء ، الآيات : ٢٦ - ٢٩ (٣) سورة النساء ، الآية : ١٧٢

(٤) سورة مريم ، الآيات : ٨٨ - ٩٥

وقال تعالى : ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أنبئوا الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ( قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون )<sup>(٦)</sup> .

ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن<sup>(٧)</sup> سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين ، فمن أنبتهم وسائط بين الرسول وأمة يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقعدون بهم ؛ فقد أصاب في ذلك .

وهؤلاء إذا أجموا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ،

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة النجم ، الآية : ٢٦

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٤) سورة يونس ، الآية : ١٠٧

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢ (٦) سورة الزمر ، الآية : ٣٨

(٧) كذا الاصل ولعل الصواب ( وأما ) .

وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله والرسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وقد قال النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر<sup>(١)</sup> ومن أنبتهم وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجَّاب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أديباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج.

فمن أنبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا الله أنداداً. وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

(١) رواه أبو داود وغيره بسند حسن.

إما لاخبارهم من أحوال الناس بـ. لا يعرفونه . ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحين .

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لئله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الدل . قال تعالى : ( قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير )<sup>(١)</sup> وقال تعالى ( وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدل وكبيره تكبيراً )<sup>(٢)</sup> وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربّه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهراهم ، وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ١١١

(١) سورة سبأ ، الآية : ٢٢

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فإذا خاطب الملك من بنصحه وبمظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء إن ماتكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ، ويدعوه ، ويشفع فيه ونحو ذلك ؛ فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده ، أو يُعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ولكن ليجزم المسألة ، فإنه لا مكره له » والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بأذنه ،

كما قال : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )<sup>(٢)</sup> . وقد قال تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )<sup>(٣)</sup> .

فبين أن كل من دعي من دونه ، ليس له ملك ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكاً لهم في الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً لهم على ملكهم ، وهو لا يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم ، وتارة لخوف منهم ، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم ولا نعمهم عليه ، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ، فإذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٨

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢ و ٢٣

يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحداً ، ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد ، بل هو الغني . قال تعالى : ( ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( قالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه هو الغني ، له ما في السموات وما في الأرض )<sup>(٢)</sup> . والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعبدونه من الشفاعة قال تعالى : ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون )<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة . بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون )<sup>(٤)</sup> . وأخبر عن المشركين أنهم قالوا : ( ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )<sup>(٥)</sup> . وقال تعالى : ( ولا يأمركم أن تنخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )<sup>(٦)</sup> . وقال تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يمكنون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

(٢) سورة يونس ، الآية : ٦٨

(١) سورة يونس الآية : ٦٦

(٤) سورة الاحقاف ، الآية : ٢٨

(٣) سورة يونس ، الآية : ١٨

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٠

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٣



الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً<sup>(١)</sup>. فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله، وأنهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويتقربون إليه. فهو سبحانه قد نفى ما أئبتوا للملائكة والأنبياء إلا الشفاعة باذنه. والشفاعة هي الدعاء؛ ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع، والله قد أمر بذلك؛ لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا باذن الله له في ذلك، فلا يشفع شفاعة نهي عنها، كالشفاعة للمشركين، والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم. وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى في حق المنافقين: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم)<sup>(٣)</sup>.

وقد ثبت في «الصحيح» أن الله تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم، كما في قوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)<sup>(٤)</sup>. وقوله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا

(١) سورة الاسراء، الآيات: ٥٦-٥٧ (٢) سورة التوبة، الآيات: ١١٣-١١٤

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٦ (٤) سورة النساء، الآية: ٤٨

وهم فاستقون) <sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ) <sup>(٢)</sup> . وقد قال تعالى : ( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ) <sup>(٣)</sup> في الدعاء ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية لله عز وجل ، كإعانتة على الكفر والفسوق والعصيان ، فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة ، شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون أن يقرؤا على ذلك . كما قال نوح : ( إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ) <sup>(٤)</sup> . قال تعالى : ( يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ) <sup>(٥)</sup> . وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيتنه ، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة ، فهو الذي خلق السبب والمسبب ؛ والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤

(٢) سورة المنافقون ، الآية : ٦

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٥

(٤) سورة هود ، الآية : ٤٥

(٥) سورة هود ، الآيات : ٤٦-٤٧

وتعالى، وإذا كان كذلك، فالالتفات<sup>(١)</sup> إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً، نقص في العقل. والاعراض عن الأسباب بالكلية، قدح في الشرع.

بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء.

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأذنى، والأذنى الأعلى، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد ﷺ، وهو سيد الشفعاء، وله شفاعات يختص بها، ومع هذا فقد ثبت في «الصحيحين»<sup>(٢)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة» وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه: «يا أخي لا تنسني من دعائك»<sup>(٣)</sup>.

(١) كأنه يعني الاعتماد والتوكل على الأسباب كما هو شأن الملحدين.

(٢) هذا من أفراد مسلم ولم يخرجه البخاري (٣) رواه أبو داود وغيره بسند ضعيف.

فالنبي ﷺ قد طلب من أمته أن يدعو له ، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم ، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يتأبون عليها ، مع أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما يعملونه ، فانه قد صح عنه أنه ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » وهو داعي الأمة إلى كل هدى ، فله مثل أجورهم في كل ما تبعوه فيه ، وكذلك إذا صلوا عليه ، فان الله يصلي على أحدهم عشراً ، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له ، فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه ، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه .

وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» أنه قال : « ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة ، إلا وكل الله به ملكاً ، كلما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به : آمين ولك مثل ذلك » وفي حديث آخر : « أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب » .

فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له ، وإن كان الداعي دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لي وقصد انتفاعها جميعاً بذلك ، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى ، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسؤول

فعل ما ينفعها ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيثاب المأمور على فعله والآمر أيضاً يثاب مثل ثوابه ، لكونه دعا إليه ، لا سيما ومن الأُدعية ما يؤمر بها العبد ، كما قال تعالى : ( واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات )<sup>(١)</sup> فأمره بالاستغفار ، ثم قال : ( ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً )<sup>(٢)</sup> فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم إذ ذاك ، مما أمر الله به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر الله مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً شيئاً لم يأمر الله المخلوق به ، بل ما أمر الله به العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة لله ، وطاعة وقربة إلى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه ، وإذا فعل ذلك كان من أعظم إحسان الله إليه وإنعامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده أن هدام للإيمان .

والإيمان : قول وعمل جائز بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملاً للخير ، ازداد إيمانه .

هذا هو الانعام الحقيقي المذكور في قوله : ( صراط الذين أنعمت عليهم )<sup>(٣)</sup> وفي قوله : ( ومن بطع الله والرسول فأولئك مع الذين

(١) سورة محمد ، الآية : ١٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤

(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٦

أنعم الله عليهم) (١).

بل نعم الدنيا بدون الدين. هل هي من نعمة أم لا؟ فيه قولان مشهوران للعلماء من أصحابنا وغيرهم. والتحقيق أنها نعمة من وجه. وإن لم يكن نعمة تامة من وجه. وأما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه، فهو ما أمر الله به، من واجب ومستحب، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة، إذ عندهم أن الله هو الذي أنعم بفعل الخير. والقدرية عندهم إنما أنعم بالقدره عليه الصالحة للضدين. والمقصود هنا أن الله لم يأمر مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق، إما واجب، أو مستحب، فانه سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك، فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك، بل قد حرّم على العبد أن يسأل العبد ماله إلا عند الضرورة، وإن كان قصده مصلحة المأمور، أو مصلحته ومصلحة المأمور، فهذا يثاب على ذلك. وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لا تنفاع المأمور، فهذا من نفسه آتي ومثل هذا السؤال لا يأمر الله تعالى به قط، بل قد نهى عنه، إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته، والله يأمرنا أن نعبده ونرغب إليه، ويأمرنا أن نحسن

(١) سورة النساء، الآية: ٩٦

إلى عباده، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا، فلم يقصد الرغبة إلى الله ودعائه وهو الصلاة، ولا قصد الاحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد وما يؤذن له فيه، ألا ترى أنه قال في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «إنهم لا يسترقون» وإن كان الاسترقاق جائزاً وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضوع.

والمقصود هنا أن من أنبت وسائل بين الله وبين خلقه، كالوسائل التي تكون بين الملوك والرعية، فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عبادة الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى، حيث قال: (اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) <sup>(٢)</sup> أي فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي، وليؤمنوا بي، أي أن أجيب دعاهم لي بالمسألة والتضرع. وقال تعالى:

(فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب) <sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وإذا  
 مسَّكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) <sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( أمَّن  
 يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ) <sup>(٣)</sup>  
 وقال تعالى : ( يسأله من في السموات والأرض ، كل يوم هو في  
 شأن ) <sup>(٤)</sup> .

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه ، وحسم مواد الإِشراك به  
 حتى لا يخاف أحد غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه ،  
 وقال تعالى : ( فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً  
 قليلاً ) <sup>(٥)</sup> . وقال تعالى : ( إنما ذلکم الشيطان يخوف أولياءه ) <sup>(٦)</sup> أي  
 يخوفكم أولياءه ( فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ) <sup>(٧)</sup> . وقال  
 تعالى : ( ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيدبكم وأقيموا الصلاة وآتوا  
 الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية  
 الله أو أشد خشية ) <sup>(٨)</sup> . وقال تعالى : ( إنما يعمر مساجد الله من آمن

(١) سورة الانشراح ، الآيتان : ٧ و ٨

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٦٧ (٣) سورة النمل ، الآية : ٦٢

(٤) سورة الرحمن ، الآية : ٢٩ (٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٤

(٦) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٧٥ (٧) سورة النساء ، الآية : ٧٧

(٨) سورة التوبة ، الآية : ١٥



بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) (١).  
وقال تعالى: (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم  
الفائزون) (٢) فبين أن الطاعة لله ورسوله .

وأما الخشية فله وحده . وقال تعالى: (ولو أنهم رضوا ما آتاهم  
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) (٣).  
ونظيره قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم  
فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (٤).

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأئمة ، ويحسم عنهم  
مواد الشرك ، إذ هذا تحقيق قولنا : لا إله إلا الله ، فإن الإله هو  
الذي نأله القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والاجلال والاكرام ،  
والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ،  
ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد » . وقال له رجل : ما شاء الله  
وشئت . فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده » . وقال :  
« من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال : « من حلف بغير  
الله فقد أشرك » . وقال لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا

(١) سورة النور ، الآية : ٥٢

(٢) سورة النور ، الآية : ٥٢

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٩

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣

استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما أنت لاق ، فلو جهدت الخليفة على أن تنفعل لم تنفعل إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضاً : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، وإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ، ورسوله » . وقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » . وقال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبغني حينما كنتم » . وقال في مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً .

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومايكه ، فانه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب ، كما جعل المطر سبباً لنبات النبات قال الله تعالى : ( وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ) (١) . وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلق بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فان ذلك من الأسباب التي يرحمها الله بها ، ويثيب عليها المصلين عليه .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ؛ بل لا بد معه من أسباب آخر ، ومع هذا فلها موانع ، فإن لم يكمل الله الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله .

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم ، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلاً ، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل » .

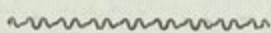
الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة ، فإن العبادات مبناهما على التوقيف ، فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه .

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشرية وإن ظن ذلك ، فإن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك .

وقد يحصل بالكفر والفسوق والمصيان بعض أغراض الإنسان ،

فلا يحل له ذلك ، إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة  
به ، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتمطيل المفسد  
وتقليلها .

فما أمر الله به فصاحته راجحة ، وما نهي عنه ففسدته راجحة ،  
وهذه الجمل لها بسط لا تحتمله هذه الوريقات ، والله أعلم .  
والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد  
وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل



## هدية طيبة

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رَضِيَ اللهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لوليّه ، والصلاة على نبيّه .

سئل الشيخ رحمه الله تعالى عن معنى : لا إله إلا الله .

فأجاب بقوله : اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين

الكفر والاسلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي

جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلمهم يرحمون ، وليس

المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت

الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلّون وبتصدقون ،

ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبنفض

ما خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبي ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله

مخلصاً » وفي رواية : « خالصاً من قلبه » وفي رواية : « صادقاً من

قلبه » . وفي حديث آخر : « من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد

من دون الله . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات ؛ نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين .

إذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التي أنبتها الله لنفسه ، ونفاها عن محمد وجبريل وغيرها أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل . فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر والولاية .

والإله معناه : الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه : الفقير والشيخ ، وتسميه العامة : السيد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجئ إليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم ، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله . فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط ، هم الذين يسميهم الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الإله . فقول الرجل : لا إله إلا الله ، إبطال للوسائط . وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين : الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرين لله سبحانه

بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيي ، ولا يميت ، ولا يدبر الأمور إلا الله وحده ، كما قال تعالى : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ) (١) .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ، ومقرّون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ، ولم يحرمّ دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضاً يتصدقون ، ويحجون ، ويعتمرّون ، ويتعبّدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل .

ولكن الأمر الثاني : هو الذي كفرهم ، وأحلّ دماءهم وأموالهم ، وهو أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ، وأشبه ذلك . وتام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ،

وعزير، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر.

إذا عرفت هذا، عرفت معنى: لا إله إلا الله، وعرفت أن من نحا<sup>(١)</sup> نبياً، أو ملكاً، أو ندبه<sup>(٢)</sup>، أو استغاث به، فقد خرج من الاسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، ولكن هؤلاء الصالحين مقرَّبون، ونحن ندعوهم ونسألهم، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن<sup>(٣)</sup> نفهم أن الله هو الخالق المدبر.

فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى، وعزيراً، والملائكة، والأولياء، يريدون ذلك كما قال تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)<sup>(٤)</sup>. وقال: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله)<sup>(٥)</sup>.

فاذا تأملت هذا تأملاً جيداً، عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو تفرد بالخلق والرزق والتدبير، وهم ينحون<sup>(٦)</sup>

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (ناداه). (٢) أي قصد.

(٣) في الأصل: نحن (٤) سورة الزمر، الآية: ٣

(٥) سورة يونس، الآية: ١٨ (٦) أي يقصدون



عيسى، والملائكة، والأولياء، بقصدونهم لآتهم<sup>(١)</sup> يقرّبونهم إلى الله، ويشفعون عنده.

وعرفت أن من الكفار خصوصاً النصارى، منهم من يعبد الله الليل والنهار، ويزهّد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن الناس، ومع هذا كافر عدو لله، نخد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوهم، أو يذبح له، أو ينذر له، تبين لك كيف صفة الاسلام الذي دعا اليه نبيك ﷺ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمنزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: «بدأ الاسلام غريباً وسيمود غريباً كما بدأ».

فالله الله يا إخواني، تسمكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأمه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم، وأنفضوهم وأنفضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفروهم، أو قال: ما عليّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله واقترى، فقد كلفه الله بهم، واقترض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

(١) في الأصل: أنهم.

فأثمة الله؁ تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً؁ اللهم توقنا مسلمين؁ وألحقنا بالصالحين .

ولنختم الكلام بأية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرأ من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؁ قال الله تعالى : ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه؁ فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً )<sup>(١)</sup> .

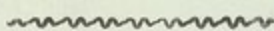
فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ؁ ولم يستغيثوا بهم؁ بل أخلصوا الله وحده لا شريك له؁ واستغاثوا به وحده؁ فاذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا؁ ولعل بعضهم يدعي أنه من أهل العلم؁ وفيه زهد؁ واجتهاد؁ وعبادة؁ إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله؁ مثل معروف<sup>(٢)</sup>؁ أو عبد القادر الجيلاني؁ وأجل من هؤلاء؁ مثل زيد بن الخطاب؁ والزيبر؁ وأجل من هؤلاء؁ مثل رسول الله ﷺ . فالله المستعان . وأعظم من ذلك وآثم أنهم يستغيثون بالطواغيت؁ والكفرة والمردة؁ مثل شمسان؁ وإدريس؁ ويونس وأمثالهم؁ والله سبحانه أعلم .

(١) سورة الاسراء؁ الآية : ٦٧ (٢) أي معروف الكرخي

الحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله

أجمعين<sup>(١)</sup>.



(١) قف وتأمل كلام الشيخ قدس الله روحه في جنات النعيم، وتدبر الفرق بين كفر الجاهلية الأولى وكفر جاهلية هذا الزمان وما قبله بمدة قرون، فأهل الجاهلية الأولى بشر كون في الرخاء ويخلصون لله في الشدائد، وجاهلية زماننا شر كههم دائم، فهم لا يلجؤون إلى الله لا في شدة ولا في رخاء، ويعبدون الصالحين بل والطالحين من الأممات والفائبين، وما أضل العامة إلا علماء الضلال، فهم الذين حملوم على الكفر والضلال والله المستعان.

# أوثق عرى الإيمان

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين .

اعلم أولاً أيّدك الله بتوفيقه ، أن أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله ، وهذا وجهه في أهل بلد مرتدّين ، أو بادية<sup>(١)</sup> ، وهم بنو عم ، ويحيى لهم ذكر عند الأمراء ، فيتسبب بالدفع عنهم هيّة دنيوية ، إما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ، هل يكون هذا موالاة نفاق ؟ أو يصير كفرة ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟ وكذلك إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟ أفقنا مأجوراً<sup>(٢)</sup> .

فأقول : أولاً : إن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ،

(١) يقصد بذلك جفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، وسيأتي ذكرهم .

(٢) كذا في الاصل ولا يخلو من غموض .

ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ ، وأمرهم بالجهاد، والإغلاظ عليهم بالقول والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل ، كقوله : ( ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً )<sup>(١)</sup> .

وقطع الموالاتة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم ، وكيف يدعي رجل محبة الله وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشياطين على عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون الله ؟ كما قيل :

تحب عدوِّي ثم تزعم أنني صديقك إن الود عنك لعازب<sup>(٢)</sup>

وبالجملة : فالحب في الله ، والبغض في الله أصل عظيم من أصول الإيمان ، يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء في الحديث : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله »

ولذلك أكثر الله من ذكره في القرآن . قال تعالى : ( لا يتخذ

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة )<sup>(٣)</sup> .

قال بعض المفسرين : فهو أن يوالوا الكافرين ، كقرابة بينهم ، أو صداقة قبل الإسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشرون .

وقوله : ( من دون المؤمنين )<sup>(٤)</sup> يعني أن لكم في موالاتة المؤمنين مندوحة<sup>(٥)</sup> عن موالاتة الكفار ، فلا تؤثرهم عليهم ؛ ومن يفعل ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ (٤) أي لبعيد وغائب .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ (٤) في الاصل : مدحه .

فليس من الله في شيء : أي ومن يتول الكفرة ، فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعني أنه منسأخ من ولاية الله رأساً . وهذا أمر معقول ، فإن موالاته الولي وموالاته عدوه متنافيان ( إلا أن تتقوا منهم تقاة )<sup>(١)</sup> فرخص في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم ؛ فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ، ينظر<sup>(٢)</sup> زوال المانع ، كما قال تعالى : ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان )<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان . قال أيضاً : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة<sup>(٤)</sup> من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ويخالقوهم في الدين ، وذلك قوله : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة )<sup>(١)</sup> ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم )<sup>(٥)</sup> الآية . قال القرطبي : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم .

قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم )<sup>(٦)</sup> إلى آخر قوله :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ (٢) بمعنى ينظر .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ (٤) أي بطانة وأصحاب سر .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٥١

(فان حزب الله هم الغالبون) <sup>(١)</sup> قال حذيفة : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر ، لهذه الآية : (ومن يتولهم منكم فانه منهم) <sup>(٢)</sup> .

قال مجاهد في قوله تعالى : ( فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ) <sup>(٣)</sup> قال : المنافقون في مصانعة اليهود ، ومداخلتهم ، واسترضاعهم أولادهم وإياهم .

وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (أذلة على المؤمنين) <sup>(٤)</sup> قال : أهل رقّة على أهل دينهم (أعزة على الكافرين) <sup>(٤)</sup> وقال : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم . وكذا نقل معناه عن غير واحد من السلف .

وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ) <sup>(٥)</sup> .  
وقال تعالى : ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ) <sup>(٦)</sup> . والآية بعدها . وقال تعالى : ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥١

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٦

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٣

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٨٠

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٥٧

عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) (١). فقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلًا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: (جاهد الكفار بالسيف) والمنافقين) باللسان (واغاظ عليهم) قال: أذهب الرفق عنهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (جاهد الكفار والمنافقين)، قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقبله، وليلقه بوجه مكفهراً، أي عابس متغير من الغيظ والبغض. ذكره ابن أبي حاتم، وجاء -معناه في حديث- مرفوعاً؛ رواه البيهقي في «الشعب».

وقال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) (٢) الآية. نفي سبحانه وتعالى الايمان عن هذا شأنه، ولو كانت مودته ومحبة ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم، فضلاً عن غيرهم.

وقال تعالى: (ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) (٣) قال ابن عباس: ولا تركزوا، قال: لا تملوا. وقال عكرمة: أن تطيعوهم، أو تودوهم، أو تصطنعوهم. ومعنى تصطنعوهم: أي تولوهم الأفعال، كمن يولي الفساق والفسجاء.

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٣

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣



وقال الثوري : ومن لاق<sup>(١)</sup> لهم دواة، أو برى لهم قلمًا، أو ناولهم قرطاسًا دخل في هذا . قال بعض المفسرين في الآية في النهي : متناول للانحطاط في هواهم ، والاقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيير بزيمهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم . وتأمل قوله ؟ ( ولا تركنوا ) والركون : هو الميل اليسير .

وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة )<sup>(٢)</sup> إلى قوله : ( أولئك هم الظالمون )<sup>(٣)</sup> . وضح أن صدر هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، لما كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم .

وجاء في تفسير قوله تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر )<sup>(٤)</sup> الآية : أنها في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وغيرهم .

وعن ابن جريج ، قال : حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ ، فصكه أبو بكر صكة سقط ؛ فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « أفعلت يا أبا بكر ؟ » فقال : والله لو كان السيف قريباً مني لضربته . فنزلت :

(١) في الاصلات والصحيح لاق من لاق الدواة : اذا جعل لها ليقة وأصلح مداها .

(٢) سورة المتحنة ، الآية : ١ (٣) سورة المتحنة ، الآية : ٩

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) <sup>(١)</sup> . رواه ابن المنذر . وهذا والله أعلم في أول الاسلام ، فان أبا تحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الاسلام ، وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة ، ولم يعد إليها إلا بعد الاسلام في عمره مع النبي ﷺ .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، ووالى في الله ، فانما تناله ولاية الله بذلك . رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتمجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك إلي فتعززت به ، فما عملت فيما لي عليك ؟ قال : يارب ! وما لك علي ؟ قال : هل واليت لي ولياً ، أو عاديت لي عدواً » .

وقال تعالى : ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ) <sup>(٢)</sup> فمقد تعالى الموالاتة بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع . فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٧٣

بالمعروف ، والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله ، والبغض في الله ،  
والمعاداة في الله ، والموالاة في الله ؛ ولو كان الناس متفقين على طريقة  
واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقاناً بين الحق  
والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء  
الشیطان ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث : فروى أحمد عن البراء بن عازب : « أوثق  
عري الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله » وفي حديث مرفوع :  
« اللهم لا تجعل للفاجر عندي بدءاً ، ولا نعمة فيوده قلبي ، فأني وجدت  
فيما أوحى إليّ : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من  
حاد الله ورسوله » . رواه ابن مردويه وغيره .

عن أبي ذرّ مرفوعاً : « أفضل الأعمال الحب في الله ، والبغض  
في الله » . رواه أبو داود ، ورواه أحمد مطولاً . وفي « الصحيحين » :  
عن ابن مسعود مرفوعاً : « المرء مع من أحب » وعن ابن مسعود  
مرفوعاً : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » رواه  
ابن حبان في « صحيحه » .

وعن علي مرفوعاً : « لا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم » رواه  
الطبراني بإسناد جيد . قاله ابن المنذر . وقد روى أحمد معناه : « عن  
عائشة بإسناد جيد أيضاً » عنها مرفوعاً : « الشرك أخفى من ديب

الذّر على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ،  
أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله ، والبغض  
في الله ؟ « قال الله تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم  
الله )<sup>(١)</sup> الآية ، رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد . فقد جعل النبي  
ﷺ في هذا الحديث : الحب على شيء من الجور وإن قل ، والبغض  
على شيء من العدل وإن قل عن الشرك ، فليحذر أشد الحذر من  
موادة أعداء الله من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعاً : « لا تقولوا للمنافق سيّد ، فإنه إن يكن<sup>(٢)</sup>  
سيّداً فقد أسخطم ربكم عز وجل » رواه أبو داود ، والنسائي  
بإسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : « إذا قال الرجل للمنافق :  
يا سيدي فقد أغضب ربه عز وجل » وقال : صحيح الاسناد .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « مثل الذي يعين قومه على غير الحق  
كمثل بعير تردى في بئر ، فهو ينزع بذنبه » رواه أبو داود ، وابن حبان .  
قال ابن المنذر : ومعنى الحديث أنه وقع في الإثم ، وهلك البعير إذا تردى  
في بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث في ذلك  
كثيرة .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ (٢) في الأصل : فإنه إن لم يكن .

## فصل

في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة، فنذكر منها بعضها :

قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( إن الله عليم بذات الصدور )<sup>(٢)</sup> والآية بعدها . قال ابن عباس في الآية : رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والхلف في الجاهلية ، فأنزل الله فيهم نهيهم عن بطانتهم خوفاً للفتنة عليهم : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً )<sup>(٣)</sup> قال : هم المنافقون . رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه قيل له : إن هاهنا<sup>(٤)</sup> غلاماً من أهل الحيرة ، حافظاً ، كاتباً فلو اتخذته كاتباً ؟ قال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبي شيبة .

وعن الربيع : ( لا تتخذوا بطانة ) قال : لا تستدخلوا المنافقين فتولونهم دون المؤمنين وفي « تفسير القرطبي » في الكلام على هذه الآية : نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٨ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١١٩

(٣) في الأصل : هذا

واليهود وأهل الأهواء دخلاً ووليجاً يفاوضونهم في الآراء، ويسندون اليهم أمورهم. ويقال: كل من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تحاذيه. قال: عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل ».

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « اعتبروا الناس باخذانهم. ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصله. قال: « لا يؤلونكم خبالاً » يعني فساداً، يعني لا يتركون فسادكم. قال: وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنه بحساب، فدفعه إلى عمر فأعجبه، فقال لأبي موسى أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال: لم؟! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، قال: فاتهره، وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

ومن كتاب الامام محمد بن وضاح قال: سئل بن<sup>(١)</sup> جاء في الاثر: « من جالس صاحب بدعة فقد مشى في هدم الاسلام ». وقال الأوزاعي: كانت أسلافكم تشهد عليهم - أي على أهل البدع - ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذرون الناس بدعتهم.

(١) كذا في الاصل.

وقال الحسن: لا تجالس صاحب بدعة، فإنه يمرض قلبك وقال إبراهيم: لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم، فإنني أخاف أن ترد قلوبكم. روى هذه الآثار ابن وضاح.

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: اعلم رحمك الله أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة انتهى، فإذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات، ونهيهم عن مجالستهم، فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين، وجفافة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، والسعي في مصالحتهم، والذب عنهم، وتحسين حالهم، مع كونهم بين اثنتين، إما كافر أو منافق، ومن يئسهم بمعرفة الاسلام منهم قليل، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم، وهو معهم يحشر يوم القيامة: قال تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) (١) الآية. وقال تعالى: (وإذا النفوس زوجت) (٢) وقد تقدم الحديث: « لا يجب رجل قومًا إلا حُشر معهم ».

## فصل

في النبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى الله سبحانه عن موالاته الكفار، وشدد في ذلك، وأخبر

(٢) سورة التكوير، الآية: ٧

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٢

أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، وأخبر النبي ﷺ أن من أحب قوماً حشر معهم .

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل في تلك الآيات ، وتعرض للوعيد بمسيس النار ، نموذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

أحدها : التولي العام . الثاني : المودة والمحبة الخاصة . الثالث : الركون القليل . قال تعالى : ( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً )<sup>(١)</sup> فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مداينتهم ، ومداراتهم . قال الله تعالى : ( ودؤالو تدهن فيدهنون )<sup>(٢)</sup> .

الخامس : طاعتهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( ولا تطع كل حلاف مهين )<sup>(٤)</sup> الآيات .

السادس : تقريرهم في الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

(١) سورة الاسراء ، الآيتان : ٧٥، ٧٤ (٢) سورة القلم ، الآية : ٩

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٢٨ (٤) سورة القلم ، الآية : ١٠



- السابع : مشاورتهم في الأمور .
- الثامن : استعمالهم في أمر من أمور المسلمين ، أي أمر كان ،  
إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .
- التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .
- العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .
- الحادي عشر : البشاشة لهم والطلاقة .
- الثاني عشر : الإكرام العام .
- الثالث عشر : استئمانهم وقد خوّنهم الله .
- الرابع عشر : معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل ، كبري القلم ،  
وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم .
- الخامس عشر : مناصحتهم .
- السادس عشر : اتباع أهوائهم .
- السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم .
- الثامن عشر : الرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيي بزيمهم .
- التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات  
وحكاماء ؛ كما يقال للطاغوت<sup>(١)</sup> : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعي علم  
الطب : الحكيم ، ونحو ذلك .

(١) في الأصل : اطواغيت

العشرون : السكنى معهم في ديارهم ، كما قال ﷺ : « من جامع المشركين وسكن معهم ؛ فانه مثلهم » . رواه أبو داود .

إذا تبين هذا ، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم ، أو مع غيرهم ، كما في آية المجادلة ، وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حمية إما بطرح نكاح ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ؛ من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم ، خصوصاً المرتدين ينبغي أن تكون الغاظة عليهم أشد من الكافر الأصلي ، لأن هذا مادي الله على بصيرة ، وعادى رسوله ﷺ بعدما عرف الحق ثم أنكره وعاداه والعياذ بالله ، فإذا كان من أمان ظالماً ، فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يمين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟! وإذا كان من أمان ظالماً مسلماً في خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكاً لظالم<sup>(١)</sup> ، فكيف بمن يمين الكفار ، ويذب<sup>(٢)</sup> عنهم عند الأمراء ؟!

وإذا كان الحرامية الذين يأخذون أموال الناس ، إذا بذلوا للأمر ما لا على أن يكف عنهم ، فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسر إلى الكفار المودة ؟ ويعلمهم أنه يحبهم ليوصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وغيره لكن طرح النكاح إن كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن .

(١) في الاصل : خصومة ظلم يكون عند حاكم شريك لظالم (٢) في الاصل : وذب .

وإن كان عن مرتد، فلا نعماً لعثرته ولا كرامة. ويكفي في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود، قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسرى وفيهم العباس، فقال رسول الله ﷺ: «ما تأمرون في هؤلاء الأسرى؟» فقال أبو بكر: قومك يا رسول الله وأهلك، فاستبقهم لعل الله يتوب عليهم. وفي حديث أنس، عن أحمد: نرى أن تعفو عنهم، وتقبل منهم الفداء. رجع الحديث إلى ابن مسعود، فقال عمر: يا رسول الله! كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك، قدمهم فاضرب أعناقهم. فدخل النبي ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فخرج رسول الله ﷺ، وقال: «يا أبا بكر! مثلك مثل إبراهيم عليه السلام، قال: (فن تبغي فإنه مني ومن عصاني فإنه غفور رحيم)»<sup>(١)</sup>. ومثلك يا عمر كمثل نوح قال: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً)<sup>(٢)</sup> أنتم حالة، فلا ينفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق» فأنزل الله: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)<sup>(٣)</sup> الآيتين مختصراً. وفي حديث أنس: فأنزل الله (لولا كتاب من الله سبق)<sup>(٤)</sup> الآية. وفي حديث ابن عمر، عن أبي نعيم: فلقى رسول الله ﷺ عمر فقال: «كاد أن يصيبنا في خلافك شر». وفي رواية عنه عند ابن

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٧

(٤) سورة الانفال، الآية: ٦٨

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦

(٣) سورة الانفال، الآية: ٦٧

المنذر وابن مردويه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كاد لي مسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، ولو نزل عذاب ما أفلت إلا عمر». فاذا كان هذا في رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه، ونصح لله ولرسوله ﷺ، فما ظنك بمن يفعل ذلك حميةً دنيويةً لا لغرض دين، ولا يقصد وجه الله بذلك، بل لا يقصد إلا الدنيا! فإن قيل: فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يذم أبا بكر على التشبيه، بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام، وشبهه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام.

قيل: المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة، لا في خصوص هذه المسألة، فإن الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب الله، ومع ذلك توعد الله في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب الله أنه رأي للصديق رضي الله عنه الذي اجتهد فيه، فكيف بمن ينصح لهم، ويفرق بهم، ويرى الكف عن القتال، ويشير باسقاط النكال عنهم من غير مسوغ شرعي بل مجرد المحبة الدنيوية. وأما من يشير بكف المسلمين عنهم، فإن كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الاسلام، أو دخلوا فيه، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب، وكان المصلحة في تركهم قليلة<sup>(١)</sup> ونحوه؛ يجوز ذلك. وإن كان المراد به أن لا يتعرض

(١) في الأصل: قليل.

المسلمون لهم بشيء لا يقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سهم أصاب وراميه [بذي سلم] <sup>(١)</sup> من بالعراق لقد أبعدت مرمك  
وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين ،  
فهذا عند الفقهاء منخبط آثم ، لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين  
في حال الردة ، خصوصاً من تكرر منه الردة مراراً ، فإنه لا يقصد  
بذلك في هذا الزمان إلا الإغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم  
المعاونة على الإثم والعدوان ولهذا لما صار هذا أمراً سائفاً عند بعض  
الناس انفتحت للبدوان <sup>(٢)</sup> أبواب الردة ، وأتوها مهطمين من كل وجه ،  
ولو كان هذا مصلحة في بعض الأوقات رآها بعض الأمراء ، فلا  
يجب طرد ذلك لكل أحد في كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاته نفاق ، أم يكون  
كفرأ ؟ فالجواب : إن كانت الموالاته مع مساكنتهم في ديارهم ،  
والخروج معهم في قتالهم ، ونحو ذلك ، فإنه يحكم على صاحبها بالكفر ،  
كما قال تعالى : ( ومن يتولهم منهم فإنه منهم ) <sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( وقد

(١) سقطت من الاصل ، والبيت للشريف الرضي من إحدى حجازياته .

(٢) لعله يريد بذلك البدو (٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١

نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستنزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم<sup>(١)</sup>.  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من جامع المشركين ، وسكن معهم فانه مثلهم » وقال: « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين ». رواها أبو داود .

وإن كانت الموالات لهم في ديار الاسلام إذا قدموا إليهم ونحو ذلك ، فهذا عاص ، آثم ، متعرض للوعيد وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزرع أمثاله . وإن كانت الموالات لأجل دينهم ، فهو مثلهم ، ومن<sup>(٢)</sup> أحب قوماً حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله: همية دنيوية ، يمكن هذا لإبلاغ المحبة في قلوبهم ؛ وإلا فلو كان يبغضهم في الله وما يعاديهم ، لكان أقر شيء لعينه ما يسخطهم ؛ ولكن كما قال ابن القيم :

تُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ ، وَتَدَّعِي حُبَّالَهُ ، مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ  
وأما قول السائل : فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟ فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكاً في كفرهم ، أو جاهلاً به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ؛ ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم ، أو يقول : أقول : غيرهم كفار ، لا أقول : إنهم

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠ (٢) في الاصل : ولن

كفار . فان كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم ؛ فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر باجماع العلماء ، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر<sup>(١)</sup> .

وإن كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ، ويدخل في قوله تعالى : ( وذؤا لو تدهن فيدهنون )<sup>(٢)</sup> وله حكم أمثاله من أهل الذنوب .

وإن كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقولهم كفار ، فهذا حكم منه باسلامهم ، إذ<sup>(٣)</sup> لا واسطة بين الكفر والاسلام ، فان لم يكونوا

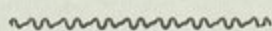
(١) أقول : لاشك أن من دعا غير الله ، أو ذبح لغير الله ، أو استغاث بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أنه كافر ، لانه صرف العبادة لغير الله كحال عباد البدوي والميدروس ، وعلي بن أبي طالب وأمثالهم ، ولقد زلت قدم بعض الناس بمن بدعي وينسب نفسه إلى العلم فقال : إن الرافضة ليسوا بكفار ولا يخرجهم من الاسلام ، وأباح أكل ذبائحهم ، حتى أعان الله على بيان خطئه وعرفه الناس . وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية : من دعا علي بن أبي طالب فهو كافر . ومن شك في كفره فهو كافر . وهذا الحكم شامل لكل من دعا غير الله . وإذا سئل هذا المفتي عن ذبيحة الرافضي : قال سماها الله عليها وكلوها . ولا أدري هل هذا مبلغ علمه أو مغالطة وتلبيس ؟ فليس النزاع في التسمية ، بل النزاع في أنها ذبيحة مشرك ، فلا تحل ولو سمي عليها كما يسمي المسلمون ، والمعجب كل المعجب أنه نجدني نشأ في ديار الموحدين أهل البصائر في الدين .

(٣) في الاصل : إذا

(٢) سورة القلم ، الآية : ٩

كفاراً فهم مسلمون، وحينئذٍ فمن سمي الكفر إسلاماً أو سمي الكفار مسلمين فهو كافر، فيكون هذا كافراً.

وأما قوله: إذا عرفت هذا من إنسان، ماذا يجب عليك؟ فالجواب: يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى الله سبحانه، وتعرفه قبيح ما ارتكبه، فإن تاب فهذا هو المطلوب، وإن أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه، إن كان كفراً فكافر، وإن كان معصية أو إثمًا فعاص آثم، يجب الإنكار عليه، وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب وقد هجر النبي ﷺ من تخلف عن غزوة واحدة، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم، فكيف بمن يوالي الكفار، ويظهر لهم المودة؟ هذا ما<sup>(١)</sup> نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ رحمه الله وعفا عنه.



(١) في الاصل: بما .



هذا سؤال أورده الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الاصعاء، فأجاب الشيخ العالم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين هذا الجواب .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما قولكم - دام فضلكم - في تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهي ؟ وما معنى الآله ؟ وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

الجواب<sup>(١)</sup> : الحمد لله رب العالمين . أما العبادة في اللغة فهي من

(١) الحبيب هو الامام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين تصغير بطن المائذي عائذ الظفير . ولد رحمه الله في الروضة من بلدان سدير في نجد ، وتلقى العلم عن أكبر علماء عصره ، وارتحل الى شقرا من بلدان الوشم ، وقد تولى قضاء الطائف بأمر الامام سعود بن عبدالعزيز ، وفي أيام الامام تركي بن عبد الله طلب أهل عنيزة من الامام تركي أن يرسله إلى عنيزة ليكون قاضياً ومدرساً ، فأجابهم الامام وأمر بالارتحال إليهم ، وذلك في حدود سنة ١٢٥٠ هـ فتوجه إليها وأخذ معه جدي الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع ، وكان ملازماً للقراءة عليه ، وقد تزوج بنته خجاءت بابنتين :

أحدهما : عمي عبد الرحمن بن محمد بن مانع تلميذه وتلميذ الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وتلميذ الشيخ عبد اللطيف ، ولما مات الشيخ عبد الرحمن بن حسن سنة ١٢٨٥ هـ رثاه بمرثية أثبتها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى صاحب تاريخ

الذل . يقال : بعير معبّد : أي مذلل . وطريق معبد : إذا كان مذلاً ،

— «عقد الدرر» بتاريخه ، وفيها يقول في ذكر آل الشيخ :

أولئك أشياخي وقومي وسادتي ومقدوتي حتى أوسد في قبري  
وقد تولى قضاء القطيف للإمام عبد الله بن فيصل ، وترجمه الزركلي في  
«الأعلام» ، ومات بالأحساء .

والابن الثاني : والذي عبد العزيز بن محمد بن مانع ، وقد أخذ العلم عن والده  
وعن العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وغيرهما .

ولما تولى القضاء واجتهد في نشر العلم ، بعث إليه العلامة الشيخ إبراهيم بن صالح  
بن عيسى الأشيقرى قصيدة يقول فيها :

سلام سليم كالجان المنضد روح على قطر القصيم وبمئدي

أخص به عبد العزيز بن مانع إمام الهدى والدين نجل محمد

إمام به الفيحاً عنيزة أشرفت وفاقت سمواً فوق غفر وفرقد

ومات سنة ١٣٠٧ هـ وللعلامة الشيخ عبد الله ابن بطين عدة مؤلفات

مذكورة في غير هذا الموضع ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٨٢ هـ في شقرا ،  
وقد أقام في عنيزة نحواً من عشرين سنة رحمه الله تعالى .

وهذه فائدة ينبغي ذكرها هنا وهي :

أن السجود لله عبادة ، فصرفه لغير الله شرك . وقد ذكر ابن القيم في «إغاثة

الاهلغان» أن الانحناء للمخلوق ، من السجود . وأطال رحمه الله الكلام في هذا

الشأن ، وما شاع وذاع بين كثير ممن لم يقدر الله حق قدره في كثير من

الأمصار أن بعض الهمج الرطاع بمن أدل نفسه وصرف عبادة ربه للمخلوق مثله ،

ان هذا الجاهل اذا سلّم على من بمظمه ، قبل يده ، ثم وضع جبهته عليها ، فاذا

كان تقبيل اليد جائزاً على أحد الأقوال ، فوضع الجبهة على اليد حرام بلا نزاع ،

لأنه سجود لغير الله ، فهو من أنواع الكفر التي يجب إنكارها . وقد علمنا أن

بعض المدرسين بمد إتمام الدرس يتهافت على يده وتقبيلها والسجود عليها الجهال ،

فأي فائدة حصلت من هذا الواعظ اذا كان يقر الكفر ولا ينكره ، نسأل الله

السلامة ، والاستقامة على الحق .

قد وطئته الأقدام ، وكذلك الدين أيضاً من النذل . يقال : دنته فدان ؛ أي أذلتته فذل .

وأما تعريفها في الشرع ، فقد اختلفت عباراتهم في تعريفها والمعنى واحد فعرّفها طائفة بقولهم : هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي . وعرّفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع . وقال أبو العباس رحمه الله تعالى : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة ؛ فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبرّ الوالدين . وصله الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الأدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه . والشكر لنعمة ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والزجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ؛ فالدين كله دخل في العبادة . انتهى .

ومن عرّفها بالحب مع الخضوع ؛ فلا أن الحب التام مع النذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذي ذلّه الحب والخضوع لمحبوبه ، فيحسب محبّة العبد لربه وذله له تكون طاعته .

فحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ،  
والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ؛ فهي تتضمن غاية  
الذل لله بغاية المحبة له ؛ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس العبادة غير  
توحيد المحبة ، مع خضوع القلب والأركان :

والحب نفس وفاقه فيما يحب      وبنفس مالا يرتضي بجنان  
ووفاقه نفس أتباعك أمره      والقصد وجه الله ذي الاحسان

فعرّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ؛ فمن  
أحب شيئاً وخضع له ، فقد تعبّد قلبه له ؛ فلا تكون المحبة المنفردة عن  
الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلا محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون  
الآخر فمن خضع لإنسان مع بغضه له ، لم يكن عابداً له ، ولو أحب شيئاً  
ولم يخضع له ، لم يكن عابداً له ، كما يحب ولده وصديقه . ولهذا لا يكفي  
أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل  
شيء ، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة  
الكاملة ، والذل التام إلا الله سبحانه . إذا عرف ذلك فتوحيد العبادة  
هو إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها ، وهو نفس العبادة  
المطلوبة شرعاً ، ليس أحدهما دون الآخر ؛ ولهذا قال ابن عباس : كل  
ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذي

دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون .  
 وأما العبادة من حيث هي ، فهي أهم من كونها توحيداً عمومياً  
 مطلقاً ، فكل موحد عابد لله ، وليس كل من عبد الله يكون موحداً .  
 ولهذا يقال عن المشرك : إنه يعبد الله مع كونه مشركاً . كما قال  
 الخليل عليه السلام : ( أفرايتم ما كنتم تعبدون . أنتم وأبائكم الأقدمون فانهم  
 عدوي وإلا رب العالمين ) <sup>(١)</sup> وقال عليه السلام ( إنني براء مما تعبدون  
 إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ) <sup>(٢)</sup> فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم ،  
 فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه . فان قيل : ما معنى النفي في قوله  
 سبحانه : ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) <sup>(٣)</sup> قيل : إنما نفى عنهم الاسم  
 الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث  
 والتجدد .

وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في  
 «بدائع الفوائد» فقال لما أنجز كلامه على سورة (قل يا أيها الكافرون) :  
 وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم  
 الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ،  
 وذلك والله أعلم - لحكمة بديعة ، وهي أن المقصود الأعظم براءته من

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧ (٢) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦ و٢٧

(٣) سورة الكافرون ، الآيات : ٥ و٣

معبودهم بكل وجه وفي كل وقت ، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت ، فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني ، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شائي ، فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فأنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أي الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم ، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة . لم يشرك معه فيها أحداً ؛ وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبوده في بعض الأحيان فإن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ( وإذ اعتزلتموه وما يعبدون إلا الله )<sup>(١)</sup> أي اعتزلتم معبوديهم إلا الله فإنكم لم تعزلوه .

وكذا قول المشركين عن معبوديهم : ( إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى )<sup>(٢)</sup> فهم كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه غيره ؛ لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفى الوصف ، لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله موصوفاً بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٦ (٢) سورة الزمر ، الآية : ٣

بأنه عابد لله وإن عبده ، ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بكلية ، وتبتل إليه بتبليلاً ، لم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحداً في عبادته ، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحد سورتي الإخلاص التي تمدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه الله فهماً من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

وأما الإخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيتة ، وهذه هي الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) <sup>(١)</sup> وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) <sup>(٢)</sup> .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية ، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه .

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠

نياتهم ، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، وبعمال الأعمال وآفاتهما ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلّة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تنقلب علي .

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد .

وقال سهل بن عبد الله : ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر . فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ؛ لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى .

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهي أو مطلق ؟ فقد قدّمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة



عموماً مطلقاً ، وأن العبادة المطلوبة شرعاً هي نفس توحيد العبادة. ودل  
 كلام ابن القيم - رحمه الله - أن توحيد العبادة أعم من الاحلاص حيث قال:  
 فلو اُحدٍ كن واحداً في واحد أعني سبيل الحق والايان  
 هـ - ذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن  
 أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الايمان  
 فنقوم بالاحلاص والايان وال إحسان في سر وفي إعلان  
 والصدق والاحلاص ركننا ذلك الـ و حيد كالركنين للبنيان  
 إلى أن قال :

وحقيقة الاحلاص توحيد المرا دفلا يزاحمه مراد ثاني  
 والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلاً ولا متواني  
 والسنة المثل لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان  
 فقوله رحمه الله : والصدق والاحلاص ركننا ذلك التوحيد؛ جعل  
 الاحلاص أحد ركني توحيد العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسّر  
 الصدق بما ذكر وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص .  
 ففرقنا - رحمه الله - أن توحيد العبادة أعم من الاحلاص ، ولم يذكر إلا  
 عموماً مطلقاً .

وأما العموم الوجهي ؛ فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيتين  
 ( توحيد - ١٣ )

أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذي بين مطاق العبادة وبين توحيد العبادة ، والاخلاص مطلقاً لا وجهي . وأما إله فهو الذي تأله القلوب بالحب ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرغبة ، والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والذبح ، والنذر ، والسجود ، وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو إله بمعنى مألوه ؛ أي معبود . وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله .

قال الجوهري : إله - بالفتح - إلهة ، أي عبد عبادة . قال : ومنه قولنا : الله وأصله إله على فيعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه بمعنى معبود ؛ كقولنا : إمام ، فمال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به . قال : والتأليه : التعبيد . والتأله : التنسك والتعبد . قال رؤبة : سجن واسترجمن من تأله . انتهى .

وقال في القاموس : إله إلهة وألوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة . واختلف فيه على عشرين قولاً ، يعني في لفظ الجلالة . قال : وأصله إله بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله : التنسك والتعبد انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشرّاح الحديث والفقهاء وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود ، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع ، وهذه زلة عظيمة وغلط

فاحش ، إذا تصوّرهُ العاقل تبيّن له بطلانه ، وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرّون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون . ومن أبعاد الأشياء أن عاقلاً يتمتع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويمترف به ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً : هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنّه من أئمة المتكلمين ، حيث ظنّ أن الالوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله ، فإن المشركين كانوا يقرّون بهذا التوحيد . كما قال تعالى ( ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ؟ )<sup>(٢)</sup> الآيات . وقال تعالى : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون )<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عباس : تسألهم من خلق السماوات والأرض ، فيقولون

الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره .

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢٥ (٢) سورة المؤمنون ، الآيتان : ٨٤ و٨٥

(٣) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به  
الواجب ، ولا يخلص بمجردة عن الاشرار الذي هو أكبر الكبائر  
الذي لا يغفره الله ، بل لا بد أن يخلص الله الدين ، فلا يعبد إلا إياه ،  
فيكون دينه الله . والإله هو المألوه الذي تألمه القلوب ، فهو إله بمعنى  
مألوه لا بمعنى إله . انتهى .

وقد دلّ صريح القرآن على معنى الإله ، وإنه هو المعبود كما في  
قوله تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا  
الذي فطرني فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه )<sup>(١)</sup>  
قال المفسرون : هي كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، باقية في عقبه ؛ أي  
ذريته .

قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده والمعنى :  
جمل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية  
إبراهيم ، بتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة :  
لا إله إلا الله .

فتبين أنّ موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه هو  
معنى لا إله إلا الله .

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٨

تعريفها، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والنوكل والذبح والنذر وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير، واتخذها إلهًا، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرًّا من تسمية فعله ذلك تأثها وعبادة وشركاً.

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلو سمي الزنا والربا والخمر بتغير أسمائها، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زناً ورباً وخمراً ونحو ذلك. ومن المعلوم أن الشرك إما حرّم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبباً الرب وتنقصه، وتشبيهه بالخلقين، فلا تزول هذه المفاسد بتغير اسمه؛ كتسميته توسلاً وتشفعاً وتمظيماً للصالحين، وتوقيراً لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن الزاني زان شاء أم أبى، والمرابي مراب شاء أم أبى.

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها، وذمهم على ذلك، فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم، وغير اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعاً ونحو ذلك؛ والله الهادي إلى سواء السبيل.

وأما تعريف الطاغوت فهو مشتق من طغا، وتقديره طغوت،

ثم قلبت الواو ألفاً . قال النحويون : وزنه فعلوت ، والتاء زائدة . قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث قال تعالى : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به )<sup>(١)</sup> فهذا في الواحد . وقال تعالى في الجمع : ( والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور إلى الظلمات )<sup>(٢)</sup> وقال في المؤنث : ( والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدها )<sup>(٣)</sup> قال : ومثله في أسماء الفلك ؛ يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً ومؤنثاً . قال الليث وأبو عبيده والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله وقال الجوهري الطاغوت : الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال . وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوي جداً ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والاستنصار بها . وقال

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٠

(٣) سورة الزمر ، الآية : ١٧

الواحدي عند قول الله تعالى ( يؤمنون بالجبت والطاغوت )<sup>(١)</sup> كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت .

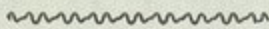
قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت : الأصنام ، و الطاغوت : تراجمة الاصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يعبرون عنها بالكذب ليضلوا الناس . وقال في رواية الوالبي : الجبت : الكاهن ، و الطاغوت : الساحر . وقال بعض السلف في قوله سبحانه : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت )<sup>(٢)</sup> إنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حبي بن أخطب ؛ وإنما استحقها هذا الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ، ولا فراطهما في الطغيان ، وإغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله ، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ( يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ) لما ذكر ما قيل : إنها نزلت في طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف ، أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فإنها دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ؛ وهو المراد بالطاغوت ههنا فتحصل من مجموع كلامهم - رحمهم الله - أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضاً كل

(١) سورة النساء ، الآية : ٥١

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٠

من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر، وسدنة الأوثان إلى عبادة القبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة للجهال، الموهمة أن القبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن القبور ونحوه يقضي حاجة من قصده، فيوهمهم في الشرك الأكبر وتوابعه وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان؛ فهو الطاغوت الأكبر، والله سبحانه وتعالى أعلم. هذا ما جمعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين شكر الله سعيه.





هذه رسالة

## أسباب نجات السؤل من السيف المسلول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

ماقولكم علماء المسلمين في رجل يقول: نحن نقول: لا إله إلا الله ولا تكفون عنا؛ والكفار الأولون إذا قالوها كف عنهم؛ وأنتم تقولون: إنكم تقولونها وتشركون، فما نقول حتى تكفوا عنا؛ أفبتونا مأجورين .

المسألة الثانية: هل يلزم الرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة أم لا؟ وما يجب عليه في ذلك؟ يتناولنا الجواب رحمكم الله .

الحمد لله الذي جبل عباده على طبائع شتى، فمنهم شاكر، ومنهم كفور، وجعلهم فريقين: فريق منهم يتقربون إليه بالذبح لغير الله، والنذر للطواغيت، وبالدف والطبل والزمور<sup>(١)</sup>، وفريق منهم يتقربون إليه بتوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، وبالحج المبرور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهادة عبد مخلص في

(١) في الأصل: الزبور .

توحيد غير شك ولا كفور . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحبب به الملة الحنيفة حتى أضاء الحق ، وتمزق الديجور ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان ، صلاة دائمة إلى يوم البعث والنشور وسلم تسليماً .

أما بعد : فالجواب عن المسألة الأولى وهي قول السائل : ماتقولون في : لا إله إلا الله ؟ فنقول : لا إله إلا الله هي كلمة الإسلام ، وهي مفتاح دار السلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي قامت به الأرض والسموات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، ولاجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي محض حق الله على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهي العمود الحامل لفرض السنة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهي المنشور الذي لا يدخل الجنة أحدٌ إلا به ، والحبل الذي لا يصل إلى الله إلا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ، ومقبول وطريد ، فهي وإن كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال .

فإذا كان إمام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا إله إلا الله ، ولم تتم له المحبة والموالاتة وهو إمام المحبين إلا بالمعاداة ، كما قال تعالى : ( أفأرأيتم

ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدوا لي إلا رب العالمين<sup>(١)</sup> فإنه لا ولي إلا يبرأ ، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا إله إلا الله كما قال تعالى : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني فإنه سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه )<sup>(٢)</sup> فأورثها إمام الخنفاء عليه السلام لاتباعه يتوارثونها الأنبياء بعضهم لبعض .

فلما بعث بها محمد ﷺ ، ودعا إليها ، أمره الله أن يبين هذين الركنين ؛ كما ذكر الله ذلك في سورة « الاخلاص » أمره أن يقول : ( قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . . إلى قوله : لكم دينكم ولي دين )<sup>(٣)</sup> .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم إلى قول : لا إله إلا الله قالوا : ( أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشيء عجاب )<sup>(٤)</sup> .

وكذلك ماجرى له ﷺ مع عمه عند وفاته لما قال له : يا عم قل : لا إله إلا الله ، وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية ، فقالا له : أرغب

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧

(٢) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٨

(٣) سورة الكافرون ، الآيات : ١ - ٦

(٤) سورة ص ، الآية : ٥

عن ملة عبد المطلب؛ عرفوا معناها أن فيها التولي والتبري<sup>(١)</sup>.

وكذلك ﷺ أمره الله أن يدعو أهل الكتاب إليها وهم يقولونها.  
قال تعالى: ( قل يا أهل الكتاب آملوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله )<sup>(٢)</sup> الآية.

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال: « من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل ». فتبين بذلك خطأ المغرورين، وبطلان حجة المبطلين، فإن لا إله إلا الله معناها كما تقدم الزني والانبث، وحققتها الموالات والمعاداة، ثم لا بد مع ذلك من البغض والاعتزال الداعي والمدعو، والعابد والمعبود مع الكفر بهم، كما ذكر الله ذلك. قال تعالى: ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا القومهم إنا

(١) واقد ضل عن الصراط المستقيم، ونابد الكتاب العزيز، وسنة انصاف المصدوق؛ من زعم إسلام أبي طالب وفي عدم إسلامه عبرة للمعتبر وتبصرة للفتبر، يتبين منها أنه لا ينجي العبد من النار إلا متابعة ما جاء به النبي ﷺ من التوحيد والعمل الصالح. وأما الانساب والقرايات فلا تنجي وحدها من النار، والغلاة جهلوا ذلك. وحدثني كافر في لبنان قد ارتد آباؤه عن الإسلام وهو يتبجح بأنه علوي من أبناء فاطمة، فقلت: ما ينجيك من عذاب الله إلا الإسلام.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤

بُرَاءُ مَنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ (١).

وكذلك ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه مع قومهم من الاعتزال  
والعداوة العظيمة، وما جرى لسعدٍ مع أمه (٢) رضي الله عنه. وكما  
ذكر الله ذلك أيضاً عن الخليل عليه السلام مخبراً، قال تعالى: (واعتزلكم  
وما تدعون من دون الله) (٣) الآية وقال تعالى مخبراً عن أهل الكهف:  
(وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) (٤) فذكر الله عنهم في هذه  
الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين، واعتزلهم قبل المعبودين،  
فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان إذا كان علماءهم لا يعرفون  
معناها كما عرف جهال الكفار؟ ولا يعملون بمقتضاها ولا حقيقتها،  
بل عندهم لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ما كره؛ وهي كلمة عليها  
أُسِّسَتِ الملة، ونصبت القبلة، ونبه الله على فضلها، وعظم شأنها أنبياءه  
ورسله.

قال تعالى في حق نبيه محمد ﷺ: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (٥)

(١) سورة المنتحنة، الآية: ٤

(٢) أي لما أسلم سعد وأبت أمه أن تسلم، ومنعت نفسها من الأكل إلا إذا رجع

سعد إلى دينها والحديث مشهور، وهو في رياض الصالحين.

(٣) سورة مريم، الآية ٤٨ (٤) سورة الكهف، الآية: ١٦

(٥) سورة محمد، الآية: ١٩

انزلت عليه ﷺ هذه الآية الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة، وكذلك في الحديث المشهور عنه ﷺ: «أن موسى قال: يا رب اعلمي شيئاً أذكرك وأدعوك به قال يا موسى اقل: لا إله إلا الله. قال يا رب اكل عبادك يقولون هذا. قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهن لا إله إلا الله.»

فليتأمل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة، وعظم أركانها في المبتدى، وفضلها وعظم شأنها في المنتهى؛ فإذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة في البداية، والتنبيه على فضلها، وعظم شأنها في النهاية مع سيد المرسلين، وموسى الكليم عليهما السلام، فمن الظن بغيرهما، والآيات والأخبار في ذلك كثيرة معلومة؛ وإنما ذكرنا إشارة على ما قيدت به من القيود.

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشرح في ذلك، ولكن ما تسمعه هذه الأوراق؛ ومعناها الجامع: لا إله، أي لا معبود في الوجود بحق إلا الله، ولا أجل هذا المعنى قال تعالى: (المراتب كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير. ألا تعبدوا إلا الله) (١) فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتاباً محكماً، مفصلاً، ألا يعبدوا إلا

(١) سورة هود، الآيات: ٢٠١

هو . وقوله : ( أن لا تعبدوا )<sup>(١)</sup> من : إرادة من أجل ألا تعبدوا إلا الله ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضاً هو معنى لا إله إلا الله .

وأما الإله فأصله في اللغة من الوله يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل إذا اشتد حبه إلى أمه ، فقلبت الواو همزة فالإله من تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والابانة والذبح والنذر والرغبة والرهبه والخشية والتوبة ؛ فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف إلا به .

وسر لا إله إلا الله إفراد الله بذلك كله وتوابعه ، والإله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشيء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرك فهو إله ؛ كما في حديث أبي واقد اللبثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين . ونحن حُدُنا عهد بكفرٍ ، وللمشركين سُدرة مكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط فررنا بسُدرةٍ أخرى ، فقلنا يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال ﷺ : « الله أكبر » - ثلاثاً - إنها السنن قلتم ، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة قال : « لتركبن سنن من كان قبلكم » . رواه الترمذي وصححه .

ومن لوازم الاله ألاّ يلتجأ إلا اليه ، ولا يطاع إلا أمره ، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، فان المحقق هو المتيقن بقلبه ، القائم بها قولاً وفعلاً . قال تعالى : ( والذين هم بشهاداتهم قانعون )<sup>(١)</sup> فلم يكن قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه ، وفي قلبه وقالبه ، إلا من كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه ، فلا أنفع للعبد من إقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتعمه بتوحيده ، ومحبه وإثاره لمرضاته . ويتفاوت في ذلك الخلق تفاوتاً عظيماً ، حتى أن منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما في حديث السبعين الألف ، ووصفهم عليهم السلام بأنهم « الذين لا يسترقون ، ولا يكتونون ، ولا ينطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فأهل لا إله إلا الله ، المحققون لها في نعيم الدنيا ، وفي البرزخ ، وفي الآخرة في الجنة ، وحرّمهم الله على النار . وبقدر ما ينقص العبد في معرفتها ، والعمل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق العمل بعقمتها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط في الدنيا إلا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط في الآخرة بقدر سيرهم واستقامتهم ؛ فمعطى ومحروم ، والفضل بيد الله ، نسأل الله الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنا والمسلمين عند الوفاة عليها برحمته إنه أرحم الراحمين .

(١) سورة المارج ، الآية : ٣٣



## فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ؛ فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الله شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، ويبيّن لنا الحكمة في ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى : (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) <sup>(١)</sup> قال المفسرون : أي شرك : (ويكون الدين كله لله) <sup>(٢)</sup> والدين اسم عام ؛ وهو ما بعث الله به محمداً ﷺ ، كما قال تعالى : (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص) <sup>(٣)</sup> وقال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) <sup>(٤)</sup> وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا يشرك به شيئاً » ... الحديث .

الوجه الثاني : أن الله أمر بقتال المشركين كافة ، ويبيّن لنا ذلك . قال تعالى : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) <sup>(٥)</sup> إلى قوله : (فإن تابوا) أي عن الشرك (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) <sup>(٦)</sup> فبيّن سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الإسلام

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩ (٢) سورة الزمر ، الآيات : ٣٥ و٣٦

(٣) سورة البينة ، الآية : ٥ (٤) سورة التوبة ، الآية : ٥

(٥) (توحيد - ١٤)

الظاهرة؛ وهي هذه الثلاثة الأركان<sup>(١)</sup> كما ذكر الله في الآية المتقدمة في قوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)<sup>(٢)</sup> إلى قوله (وذلك دين القيمة)<sup>(٣)</sup> وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل».

وهذه الثلاثة الأركان أيضاً أمر ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن أن يدعو إليها، ونبّه على الأثم فالأثم، كما في حديثه، وأخذ بذلك الخلفاء رضي الله عنهم، فأبو بكر قاتل ما نعي الزكاة وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقاتلوا طوائف أهل الردة وهم يقولونها. وهذا الذي ذكرنا هو الذي يجب به الكف عن قتال العامة إذا أقاموه كما تقدم.

الوجه الثالث: ما يجب به الكف عن الخاصة في مثل هذا الزمان وغيره، فهي الكلمة التي تفيد الفعل والترك، كما في حديث أبي معبد المقدم بن الأسود قال: قلت: يا رسول الله! أ رأيت إن لقيت رجلاً

(١) في الاصل: هذه الثلاثة أركان.

(٢) سورة البينة، الآية: ٥.

من المشركين ، فاقتلنا ، فضرب إحدى يدي بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسلمت لله ، أأقتله ؟ قال : « لا ، فانك إن قتله كان بمنزلك ، وكنت بمنزله قبل ذلك » متفق عليه .

والمعنى : أنه بمنزلك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزله ، أي مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزله في الدين ، والله أعلم .

فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولا بد مع ذلك أن يكون بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، فإن اختلف نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً كما ذكر الله ذلك ويدينه في كتابه ، فاذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد<sup>(١)</sup> يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام في غزوة تبوك : ( لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى في حق الآخرين : ( ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم )<sup>(٣)</sup> .

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جملوا التلفظ بها إعادة وهدياناً ؛ والقعقة بحروفها ، فهي عند الإسلام والإيمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذي هو حق لله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد

(١) في الاصل : ثم حدث منه قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٦ (٣) سورة التوبة ، الآية : ٧٤

والأوثان، وضيّعوا الفرائض وسأثر الأركان، وزين لهم ما ارتكبهوا من التبذع والتنطع والعصيان، إلا أنهم يقولون: لا إله إلا الله، فما أحسن ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: لا إله إلا الله مماها الله كلمة التقوى، فجملوا كلمة الفجور. وذكرنا عليها إشارة على طريق الإيجاز والاختصار، خشية الإطالة والله المستعان.

وأما الذي يجب به الكف عن القتال، فهو لا بد من إقامة أعلام الإسلام الظاهرة المتقدمة في الآيات المحكمات، ذكرها الله بعد الأمر بالقتال، وكذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة، فبدأ بالتوحيد، وترك الشرك، ثم ذكر بعده: (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) <sup>(١)</sup> ثم ذكر بعد ذلك: (فخلوا سبيلهم) <sup>(٢)</sup> والنبي صلى الله عليه وسلم قال بعد ذكره الثلاثة: «فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام» وفي بعض الآيات: (ويكون الدين كله لله) <sup>(٣)</sup> وهذا الذي يجب به الكف، كما دل عليه الكتاب والسنة، وفعل سلف الأمة، وهذا الذي عليه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما الخاصة: فهو كما قدمنا يجب الكف إذا أظهر بقول أو فعل ما يدل على تركه دينه ودخوله في الإسلام كما تقدم في الحديث.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥ (٢) سورة الانفال، الآية: ٣٩

وليس المراد بالجواب الخاصة، إنما يراد به العامة، فإذا وجدت (١) طائفة ممتعة عن إحدى الثلاثة المذكورة، قوتلوا إما التوحيد الذي هو محض حق الله على العبيد، أو الصلاة التي هي الفارقة بين الكفر والاسلام، أو الزكاة التي أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها. وكذلك أجمع العلماء أيضاً على ذلك، وتتبع ما ورد في ذلك يطول، إذ كل مصنف ذكر ذلك، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم الله، وهذا مصرح به في كتبهم؛ ولو قالوا: لا إله إلا الله لم يكف عنهم، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضاً، ولكن: (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) (٢).

## فصل

وأما المسألة الثانية؛ هل يلزم الرجل أن يتبع مذهباً من المذاهب الأربعة أم لا؟

فالجواب: أن الله أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربه، كما ذكر الله ذلك في آي القرآن، وما جاء به نبيهم محمد ﷺ كما أمر الله بذلك، ودلت عليه السنّة. وعلق الله النجاة والفلاح باتباعه

(١) في الأصل: إذا كان موجوداً.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٧.

ﷺ ، وذكّر الله ذلك في كم موضع<sup>(١)</sup> . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلاً بعينه غيره ﷺ ، وانقسم<sup>(٢)</sup> في ذلك الناس أقساماً ، وتحزبوا أحزاباً ، وصار ( كلّ حزب بما لديهم فرحون )<sup>(٣)</sup> والاتباع والافتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر الله عن الكفار : ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟ )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا )<sup>(٦)</sup> الآية ، وقال تعالى : ( يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً )<sup>(٧)</sup> الآية .

النوع الثاني: ما ذكره الله عن أهل الكتاب في تقليدهم ، واتخاذهم

(١) أي في عدة مواضع . (٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٥٣

(٣) في الاصل : وانقسموا . (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ (٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤

(٧) سورة الأحزاب ، الآياتان : ٦٦ و٦٧

أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وهذا أيضاً يحرم على كل مسلم مشابهمهم .

قال أبو بكر في « الجامع » باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتباع .

قال أبو عمر : قد ذم الله تبارك وتعالى التقليد في غير موضع من كتابه فقال : ( اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله )<sup>(١)</sup> .

وروي عن حذيفة رضي الله عنه وغيره قال : لم يبدؤم من دون الله ، ولكنهم أحلوا وحرّموا عليهم فاتبعوهم .

وقال عدي بن حاتم : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي ضليب .

فقال : « يا عدي ألق هذا الوثن من عنقك » وانتهيت إليه وهو يقرأ

سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : ( اتخذوا أخبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله )<sup>(١)</sup> . قال : فقلت : يا رسول الله ! إننا لم نتخذهم أرباباً .

قال : « بلى ، أليس يحلّون لكم ما حرّم عليكم فتحلّونه ، ويحرّمون عليكم

ما أحلّ لكم فتحرمونه ؟ » فقلت : بلى . قال : « فقلك عبادتهم » .

والحديث في « المسند » و« الترمذي » مطولاً .

وقال أبو البخترى في قوله عز وجل : ( اتخذوا أخبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله<sup>(١)</sup> قال : أما إنهم لو أمرهم أن يعبدوه من دون الله ما أطاعوهم ، ولكنهم أمرهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوه فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عرف أن ليس بيننا وبين الناس اختلاف في المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ؛ كما كان هذا هو الواقع من أهل هذا الزمان ، وليس لهم حجة إلا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون<sup>(٢)</sup> بأنهم ينتسبون إلى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فإن من انتسب إلى شيء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فإنَّ النصارى لم ينفعهم انتسابهم إلى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم إلى موسى .

وقد قال الله تعالى لنبيه : ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون )<sup>(٣)</sup> إلى قوله : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات )<sup>(٤)</sup> . ثم ذكر بعد ذلك : ( أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم )<sup>(٥)</sup>

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ (٢) في الاصل : يتمون .

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ١٨ (٤) سورة الجاثية ، الآية : ٢١

(٥) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣



إلى قوله: (أفلا تذكرون)<sup>(١)</sup> ولأن الله تعالى قال: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتَّبِعُونَ أهواءهم)<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله: جمع الله الطرق في طريقين: إما هدى، وإما<sup>(٣)</sup> هوى، وكذلك في الآية المتقدمة: إما متَّبِعَ لشريعته ﷺ التي جعله الله عليها ورضيها لعباده، وإما متخذ إلهه هواه؛ أعاذنا الله من الآراء المحدثنة، والأهواء المضلة.

وأما الأئمة رضي الله عنهم، فهم أئمة الهدى، وإجماعهم حجة، واختلافهم رحمة، والدين وسط.

واختلف العلماء في تقليدهم، فطائفة نفوا التقليد وأنه كروه، وقالوا: الناس أحد رجلين: إما عاوي فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين، فإنه كالأمي الذي يدعي أنه يقرأ وليس بقارئ، أو يدعي أنه يكتب وليس بكااتب، فيدعي أنه على مذهب وهو لا يعرفه، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف.

والرجل الثاني: فقيه، فلا يصح له أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل. والتقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة، وطائفة - وهم أكثر

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣٣ (٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) في الاصل: وإلا.

الفقهاء - توسطوا في ذلك لم يخرجوا عما قاله<sup>(١)</sup> الأئمة رضي الله عنهم ،  
 وهم عندهم أكفاء في موارد النزاع ، وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ  
 أحدهم من السنة ؛ كما يبين ذلك شيخ الإسلام<sup>(٢)</sup> في كتابه «رفع الملام  
 عن الأئمة الأعلام» . وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ،  
 وتمسكوا بالسنة حيث بانت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم  
 أهل النجاة من هذه الأمة ، فإن الأئمة رضي الله عنهم نهوا عن  
 تقليدهم - وهو الواجب عليهم - إلا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد  
 والاتباع هو النوع الثالث المدوح ، لا كما تقدم ولندكر طرفاً من  
 مقالة الأئمة .

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولاً<sup>(٣)</sup> - وإن  
 كان له فضل - يتبع عليه ، لقول الله عز وجل : ( فبشر عباد الذين  
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه )<sup>(٤)</sup> . وقال بشر بن الوليد : قال أبو  
 يوسف صاحب أبي حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم  
 من أين قلنا . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : هذا رأي ، فمن جاءنا برأي  
 خير منه قبلناه . وقال : أو لأحد قول مع قول النبي ﷺ ؛ وقال مالك

(١) في الاصل : عن ما قالوه . (٢) أي ابن تيمية .

(٣) يعني : ليس كل الذي قاله رجل قولاً يتبع عليه

(٤) سورة الزمر ، الآيات : ١٧ و ١٨

رضي الله عنه : كلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد صرح مالك رضي الله عنه بأنَّ : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يُستتاب ؛ فكيف من ترك قول رسول الله ﷺ لمن هو دون إبراهيم<sup>(١)</sup> ومثله . وذكر البيهقي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أغمى تلذغه وهو لا يدري ، وقال رضي الله عنه : إذا ضحَّ الحديث فهو مذهبي ، إلى غير ذلك عنه . وقال أبو داود : قلت لأحمد الأوزاعي : هو أهل أن يقلد أم مالك ؟ قال : لا تقلدنيك أحداً من هؤلاء ، إلا ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ . وفي لفظٍ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضي الله عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجال وتتبع ذلك بطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلو فيه ، وتعلق به طائفة ، إذ التزموا مذهبا من المذاهب الأربعة ، قالوا : لا يجوز مخالفته ، ولا بد من اتباعه على كل حاله ، وجعلوا كل إمام في اتباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين .

(١) أي إبراهيم النخعي .

قال أحمد رضي الله عنه : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة : اضطلع ربيعة مقتماً رأسه وبكى، فقال : ما يبكيك ؟ قال : رياءٌ ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم<sup>(٢)</sup> ، ما نوههم عنه انتهوا ، وما أمرهم به اتهموا .  
قال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تنقاد ، وإنسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلدن أحدكم رجلاً ، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، فانه لا أسوة في الشر .

وقال أيضاً رضي الله عنه : أغدُ عالمًا ، أو متعلمًا ، ولا تغدِ إمعة فيما بين ذلك .

وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين المسألتين يطول ، وإنما ذكرنا عليهما ما تبسّر مع التقصير ، لأنهما يسأل

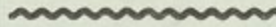
(١) سورة النور الآية : ٦٣ (٢) في الاصل : في امائهم ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

عنها الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم  
المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة . آخره . والحمد لله رب العالمين ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .



هذه رسالة

## في مقادير فيء الزوال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذا كان قبل النيروز<sup>(١)</sup> يومين، فظل<sup>(٢)</sup> الزوال ثلاثة أقدام وثلاث،  
وفي اثني عشر ظل الزوال أربعة أقدام وفي أربعة وعشرين ظل  
الزوال أربعة أقدام وربع . وفي ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام  
ونصف وفي ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي الستين ظل  
الزوال ستة أقدام ونصف . وفي ثلاث وسبعين ظل الزوال سبعة أقدام .  
وفي ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف . وفي اثنين وتسعين  
ظل الزوال ثمانية أقدام إلا ربع . وفي مائة وأحد<sup>(٣)</sup> عشر ظل الزوال  
سبعة أقدام ونصف وفي مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام  
وثلاث . وفي مائة وسبعة وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وربع . وفي

(١) النيروز : أول يوم من السنة ويقال له : نيروز .

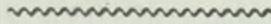
(٢) في الاصل : ظل ، وما أثبتناه أصوب .

(٣) في الاصل : وإحدى ، ولعله يريد الليلة بدل اليوم ، لانه يذكر العدد  
أحياناً ويؤنثه حيناً .

مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام . وفي مائة وثمانية وأربعين  
ظل الزوال ستة أقدام ونصف . وفي مائة وثمانية وخمسين ظل الزوال  
ستة أقدام . وفي مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسة أقدام ونصف .  
وفي مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي مائة وأحد<sup>(١)</sup>  
وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام . وفي مائة وستة وتسعين ظل الزوال  
أربعة أقدام . وفي مائتين وأحد<sup>(١)</sup> عشر ظل الزوال ثلاثة أقدام . وفي  
مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف . وفي مائتين وسبعة  
وعشرين ظل الزوال قدمان . وفي مائتين واثنين وأربعين ظل الزوال  
قدم وثلاث . وفي مائتين وست وأربعين ظل الزوال قدم . وفي مائتين  
وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم . وفي مائتين وسبع وستين ظل  
الزوال ثلث قدم . وفي مائتين وسبع وسبعين يحطاط للزوال بثلث قدم .  
وفي مائتين وواحد وثمانين يعدم ظهور ظل الزوال . وفي ثلاثمائة  
وواحد يحطاط للزوال بثلث قدم . وفي ثلاثمائة وثمانية عشر ظل  
الزوال ثلث قدم . وفي ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظل الزوال قدم .  
وفي ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قدمان . وفي ثلاثمائة  
وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلاث .

(١) في الأصل : وإحدى .

اللهم إنا نستعينك ونستهديك ، ونؤمن بك ، وتوكل عليك ،  
وثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك .  
اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ،  
نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

تأليف

الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رضى الله تعالى

وقول الله تعالى: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (١)

وقوله: (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت) (٢) الآية. وقوله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

وبالوالدين إحسانا) (٣) الآية. وقوله: (واعبدوا الله ولا تشركوا به

شيئا) (٤) الآية. وقوله: (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا

تشرکوا به شيئا) (٥) الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وضية محمد

ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قوله تعالى: (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم

عليكم) - إلى قوله - (وأن هذا صراطي مستقيماً...) (٦) الآية.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ (٢) سورة النحل، الآية: ٣٦

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٢٣ (٤) سورة النساء، الآية: ٣٥

(٥) سورة الانعام، الآية: ١٥١-١٥٤ (٦) سورة الانعام، الآية: ١٥٤

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ » فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشّر الناس ؟ قال : « لا تبشّرهم فيتكلموا » أخرجاه في « الصحيحين » .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والانس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : ( ولا

أنتم عابدون ما أعبد )<sup>(١)</sup> .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر

بالطاغوت ؛ ففيه معنى قوله : ( فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله .. )<sup>(٢)</sup>

الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عبُد من دون الله .  
 التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهي عن الشرك .  
 العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها ثماني عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ( لا تجعل مع الله إلهاً آخر فنقعد مذموماً مخذولاً )<sup>(١)</sup> ؛ وختمها بقوله : ( ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً )<sup>(٢)</sup> ، ونبها الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ( ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة )<sup>(٣)</sup> .  
 الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله تعالى بقوله : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )<sup>(٣)</sup> .  
 الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق الله تعالى علينا .  
 الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .  
 الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .  
 السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٢ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٣٩

(٣) سورة النساء ، الآية : ٣٥

- السابعة عشرة : استحباب بشاراة المسلم بما يسره .  
 الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .  
 التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .  
 العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .  
 الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الاردا ف عليه .  
 الثانية والعشرون : جواز الاردا ف على الدابة .  
 الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .  
 الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

## باب

### فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم .. )<sup>(١)</sup> الآية .  
 عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى

(١) سورة الانعام ، الآية : ٨٢

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ،  
والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل . « أخرجاه . ولهما في  
حديث عتيان : « فان الله حرّم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي  
بذلك وجه الله » .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى :  
يا رب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : قل يا موسى : لا إله إلا  
الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى ، لو أن  
السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا إله  
إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان ، والحاكم  
وصححه .

وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال  
الله تعالى : يا ابن آدم ؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني  
لا تشرك بي شيئاً لا أتيتك بقرابها مغفرة » .

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ،

تبين لك معنى قول : « لا إله إلا الله » وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن

يقولها يخف ميزانه .

العاشرة النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات ، خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله

في حديث عتبان : « فان الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ،

يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله

ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الايمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: « على ما كان من العمل ».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

## باب

من حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) <sup>(١)</sup> وقال: (والذين هم بربهم لا يشركون) <sup>(٢)</sup>.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبيرة فقال:  
أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما  
لني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت:  
ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال:  
وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية  
إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٠ (٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠

حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ثم نهض فدخل منزله . فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشر كوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : «م الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن . فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . قال : «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال « سبقك بها عكاشة» .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .



- الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .
- السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .
- السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .
- الثامنة : حرصهم على الخير .
- التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .
- العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .
- الحادية عشرة : عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام .
- الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .
- الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .
- الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .
- الخامسة عشرة : ثمرة هذا العالم ، وهو عدم الاعتزاز بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .
- السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمة .
- السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .
- الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه .

- التاسعة عشرة : قوله : « أنت منهم » علم من أعلام النبوة .  
 العشرون : فضيلة عكاشة .  
 الحادية والعشرون : استعمال المعارض .  
 الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

## باب

### الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : ( إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء )<sup>(١)</sup> وقال الخليل عليه السلام : ( واجنبتني وبنيتني أن نعبد الأصنام )<sup>(٢)</sup> وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فسئل عنه ؟ فقال : « الرياء » وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » رواه البخاري . ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٧ (٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه

يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة

الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ، لقوله : ( رب إنهن أضللن

كثيراً من الناس )<sup>(١)</sup> .

العاشرة : فيه تفسير « لا إله إلا الله » ، كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

## باب

الدعاء الى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني )<sup>(١)</sup> . الآية .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية : إلى أن يوحّدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فبات الناس يدوكون<sup>(٢)</sup> ليلتهم أيهم يعطاها . فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٨ وتمامها : (وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

(٢) أي يخوضون .

يعطاها . فقال : «أين علي بن أبي طالب ؟» فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حمر النعم .»  
يدوكون : أي يخوضون .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من آتبعه وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ سَبِيلًا .

الثانية : التنبيه على الإخلاص . لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسببة .

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسببة لله .

السادسة : - وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: « أن يوحدوا الله » معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدرج.

الثانية عشرة: البداية بالأم فالأم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المنعم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الاخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين

وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة قوله: «لأعطين الراية» الخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفلته في عينيه علم من أعلامها أيضاً.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم<sup>(١)</sup> تلك الليلة عن

بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها

عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما يجب

عليهم » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

## باب

تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

وقوله الله تعالى : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة

أيهم أقرب )<sup>(٢)</sup> الآية . وقوله : ( وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧

(١) أي خوضهم .

برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني) <sup>(١)</sup> الآية . وقوله : ( اتخذوا  
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ) <sup>(٢)</sup> الآية . وقوله : ( ومن  
الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ) <sup>(٣)</sup> الآية .  
وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال : لا إله إلا  
الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز  
وجل » وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب .  
فيه أكبر المسائل وأهمها : وهي تفسير التوحيد ، وتفسير  
الشهادة ، وبينها بأمور واضحة .

منها آية الإِسْرَاءِ بيِّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون  
الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بيِّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم  
ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبيِّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا  
إلهاً واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد  
في المعصية ، لادعائهم إياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : ( إنني براء مما تعبدون  
إلا الذي فطرني ) <sup>(٤)</sup> فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٢٦-٢٧ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٢

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٤) سورة الزخرف ، الآية : ٢٦



هذه البراءة وهذه الموالاتة : هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال :  
(وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) (١).

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ( وما هم بخارجين  
من النار ) (٢) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم  
يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب  
الندء حباً أكبر من حب الله !؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحمده ،  
ولم يحب الله !؟

ومنها قوله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من  
دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » وهذا من أعظم ما يبين  
معنى « لا إله إلا الله » فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل  
ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه  
لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى  
يضيف إلى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم  
يحرم ماله ودمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجاستها ، وباله من بيان  
ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٦٧

## باب

من الشرك : لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله - تبارك وتعالى : ( قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضراً هل من كاشفات ضره ؟ ) (١) الآية .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : من الواهنة . فقال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فانك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبداً » رواه أحمد بسند لا بأس به . وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً : « من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية : « من تعلق تيممة فقد أشرك » . ولا ابن أبي حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطمه ، وتلا قوله : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : التخليط في لبس الحلقة والخيط ونحوهما مثل ذلك .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح . فيه شاهد لكلام الصحابة : إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر (٣) .

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ (٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ .

(٣) وفي بعض النسخ : أكبر الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً » .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعاقب شيئاً وكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تيممة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخياط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون

بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع عن الدين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تيممة ، أن الله لا يتم له ، ومن

تعلق ودعة ، فلا ودع الله له ، أي لا ترك الله له .

## باب

ما جاء في الرقي والنمام

في « الصحيح » عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه ، أنه

كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولا أن لا

يبقين<sup>١</sup> في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وكل إليه » . رواه أحمد والترمذي .

التائم : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجمله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

الرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمي .

والتولة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يجيب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويغ قال : قال لي رسول الله ﷺ :

« يا رويغ ! لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترأ ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمد أبريء منه » .

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ، قال : « من قطع تيمة من

إنسان كان كعدل رقبة » . رواه وكيع . وله عن إبراهيم<sup>(١)</sup> قال : كانوا يكرهون التائم كلها ، من القرآن وغير القرآن .

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي ، أبو عمران .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتأمم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحصى ، ليس من ذلك .

الخامسة : أن التيممة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء :

هل هي من ذلك أم لا ؟ .

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وترأ .

الثامنة : فضل نواب من قطع تيممة من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم<sup>(١)</sup> لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ،

لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

## باب

من نبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : ( أفرأيتم اللات والعزى )<sup>(٢)</sup> الآيات .

عن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه

(١) أي النخعي . (٢) سورة النجم ، الآية : ١٩ - ٢٢ ، وتامها :

( ومناة الثالثة الأخرى . ألمك الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى ) .

وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشر كبن سدره بمكفون  
عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط . فررنا بسدره ،  
فقلنا : يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال  
رسول الله ﷺ : « الله أكبر ! إنها السنن ، قلم - والذي نفسي بيده -  
كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ( اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم  
قوم تجهلون )<sup>(١)</sup> لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي وصححه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفه صورة الأمر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبي ﷺ لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « الله

أكبر إنها السنن ، لتبعن سنن من كان قبلكم ، ففلا حظ الأمر

بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود : أنه أخبر أن طلبتهم

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٣٧

كطائبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى : ( اجعل لنا إلهاً )<sup>(١)</sup> .  
 التاسعة : أن نقضي هذا ، من معنى « لا إله إلا الله » مع دقته  
 وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .  
 الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنهم لم  
 يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قولهم : ونحن حدّنا عهد بكفر فيه أن  
 غيرم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافاً لمن كرهه .  
 الرابعة عشرة : سد الدرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .  
 السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « إنها السنن » .  
 الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة ، لكونه وقع  
 كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في  
 القرآن أنه لنا .

العشرون : أنه متقررٌ عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر ،  
فصار فيه التنبيه على مسائل القبر . أمّا « مَنْ ربك ؟ » فواضح ، وأمّا  
« مَنْ نبيك ؟ » فن إخباره بأنباء الغيب ، وأمّا « ما دينك ؟ » فن  
قولهم : ( اجعل لنا إلهاً ) الخ ..

الحادية والعشرون : أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسنة  
المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا  
يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : ونحن حدثاء  
عهد بكفر .

## باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : ( قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي  
للله رب العالمين . لا شريك له )<sup>(١)</sup> الآية ، وقوله : ( فصلٌ لربك  
وانحر )<sup>(٢)</sup> .

عن علي رضي الله تعالى عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع  
كلمات : « لعن الله مَنْ ذبح لغير الله . لعن الله من لعن والده . لعن

(١) سورة الانعام ، الآيتان : ١٦٣ و ١٦٤ (٢) سورة الكوثر ، الآية : ٢



الله من آوى محدثاً . لعن الله من غير منار الأرض » رواه مسلم .  
 وعن طارق بن شهاب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 « دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب » . قالوا :  
 وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « صرّ رجلان على قوم لهم صنم  
 لا يجوزُهُ أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال :  
 ليس عندي شيء أقرب قالوا له : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً ، فخطوا  
 سبيله ، فدخل النار وقالوا للآخر : قرب . فقال : ما كنت لأقرب  
 لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة » رواه أحمد .

فيه مسائل :

- ١. الأولى : تفسير ( إن صلاتي ونسكي ) .
- ٢. الثانية : تفسير ( فصل لربك وانحر ) .
- ٣. الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه أن تلعن والدي الرجل  
 فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثاً ، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب  
 فيه حق لله فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي

تفرق بين حقلك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .  
السابعة : الفرق بين لعن الميعن ، ولعن أهل المعصية على سبيل  
العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .  
التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ،  
بل فعله تخلصاً من شره .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر  
ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا  
العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً  
لم يقل : « دخل النار في ذباب » .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى  
أحدكم من شرك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى  
عند عبدة الأوثان .

## باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ( لا تقم فيه أبدًا )<sup>(١)</sup> الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا . قال : « فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ » قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ : « أوفِ بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود ، وإسناده على شرطها .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ( لا تقم فيه أبدًا )<sup>(١)</sup> .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الاشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من

الموانع .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٧

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

- السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .  
 الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية .  
 التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .  
 العاشرة : لا نذر في معصية .  
 الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

## باب

### من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ( يوفون بالنذر ) <sup>(١)</sup> وقوله : ( وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ) <sup>(٢)</sup> .  
 وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطعم الله فليطعمه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

(١) سورة الدهر ، الآية : ٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٠

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .  
الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

## باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ( وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً ) (١) .

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ». رواه مسلم .  
فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن .

الثانية: كونه من الشرك .

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .  
الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

(١) سورة الجن، الآية ٦

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كَفْ شر، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

## باب

من الشرك أن يستغيب بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين. وإن يمسك الله بصرٍ فلا كاشف له إلا هو) (١) الآية. وقوله: (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) (٢) الآية. وقوله: (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) (٣) الآية. وقوله: (أم من يجب المضطر إذا دعاه وبكشف السوء) (٤).

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل».

(١) سورة يونس، الآيات: ١٠٦ و ١٠٧

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٥

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٨

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢

فيه مسائل :

الأولي : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على

الخاص .

الثانية : تفسير قوله : ( ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا

يضرك )<sup>(١)</sup> .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله لإرضاء لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا

تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

الحادية عشرة : أنه خافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي

وعداوته له .

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٦

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر المجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه

لا يجيب المضطر إلا الله ، ولا أجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ من التوحيد والتأدب مع

الله عز وجل .

## باب

قول الله تعالى : ( أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ؟ ولا

يستطيعون لهم نصراً )<sup>(١)</sup> الآية . وقوله : ( والذين تدعون من دونه

ما لا يملكون من قطير )<sup>(٢)</sup> الآية .

وفي « الصحيح » عن أنس قال : شجَّ النبي ﷺ يوم أحد

وكسرت رباعيته ، فقال : « كيف يفلاح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت :

( ليس لك من الأمر )<sup>(٣)</sup> . وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع

(١) سورة الاعراف ، الآيتان : ١٩٠ ، و ١٩١

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٣ (٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨



رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: « اللهم العن فلاناً وفلاناً » بعدما يقول: « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأُنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء) <sup>(١)</sup> وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت (ليس لك من الأمر شيء) <sup>(١)</sup>. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: (وأُنذر عشيرتك الأقربين) <sup>(٢)</sup> قال: « يامعشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئاً ، يا صفيّة عمّة رسول الله ﷺ لا أعني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ، سايني من مالي ما شئت لا أعني عنك من الله شيئاً » .

فيه مسائل :

الأولى تفسير الآيتين . الثانية : قصة أحد .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار . الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها

(١) سورة آل عمران الآية : ١٢٨ (٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤

غالب الكفار . منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها : التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل الله عليه في ذلك ( ليس لك من الأمر من شيء )<sup>(١)</sup> .

السابعة : قوله : ( أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون )<sup>(٢)</sup> .

فتاب عليهم فأمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لغنة المعين في القنوت .

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أنزل عليه : ( وأنذر عشيرتك

الأقربين )<sup>(٣)</sup> .

الثانية عشرة : جدّه ﷺ في هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب بسببه

إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لا أعني عنك من الله شيئاً »

حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أعني عنك من الله شيئاً » فإذا صرح

ﷺ وهو سيد المرسلين أنه لا يعني عن سيدة نساء العالمين ، وأمر من

الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس

الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٨ (٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤

## باب

قول الله تعالى : ( حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير )<sup>(١)</sup> .

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا قضي الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ( حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير )<sup>(١)</sup> . فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع ، هكذا بضمه فوق بضمض ، وصفه سفيان بكفه فحرّفها وبدد أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » .

وعن النواس بن سميان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل . فإذا سمع

ذلك أهل السماوات صعقوا وخرَّوا لله سجداً . فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثمَّ يمرَّ جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : ( قال الحق وهو العلي الكبير )<sup>(١)</sup> فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحججة على إبطال الشرك ، خصوصاً من تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل : إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .  
الثالثة : تفسير قوله : ( قالوا الحق وهو العلي الكبير )<sup>(١)</sup> .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل هو الذي يجيبهم بمعد ذلك بقوله : « قال كذا وكذا » .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقوله لأهل السماوات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السماوات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله .

- الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .
- الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .
- الثالثة عشرة : إرسال الشهب .
- الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقبها ، وتارة يلقبها في أذن وليه من الانس قبل أن يدركه .
- الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان .
- السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبه .
- السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .
- الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟
- التاسعة عشرة : كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .
- العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .
- الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشي [ كانا ] خوفاً من الله عز وجل .
- الثانية والعشرون : أنهم يخشون الله سجداً .

## باب الشفاعة

وقول الله تعالى : ( وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيع )<sup>(١)</sup> وقوله : ( قل لله الشفاعة جميعاً )<sup>(٢)</sup> وقوله ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( وكم من مَلَكٍ في السماوات لا تنغي شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )<sup>(٤)</sup> وقوله : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دُونِ اللَّهِ لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض )<sup>(٥)</sup> الآيتين .

قال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )<sup>(٦)</sup> . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون ، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفعُ شفَع .

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة الانعام ، الآية : ٥١ | (٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٤    |
| (٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ | (٤) سورة النجم ، الآية : ٢٦    |
| (٥) سورة سبأ ، الآية : ٢٢     | (٦) سورة الانبياء ، الآية : ٢٨ |

وقال له أبو هريرة : مَنْ أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟  
قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل  
الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص  
فيفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام  
المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت  
الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا  
لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، بل

يسجد ، فإذا أذن الله له شفع .

السادسة : مَنْ أسعد الناس بها ؟

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

## باب

قول الله تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت) <sup>(١)</sup> الآية .

وفي « الصحيح » عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل ، فقال له : يا عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال له : أرغب عن ملة عبد المطلب ! فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعاد ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : « لا تستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ) <sup>(٢)</sup> الآية وأنزل الله في أبي طالب : ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) <sup>(١)</sup> .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ) <sup>(١)</sup> .

الثانية : تفسير قوله : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ) <sup>(٢)</sup> الآية .



الثالثة: - وهي المسألة الكبرى - تفسير قوله ﷺ « قل: لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم .  
 الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: « قل لا إله إلا الله » فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

الخامسة: جدّه ﷺ ومباغتته في إسلام عمه .  
 السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .  
 السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له ، بل نهي عن ذلك .  
 الثامنة: مضرّة أصحاب السوء على الانسان .  
 التاسعة: مضرّة تعظيم الأسلاف والأكابر .  
 العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك .  
 الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفتمته .

الثانية عشرة: التأمّل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مباغتته ﷺ وتكثيره ، فلا جمل عظمتها ووضوحها عندهم ، اقتصروا عليها .

## باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم

هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) <sup>(١)</sup>.  
وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى:  
(وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث  
وبعوق ونسراً) <sup>(٢)</sup> قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح.  
فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا  
يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك  
أولئك ونسخ <sup>(٣)</sup> العلم، عبّدت».

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا  
على قبورهم ثم صنوروا تماثيلهم؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.  
وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت  
النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه  
ولمسلم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما  
أهلك من كان قبلكم الغلو». ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٠ (٢) سورة نوح، الآية: ٢٣

(٣) في الاصل: نسي، والتصحيح من «صحيح البخاري».

ﷺ قال : « هلك المنتظعون » قالها ثلاثاً .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده، تبيّن له غرابة الاسلام ، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين .

الثالثة : أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردّها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلة آدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد .

الثامنة : أن فيه شاهداً لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن

قصده الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ، ومعرفة

ما يؤول إليه .

الحادية عشرة : مضرّة الكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التمايل ، والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة

إليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة ، وهي أعجب وأعجب : قراءتهم إياها في كتب

التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم

وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ،

واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت

النصارى ابن مريم » فصلاوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنظعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنهم لم تُعبد حتى تُسخ<sup>(١)</sup> العلم ، ففيها

معرفة قدر وجوده ومضرّة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

---

(١) في الأصل : نسي .

## باب

ما جاء من التغليب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

فكيف إذا عبده ١٢

في « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت  
 لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور. فقال:  
 « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره  
 مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله »  
 فهؤلاء جمعوا بين الفنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها: قالت : « لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة  
 له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: « لعنة الله على  
 اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يُحذَر ما صنعوا،  
 ولو لا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً، أخرجاه .

ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ قبل موته  
 بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن  
 الله قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من  
 أمتي خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا

يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» .

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق<sup>(١)</sup> - من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يكن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجداً، فإن الصجابة لم يكونوا يبنيوا حول قبره مسجداً. وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ولاحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه صرفوعاً: « إن من شرار الناس من تدر كههم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم في « صحيحه » .

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح. ولو صححت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التمايل، وغازظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف يسن لهم هذا أولاً،

ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق<sup>(١)</sup> لم يكتف بما تقدم

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

(١) أي في سياق الموت.

- الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .
- السادسة : لعنه إياهم على ذلك .
- السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره <sup>(١)</sup> .
- الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .
- التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .
- العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .
- الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف <sup>(٢)</sup> من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة ، والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور . وهم أول من بنى عليها المساجد .
- الثانية عشرة : ما يلي به ﷺ من شدة النزع .
- الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلّة .
- الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .
- الخامسة عشرة : التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة .
- السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

(١) وفي نسخة : تحذيرنا عن قبره . (٢) وفي نسخة : بعض أهل العلم .

## باب

ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصبرها أو ثنائياً تعبر من دون الله  
 روى مالك في « الموطأ » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم  
 اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . ولابن جرير بسنده عن سفيان عن  
 منصور عن مجاهد في قوله تعالى : ( أفرايتم اللات والعزى )<sup>(١)</sup> قال : كان  
 يلت لهم السويق<sup>(٢)</sup> فبات فكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء  
 عن ابن عباس : كان يلت السويق للحجاج .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ  
 زائرات القبور ، والمنخذين عليها المساجد ، والسرج . رواه أهل السنن<sup>(٣)</sup> .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا بما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .

(١) سورة النجم ، الآية : ١٩ (٢) أي كان اللات يلت لهم السويق .

(٣) قال ناصر الدين : واسناده ضعيف ، لكن للجملة الأولى والثانية شواهد

كثيرة ذكرتها في « تحذير الساجد » .



السادسة ، وهي من أهمها : معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنه زوارات القبور .

العاشرة . لعنه من أسرجها<sup>(١)</sup> .

## باب

ما جاء في صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد

وسد كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم )<sup>(٢)</sup> الآية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا

تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن

صلواتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود بإسناد حسن ، ورواه ثقات .

(١) لكن الحديث في ذلك ضعيف كما سبق آنفاً ، وليس له شاهد يقويه كما

يدينه في « إرواء الغليل » ، فيكفي في النهي عن ذلك أنه إضاعة للمال وتشبه بالكفار .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٩ ، وتامها : ( بالؤمنين رؤوف رحيم ) .

( توحيد - ١٨ )

وعن علي بن الحسين : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا يوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ ، فإن تسليمتكم يباغني أين كنتم » . رواه في « المختارة » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليقه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يباغته وإن

بعُد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة

والسلام عليه .

## باب

ما جاء أن بعض هذه الأئمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : ( ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ( قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبة عند الله؟ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ( قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً )<sup>(٣)</sup> .

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « لتتبعن سنين من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر صنب لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال : « فن؟ » أخرجاه ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيدبلغ ملكها مازوي لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يساط عليهم عدو آمن سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاءً

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٠ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٦١

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٢٢

فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لا أمتك أن لأهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بمضاً» ورواه البرقاني في «صحيحه» وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد فثام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوراً لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»<sup>(١)</sup>.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : - وهي أهمها - : معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في

هذا الموضوع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بعضها

ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلاً

من المؤمنين .

(١) ورواه بهذه الزيادة أبو داود أيضاً بسند صحيح .

السادسة : - وهي المقصود بالترجمة - أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة ، كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : النصريح بوقوعها ، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .

الثامنة ، العجب العجيب خروج من يدعي النبوة ، مثل المختار ، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح . وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة ، وتبعه فثام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لايزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة . منها : إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغرب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقه كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال . وإخباره بأنه أعطي الكنز ، وإخباره

بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المنتبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون في العقول .  
 الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .  
 الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

## باب

### ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : ( ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق )<sup>(١)</sup> وقوله : ( يؤمنون بالجبث والسحرة )<sup>(٢)</sup> .  
 قال عمر : ( الجبث ) : السحر ، ( والطاغوت ) : الشيطان . وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، في كل حي واحد .  
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وماهن ؟ قال : « الشرك

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ (٢) سورة النساء ، الآية : ٥٠

بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ،  
وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات  
المؤمنات»<sup>(١)</sup>. وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف» .  
رواه الترمذي ، وقال : الصحيح أنه موقوف . وفي «صحيح البخاري»  
عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر  
وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر . وصح عن حفصة رضي الله  
عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت . وكذلك صح عن  
جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة : أن الساحر يكفر .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟ !

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

## باب

### بيان سبي من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » .

قال عوف : العيافة : زجر الطير . والطرق : الخط يخط بالأرض . والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد ولا يبي داود والنسائي وابن حبان في « صحيحه » المسند منه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم ، فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داود ، وإسناده صحيح .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه » .

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألا هل أنبتكم ما المعضه ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس » رواه مسلم .



ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« إن من البيان لسحراً » .

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيبة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة أن النيمة من ذلك .

السادسة : أن من ذلك بمض الفصاحة .

## باب

### ما جاء في الكهان ونجومهم

روى مسلم في « صحيحه » عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن  
النبي ﷺ قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول ،  
لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى  
كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »  
رواه أبو داود . وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن

[أبي هريرة رضي الله عنه]<sup>(١)</sup> : من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ . ولا يبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه البزارني باسناد جيد ، ورواه الطبراني في الأوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى ... » إلى آخره .

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن. والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .  
وقال ابن عباس - في قوم يكتبون (أباجاد)<sup>(٢)</sup> وينظرون في النجوم - : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق .

(١) بياض في الاصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، فان الحديث مصدره واحد ، وهو أبو هريرة ، وانما الاختلاف في اللفظ ، يأتي من بعض الرواة ، وسنده صحيح .  
(٢) كتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعيها علم الغيب : هو الذي يسمى علم الحروف .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعرّاف .

## باب

ما جاء في النشرة

عن جابر ، أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي « البخاري » عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طبٌّ أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . ١ هـ . وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر .

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :  
أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه  
يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب ،  
فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ،  
فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال .

## باب

ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : ( ألا إنما طأرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ) (١) . وقوله : ( قالوا طأرهم معكم ) (٢) الآية .  
عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا  
عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه . زاد مسلم : « ولا  
نوء ، ولا غول » .

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٣٠ (٢) سورة يس ، الآية : ١٩٠

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى ولا طيرة ؛ وبمجنبي الفأل » قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » .

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلماً ، فاذا رأى أحدكم ما بكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا <sup>(١)</sup> ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داود ، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمر : « ومن ردتَه الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » . وله من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما : إعا الطيرة ما أمضاك أو ردك .

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : ( ألا إعا طائرهم عند الله ) <sup>(٢)</sup> ،

(١) في هذا الحديث حذف بعرف بالقرنية ، أي إلا ويقع في نفسه شيء .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٠ .

مع قوله : ( طائر كم معكم )<sup>(١)</sup> .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

الخامسة : نفي الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ،

بل يذهب الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

## باب

### ما جاء في التنجيم

قال البخاري في « صحيحه » : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم

لثلاث : زينة للسياة ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن

(١) سورة يس ، الآية : ١٩

تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. اهـ .  
 وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه .  
 ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق .  
 وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصديق  
 بالسحر » رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » .

فيه مسائل :

- الأولى : الحكمة في خلق النجوم .  
 الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .  
 الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .  
 الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه  
 باطل .

## باب

ما جاء في الاستسقاء بالأقنوع

وقول الله تعالى : ( وتعملون رزقكم أنكم تكذبون )<sup>(١)</sup> .  
 عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٨٢

« أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » . وقال : « النائحة إن لم تذب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سر بال من فطران ودرع من جرب » . رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ؛ فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكواكب » .  
ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه ، قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية : ( فلا أقسم بمواقع النجوم )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( وتجملون رزقكم أنكم تكذبون )<sup>(٢)</sup> .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٧٥ (٢) سورة الواقعة ، الآية : ٨٢



الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة .

الخامسة: قوله: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » بسبب نزول النعمة .

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع .

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة: التفطن لقوله: « لقد صدق نوء كذا وكذا » .

التاسعة: لإخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله:

« أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

العاشرة: وعيد النائحة .

## باب

قول الله تعالى: ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً

يحبونهم كحب الله )<sup>(١)</sup> الآية . وقوله: ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم

... إلى قوله: ( أحب إليكم من الله ورسوله )<sup>(٢)</sup> الآية .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن

أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده وولده والناس أجمعين »

أخرجاه .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٢٥

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٥

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعوذ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » . وفي روايه : « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى ... » إلى آخره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تمثال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وإن كثرت صلواته وضومته حتى يكون كذلك . وقد صارت جامعة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله تعالى : (وتقطعت بهم الأسباب) <sup>(١)</sup> قال : المودة .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ [وتقديمها] على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

- الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها.
- السادسة: أعمال القاب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجدها أحد طعم الايمان إلا بها.
- السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.
- الثامنة: تفسير: (وتقطعت بهم الأسباب) (١).
- التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً.
- العاشر: الوعيد على من كانت الثانية (٢) أحب إليه من دينه.
- الحادية عشرة: أن من اتخذ نداء تساوي محبته محبة الله، فهو الشرك الأكبر.

## باب

قول الله تعالى: (إنا ذكركم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافونم وخافون إن كنتم مؤمنين) (٣). وقوله: (إنا نعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) (٤) الآية. وقوله: (ومن الناس من يقول آمناً بالله، فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) (٥) الآية.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٦

(٢) وهي المذكورة في قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم .)

سورة التوبة، الآية: ٢٥ (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٩ (٥) سورة الصنكبوت، الآية: ١٠

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: « إن من ضعف اليقين : أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يردّه كراهية كاره . »

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضي الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضي الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في « صحيحه » .

في مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث<sup>(١)</sup> .

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

(١) وهي المذكورة في حديث أبي سعيد المتقدم في أعلى الصفحة .

## باب

- قول الله تعالى : ( وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين )<sup>(١)</sup> .  
 وقوله : ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم )<sup>(٢)</sup> الآية .  
 وقوله : ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )<sup>(٣)</sup> .  
 وقوله : ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه )<sup>(٤)</sup> .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( حسبنا الله ونعم الوكيل )<sup>(٥)</sup> .  
 قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد عليه السلام حين قالوا له :  
 ( إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله  
 ونعم الوكيل )<sup>(٥)</sup> رواه البخاري والنسائي .

فيه مسائل :

- الأولى : أن التوكل من الفرائض .  
 الثانية : أنه<sup>(٦)</sup> من شروط الإيمان .  
 الثالثة : تفسير آية الأنفال .  
 الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢٦ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٢  
 (٣) سورة الانفال ، الآية : ٦٤ (٤) سورة الطلاق ، الآية : ٣  
 (٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ (٦) أي التوكل .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة<sup>(١)</sup> ، و أنها قول إبراهيم ومحمد  
ﷺ في الشدائد .

## باب

قول الله تعالى : ( أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا  
القوم الخاسرون )<sup>(٢)</sup> . وقوله : ( ومن بقنط من رحمة ربه إلا  
الضالون ؟ )<sup>(٣)</sup> .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سئل عن  
الكبائر ، فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من  
مكر الله » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « أكبر الكبائر :  
الاشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس  
من روح الله » رواه عبد الرزاق .  
فيه مسائل :

الأولي : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

---

(١) وهي : ( حسبنا الله ونعم الوكيل ) .

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٩٨ (٣) سورة الحجر ، الآية : ٥٦

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

## باب

من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : ( ومن يؤمن بالله يهد قلبه )<sup>(١)</sup> .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ،

فيرضى ويسلم .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول

الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ،

والنياحة على الميت » . ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من

ضرب الحدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد

الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك

عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ،

فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط » حسنه الترمذي .

(١) سورة التباين ، الآية : ١١

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التبغاب .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا

بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : إرادة الله به الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .

## باب

ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما آلهكم

إله واحد )<sup>(١)</sup> الآية .

وعن أبي هريرة مرفوعاً : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١١ وتمامها ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل

عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ) .



عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه .  
رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم  
عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : « الشرك  
الخنفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر رجل . »  
رواه أحمد .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في ردّ العمل الصالح إذا دخله شيء  
لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله ، لكن يزيتها لما

يرى من نظر رجل إليه .

## باب

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : ( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفَّ  
إليهم أعمالهم فيها ) <sup>(١)</sup> الآيتين .

في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول  
الله ﷺ : « تمس عبد الدينار ، تمس عبد الدرهم ، تمس عبد الخيصة <sup>(٢)</sup> ،  
تمس عبد الخيلة <sup>(٣)</sup> ، إن أعطي رضي ، وإن لم يُعطَ سخط ، تمس  
وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش <sup>(٤)</sup> . طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في  
سبيل الله ، أشمت رأسه ، مغبرة قدماه . إن كان في الحراسة كان في  
الحراسة ، وإن كان في الساقة <sup>(٥)</sup> كان في الساقة . إن استأذن لم يؤذن له ،  
وإن شفع لم يُشفع » .

فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

(١) سورة هود ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ (٢) الخيصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٣) الخيلة : القطيفة ، والثوب الخمل ، كالكساء .

(٤) أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش ، وهي جملة دعائية .

(٥) الساقة : مؤخر الجيش يحفظ المجاهدين من عدوم .

- الثالثة : تسمية الإنسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والحبصة .  
 الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط .  
 الخامسة : قوله : « تعس واتكس » .  
 السادسة : قوله : « وإذا شيك فلا انتقش » .  
 السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

## باب

- من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أهل الله  
 أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله  
 وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛  
 أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ١٢ .  
 وقال الامام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ، يذهبون  
 إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره  
 أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) (١) . أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة :  
 الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيملك .  
 عن عدي بن جاتم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه  
 الآية : ( اتخذوا أرباباً من دون الله ) (٢) الآية .  
 فقلت له : إنا لسنا نعبدكم قال : « أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه  
 (١) سورة النور ، الآية : ٦٣ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٢ .

ويحاثون ما حرم الله ، فتحاثونه ؟ « فقلت : بلى . قال فتلك : « عبادتهم »  
رواه أحمد ، والترمذي وحسنه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغيير الأحوال إلى هذه الغاية ، حتى صار عند الأكثر

عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الأخبار ،

هي العلم والفقہ ، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من

الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

## باب

قول الله تعالى : ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل

إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد

أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً )<sup>(١)</sup>

الآيات . وقوله : ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما

نحن مصلحون )<sup>(٢)</sup> . وقوله : ( ولا تفسدوا في الأرض بعد

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٩ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١١

إصلاحها) (١) الآية . وقوله: (أفحكم الجاهلية يبغون) (٢) الآية .  
 عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :  
 « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . قال النووي :  
 حديث صحيح ، روياه في كتاب «الحجة» باسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود  
 خصومة ؛ فقال اليهودي : تتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ  
 الرشوة - وقال المنافق : تتحاكم إلى اليهود ؛ لعلمه أنهم يأخذون  
 الرشوة ، فانفقا أن يأتيا كاهناً في جبينه فيتحاكما إليه ، فنزلت : ( ألم  
 تر إلى الذين يزعمون ... ) الآية (٣) .

وقيل : نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : ترفع إلى النبي  
 ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترفعا إلى عمر ،  
 فذكر له أحدهما القصة . فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ :  
 أ كذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإيغارة على فهم الطاغوت .  
 الثانية : تفسير آية البقرة : ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٥٥ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٩

الأرض) (١).

الثالثة : تفسير آية الأعراف ( ولا تفسدوا في الأرض بعد

إصلاحها ) (٢).

الرابعة : تفسير : ( أفحكّم الجاهلية بينون ؟ ) (٣).

الخامسة : ما قاله الشعبي في نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الايمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً

لما جاء به الرسول ﷺ .

## باب

من جهر سبنا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ( وهم يكفرون بلرحمن ) (٤) الآية .

وفي « صحيح البخاري » قال علي : « حدثوا الناس بما يعرفون ،

أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ »

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ٥٥

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١

(٤) سورة الرعد ، الآية : ٣٤

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٣

عباس : أنه رأى رجلاً انتفض - لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ، استنكاراً لذلك - فقال: ما فرَّق هؤلاء؟ يجدون رقّة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه » انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر : (الرحمن) أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : (وم يكفرون بالرحمن) (١) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الايمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه بفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم

يتعمد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه

هلكة .

## باب

قول الله تعالى : (يمرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم

الكافرون) (٢) .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٨٣

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٢

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن

آبائي .

وقال عون بن عبد الله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس - بمد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « إن الله

تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . . . » الحديث ، وقد

تقدم - وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه

إلى غيره ، ويشرك به .

قال بمض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح

حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على السنة كثير .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جارٍ على السنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .



## باب

قول الله تعالى : ( فلا تجملوا لله أنداداً وأنتم تعلمون )<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس في الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من  
ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله ،  
وحياتك يا فلان . وحياتي ، وتقول : لولا كلبية هذا لآتانا اللصوص .  
ولولا البط في الدار لآتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء  
الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجمل فيها فلاناً<sup>(٢)</sup> . هذا  
كله به شرك « رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال :  
« من حلف بغير الله فقد - كفر أو - أشرك » رواه الترمذي وحسنه ،  
وصححه الحاكم . وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من  
أن أحلف بغيره صادقاً .

وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا :  
ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه  
أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعي ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢ (٢) أي لا تجمل كلمة فلان مع اسم الله تعالى .  
(توحيد - ٢٠)

وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك . قال : ويقول : لولا الله ثم فلان .  
ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانية : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في  
الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً ، فهو أكبر من اليمين

الضموس .

الخامسة : الفرق بين الواو و ثم في اللفظ .

## باب

ما جاء فيمن لم يفتع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا  
تحلفوا بأبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حُف له بالله فليرض .  
ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجه بسند حسن .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

## باب

### قول ماشاء الله وشئت

عن قتيلة ، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ماشاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : « ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ماشاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه .

وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ماشاء الله وشئت ، فقال : « أجمعتي لله ندا ؟ بل ماشاء الله وحده . »

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأنني أتيت على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لا تهم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله . قالوا : وأنتم لا تهم القوم ، لولا أنكم تقولون : ماشاء الله وشاء محمد . ثم صررتُ بنفر من النصارى فقلت : إنكم لا تهم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم لا تهم القوم ، لولا أنكم تقولون : ماشاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته . قال : « هل أخبرت بها

أحدًا؟» قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ؛ فان طفيلًا رأى رؤيا ، أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قاتم كلمة كان يعني كذا وكذا أن أنها كم عنها . فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده »

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الانسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله ﷺ : « أجعلتني لله ندا؟ » فكيف بمن قال :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك ... والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر ، لقوله : « يعني كذا

وكذا » .

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

## باب

من سب الدهر فضر آذى الله

وقول الله تعالى : ( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا

وما يهلكنا إلا الدهر (١) الآية .

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفي رواية : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر .

الثانية : تسميته أذى لله .

الثالثة : التأمل في قوله : « فإن الله هو الدهر » .

الرابعة : أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه .

## باب

التسمي بقاضي انقضاء ونحوه

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله : رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله » . قال سفيان : مثل « شاهان شاه » .

وفي رواية : « أغیظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه » .

قوله « أخنع » يعني أوضع .

(١) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣

(٢) الدهر زمان لا عمل له ، وإنما كل ما ينسبونه إلى الدهر من التصرف ، فافقه الفاعل له .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية : أن ما في معناه مثله ، كما قال سفیان .

الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم

يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا الإجلال لله سبحانه .

## باب

احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي ﷺ :

« إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم » . فقال : إن قومي إذا اختلفوا في

شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين . فقال : « ما أحسن

هذا ! فإلك من الولد ؟ » قلت : شريح ، ومسلم ، وعبد الله . قال :

« فمن أكبرهم ؟ » قلت : شريح . قال : « فأنت أبو شريح » . رواه

أبو داود وغيره .

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية

## باب

من هزل بشي فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول  
وقول الله تعالى : ( ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض  
ونلعب )<sup>(١)</sup> الآية .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة - دخل  
حديث بعضهم في بعض - : أنه قال رجل في غزوة تبوك : مارأينا مثل  
قرأنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب أسنناً ، ولا أجهن عند  
اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرأء - فقال له عوف بن مالك :  
كذبت ، ولكنك منافق ، لا خبرن رسول الله ﷺ . فذهب عوف  
إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك  
الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول  
الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ، نقطم به عنا الطريق .  
فقال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسمة<sup>(٢)</sup> ناقة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، وإن الحجارة تنكب رجليه - وهو يقول : إنما كنا نخوض  
ونلعب - فيقول له رسول الله ﷺ : ( أبا لله وآياته ورسوله كنتم  
تستهزئون ؟ )<sup>(١)</sup> ما بلقت إليه وما يزيد عليه .

(١) سورة التوبة الآية : ٦٦ وتامها ( قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ) ؟

(٢) النسع : سير ينسج عربياً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، والقطعة

فيه مسائل :

- الأولى ، وهي العظيمة : أن من هزل بهذا فهو كافر .  
 الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .  
 الثالثة . الفرق بين النسيمة والنصيحة لله ولرسوله .  
 الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .  
 الخامسة : أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل .

## باب

ما جاء في قول الله تعالى : ( ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضراء مسته ليقوان هذا لي ) (١) الآية .  
 قال مجاهد : هذا بعلمي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله : ( قال إنما أوتيته على علم عندي ) (٢) . قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .  
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٠ . (٢) سورة القصص ، الآية : ٧٨



وسلم يقول: « إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، وبذهب عني الذي قد قذرني الناس [به] <sup>(١)</sup> قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطني لونا حسنا وجلداً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطني ناقةً عسراً، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأنى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، وبذهب عني الذي قذرني الناس [به] <sup>(٢)</sup> فمسحه، فذهب عنه، وأعطني شعراً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل فأعطني بقرة حاملاً قال: بارك الله لك فيها فأنى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري؛ فأبصر به الناس، فمسحه، فردَّ الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: النعم. فأعطني شاةً والدأ؛ فأنتج هذان وواتد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من النعم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتباع به

(١) كلمة (به) ليست في «الصحيحين»، هنا ولا فيما بعدها، ولعلها تفسير.

في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأنني أعرفك ، ألم تكن أبرص بقدرك الناس ، فقيراً ، فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كبراً عن كبري فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وآتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . وآتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . سألتك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبدّع بها في سفري . فقال : كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله . فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك ، ورسخت على صاحبك « أخرجاه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : ( ليقولن هذا لي )<sup>(١)</sup> .

الثالثة : ما معنى قوله : ( أوتيته على علم عندي )<sup>(٢)</sup> .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من المبر العظيم .

## باب

قول الله تعالى ( فلما آتاها صالحا جملا له شركاء فيما آتاها )<sup>(١)</sup>  
الآية .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كمبد  
عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تفشأها آدم حملت ، فأتاها  
إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ، لتطيعاني أو  
لا تجملنَّ له قرني أيتل ، فيخرج من بطنك فيشققه ، ولا فعلن ولا فعلن  
- يخوفها - سمياه عبد الحارث ، فأيا أن بطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ،  
فأتاها ، فقال مثل قوله ، وأيا أن بطيعاه ، فخرج ميتا . ثم حملت ،  
فأتاها ، فذكر لهما ، فأدر كهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك  
قوله تعالى : ( جملا له شركاء فيما آتاها )<sup>(١)</sup> رواه ابن أبي حاتم .

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في  
عبادته . وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : ( لئن آتيتنا صالحا )<sup>(١)</sup>  
قال : أشفقا أن لا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٨٩

(٢) يعني أنهم لم يتفقوا على تحريم هذا الاسم ، بل اختلفوا ، فلا يفهم من كلام  
ابن حزم جواز التسمي به .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية ، من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة ، والشرك

في العبادة .

## باب

قول الله تعالى : ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين

يلحدون في أسمائه )<sup>(١)</sup> الآية .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : ( يلحدون في أسمائه )<sup>(١)</sup> :

يشركون . وعنه : سموا اللات من الآلهة ، والعزى من العزيز ، وعن

الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٩

الثالثة : الأمر بدعائه :

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين للمحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من أهد.

## باب

لا يقال : السلام على الله

في « الصحيح » عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح لله .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح لله .

## باب

قول : اللهم اغفر لي ان شئت

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« لا يقل أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ،  
ليعزم المسألة ، فإن الله لا لمُكره له . »

ولمسلم : « وليُعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه . »

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء .

الثانية : بيان العلة في ذلك .

الثالثة : قوله : « ليعزم المسألة » .

الرابعة : إعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

## باب

لا يقول : عبدي وأمتي

في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :  
« لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضي ربك ، وليقل : سيدي ومولاي  
ولا يقل : عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي ، وغلامي . »

فیه مسائل :

- الأولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي .  
 الثانية : لا يقول العبد : ربي ، ولا يقال له : أطعم ربك .  
 الثالثة : تعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي .  
 الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .  
 الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

## باب

لا یرد من سأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من استعاذ بالله فأعذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه ، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

فیه مسائل :

- الأولى : إعادة من استعاذ بالله .  
 الثانية : إعطاء من سأل بالله .  
 الثالثة : إجابة الدعوة .

الزابعة : المكافأة على الصنعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

## باب

لا يسأل بوجه الله الا الجنة

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » . رواه أبو داود .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه

## باب

ما جاء في اللغو

وقول الله تعالى : ( يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلتنا

ههنا )<sup>(١)</sup> . وقوله : ( الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا

ما قُتِلوا )<sup>(٢)</sup> الآية .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨



في « الصحيح » عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال :  
 « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزنَّ وإن أصابك  
 شيءٌ فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله  
 وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان . »

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول : لو ، إذا أصابك شيءٌ .

الثالثة : تمليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

## باب

### النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا  
 الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه  
 الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه  
 الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » صححه الترمذي .

فيه مسائل :

- الأولى : النهي عن سب الربح .  
 الثانية : الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الانسان ما يكره .  
 الثالثة : الارشاد إلى أنها مأمورة .  
 الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشراً .

## باب

قول الله تعالى : ( يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ قل إن الأمر كله لله )<sup>(١)</sup> الآية . وقوله :  
 ( الظانين بالله ظنَّ السوء عليهم دائرة السوء )<sup>(٢)</sup> الآية .

قال ابن القيم في الآية الأولى : ففسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة (الفتح) ، وإنما كان هذا ظن السوء ، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصديق ، فمن ظن أنه يُبدل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ (٢) سورة الفتح ، الآية : ٦

أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك  
لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الدين كفروا ( فويل للذين كفروا من  
النار )<sup>(١)</sup> وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما  
يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ،  
وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره  
من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على  
القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ؛ فمُستقبل  
ومُستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

فإن نتج منها نتج من ذي عظمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً  
فيه سائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران . الثانية : تفسير آية الفتح .  
الثالثة : الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر . الرابعة : أنه لا يسلم  
من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

## باب

ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده ، لو كان لأحدهم مثل

أحد ذهباً، ثم أنفق في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر .  
ثم استدل بقول النبي ﷺ : « الإيمان : أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،  
ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » . رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم  
الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن  
ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم،  
فقال له : اكتب، فقال : رب، وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير  
كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني اسمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له :  
اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » .  
وفي رواية لابن وهب قال : قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن  
بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

وفي « المسند » و « السنن » عن ابن الديلمي <sup>(١)</sup> قال : أتيت أبا  
ابن كعب، فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله  
يُدْهِبُه من قلبي، فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى  
تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن

(١) هو عبد الله بن فيروز الديلمي المقدسي .

ليصديق ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار قال : فأثبت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح رواه الحاكم في « صحیحہ »<sup>(١)</sup> .

### فيه مسائل :

- الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر . الثانية : بيان كيفية الإيمان به .
- الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .
- الرابعة : الإخبار بأن أحداً لا يحد طعم الإيمان حتى يؤمن به .
- الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .
- السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .
- السابعة : براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .
- الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .
- التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

## باب

### ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال

(١) أي في « مستدرکه » .

الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرّة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » . أخرجه .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » .

ولهما عنه مرفوعاً : « من صور صورة في الدنيا كتف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ » .

ولمسلم عن أبي الهيثم قال : قال لي عليّ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته .

فيه مسائل :

الأولى : التخليط الشديد في المصورين .

الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « ومن

أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : « فليخلقوا ذرّة أو

شعيرة » .

الرابعة: التصريح بأهم أشد الناس عذاباً.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفساً يعذب بها

في جهنم. السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

## باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: (واحفظوا أيمانكم) (١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« الحلف منفقة للسلمة، محقة للكسب » أخرجه .

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاثة لا يكلمهم

الله ولا يزكهم ولهم عذاب أليم: أشيمطزان، وعائل مستكبر، ورجل

جمل الله بضاعته، لا يشتري إلا يمينه، ولا يبيع إلا يمينه » رواه

الطبراني بسند صحيح.

وفي « الصحيح » عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: « خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم

— قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ — ثم إن

بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون،

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٢

وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن .

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يحيي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته . »

قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .  
فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منققة للسلمة ، محقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا يمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع فلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يخلفون ولا يستحلون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة ، أو الأربعة ، وذكر

ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون على الشهادة والعهد .

## باب

ما جاء في زمة الله وزمة نبيه

وقول الله تعالى : ( وأوفوا بعهدهم الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا



الأيمان بعد توكيدها (١) الآية .

عن بريدة : أن رسول ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، فقال : « اغزوا بسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تفلثوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدأ ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فاسألهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تحفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تحفروا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك . فإنك لا تدري ، أنصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ » رواه مسلم .

(١) سورة النحل الآية : ٩١

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشاد إلى أقل الأضرار خطراً .

الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

الرابعة : قوله : « قاتلوا من كفر بالله » .

الخامسة : قوله : « استعن بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السابعة : كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري

أوافق حكم الله أم لا ؟ .

## باب

ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجل :

والله لا يفقر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذي يتألى عليّ أن لا أغفر

لفلان ؟ إني قد غفرت له وأحببتُ عملك » رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة :

تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته .

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التأني على الله .

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شريك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله « إن الرجل ليتكلم بالكلمة .. الخ .

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور .

إليه .

## باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اُنْهَكْتَ الْأَنْفُسَ ، وَجَاعَ الْعِيَالُ ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبِّكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللَّهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سُبْحَانَ اللَّهِ اسْبِحَانَ اللَّهِ ! » فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَيْحَكَ ، أَنْدَرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنْ شَانَ اللَّهُ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ » وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغييره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : « نستشفع بك على الله » .

الرابعة : التنبيه على تفسير « سبحان الله » .

الخامسة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

## باب

ما جاء في صحابة النبي ﷺ صمى التوحيد وسره طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ، قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى

النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » .

قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ؛ فقال : « قولوا بقولكم ، أو

بعض قولكم ، ولا يستجبر ينكم الشيطان » . رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن ناساً قالوا : يا رسول الله ! يا خيرنا

وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ! قولوا

بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يسمهوينكم الشيطان ، أنا محمد ، عبد الله

ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزاتي التي أنزاني الله عز وجل »

رواه النسائي بسند جيد .

في مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الفلوس .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة قوله : « ولا يستعبرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا

إلا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

## باب

ما جاء في قول الله تعالى

( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم

القيامة ) (١) الآية .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء خبر من الأخبار إلى

رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على

إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ،

والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك .

فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ

رسول الله ﷺ : ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته

يوم القيامة ) (١) الآية .

وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزهم ،

فيقول : أنا الملك ، أنا الله ، وفي رواية للبخاري : يجعل السماوات على

إصبع ، والماء والثرى على إصبع ؛ وسائر الخلق على إصبع ، أخرجاه .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

وروي عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدرام سبعة ألقيت في ترس » . قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن سلمة ، عن حاصم ، عن زرار ، عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن حاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق . وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول

الله ﷻ: « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » . أخرجه أبو داود وغيره<sup>(١)</sup> .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ( والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة )<sup>(٢)</sup>

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه

ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها .

الثالثة : أن الخبر لما ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم ، صدقه ،

ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الخبر

هذا العلم العظيم .

(١) ولكن ذكر أن المسافة بين كل سماء ٧١ أو ٧٢ أو ٧٣ سنة لخمسمائة دور واه أحمد بلفظ (خمسمائة) كما في الكتاب وفي سند الحديث مجهول ، وهو علته ، وليست الملة ابن أبي ثور كما ظن السيد رشيد رضا فإنه قد توبع ، كما بينه الشيخ أحمد شاكر في التعليل على المسند ( ١٧٧٠ و ١٧٧١ ) ولكنه خفيت عليه علة الحديث الحقيقية فصححه !

(٢) سور الزمر ، الآية : ٦٧

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السماوات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله : « كخردلة في كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات .

العاشر : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله

مسيرة خمسمائة سنة . والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .



## حكم موالاته أهل الاشرار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله أن الانسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم، خوفاً منهم، ومداراة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحب الاسلام والمسلمين. هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة، واستدعي بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاته بينه وبين المسلمين، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله! فان هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له: اكفر، أو افعل كذا، وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو بأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالايمان. وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر (توحيد - ٢٢)

هازلاً، أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟  
وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأيدده .

الدليل الأول : قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)<sup>(١)</sup> فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى، وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حق . ثم قال تعالى : ( قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير )<sup>(٢)</sup> وفي الآية الأخرى : ( إنك إذا لمن الظالمين )<sup>(٣)</sup> فإذا كان النبي ﷺ، لو وافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة، كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم؟ فأنهم لا يرضون إلا بذلك .

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : ( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يردد منكم عن دينه فيميت وهو كافر فأوائك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )<sup>(٤)</sup> فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٥

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة ، بن أخبر عن واقفهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد ، فان مات على رده بعد أن قاتله المشركون فانه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن واقفهم من غير قتال ؟ فإذا كان من واقفهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأهم كفار مرتدون .

الدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة )<sup>(١)</sup> فهي سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم ؛ وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء ، أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الانسان مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم ، فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغيضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحباب الحياة الدنيا على

(١) سور آل عمران ، الآية : ٢٨

الآخرة، والخوف من المشركين، وعدم الخوف من الله، فما جعل الله الخوف منهم عذراً، بل قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١).

الدليل الرابع: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) (٢) فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم؛ وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم. ثم قال: (بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) (٣)، فأخبر تعالى أن الله مولى المؤمنين وناصرهم، وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار، فبإحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشأوا فيه، ودانوا به زماناً، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين، وخير الناصرين، إلى ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ١٢٠ بئس للظالمين بدلاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠

الدليل الخامس : قوله تعالى : ( أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير )<sup>(١)</sup> ، فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الانسان من أهلها ، من رضوان الله ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله ؛ فلا يستوي عند الله من نصر توحيدہ ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ؛ ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين . فان قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتم . وأيضاً فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه . وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم . وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه ، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً )<sup>(٢)</sup> أي في أي فريق كنتم ؟ أي فريق المسلمين ، أم في فريق المشركين ؟

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٦٠ (٢) سورة النساء، الآية : ٩٧

فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم  
الملائكة ، وقالوا لهم: (لم تكن أرض الله واسعة فهاجروا فيها فأولئك  
مأواهم جهنم وساءت مصيراً) (١) .

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا  
مع المشركين ، وفي فريقهم وجماعتهم . هذا مع أن الآية نزلت في  
أناسٍ من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج  
المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ،  
فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم نأسفوا وقالوا : قتلنا إخواننا ،  
فأنزل الله فيهم هذه الآية فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على  
الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة  
على دينهم ، ودخلوا في طاعتهم ، وآوؤهم ونصروهم ، وخذلوا أهل  
التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتيمهم  
وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد ،  
والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا  
كرهاً ، واختياراً لا اضطراراً ؛ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين  
تركوا الهجرة شحاً بالوطن ، وخوفاً من الكفار ، وخرجوا في جيشهم

مكرهين خائفين . فان قال قائل : هلاً كان الاي كراه على الخروج عذراً  
الذين قتلوا يوم بدر ؟ قيل : لا يكون عذراً ، لأنهم في أول الامر لم  
يكونوا معذورين إذا قاموا مع الكفار ، فلا يعذرون بعد ذلك بالاي كراه ،  
لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة .

الدليل السابع : قوله تعالى : ( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا  
سمعت آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا  
في حديث غيره إنكم إذا مثلهم )<sup>(١)</sup> . فذكر الله تعالى أنه نزل على  
المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ، ويستهزأ بها ،  
فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وأن من جالس مع  
الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم ، فهو  
مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره ، إلا المكره ، هذا وهم في بلد  
واحد في أول الاسلام ، فكيف بمن كان في سعة الاسلام وعزه وبلاده ،  
فدما الكافرين بآيات الله ، المستهزئين بها إلى بلاده ، واتخذهم أولياء  
وأصحاباً وجلساء ، وسمع كفرهم واستهزائهم وأقرهم ، وطرده أهل التوحيد  
وأبعدهم ؟ .

الدليل الثامن : قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا  
اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه

منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (١). فهي سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم ، فان جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بان أمره وانضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر ، لما في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك ، خوفاً أن تصيبهم دائرة . قال الله تعالى : ( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ) (٢) .

الدليل التاسع : قوله تعالى : ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ) (٣) ، فذكر الله تعالى أن موالات الكفار موجبة لسخط الله ، والخلود في العذاب بمجردھا ، وإن كان الانسان خائفاً ، إلا من أكره

(٢) سور المائدة ، الآية : ٥٢

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١

(٣) سور المائدة ، الآية : ٨٠



بشرطه ، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة الله بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟!

الدليل العاشر : قوله تعالى : ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون )<sup>(١)</sup> . فذكر تعالى أن موالة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه . ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين ، ولم يفرق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ؛ وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون ، فجرّم ذلك إلى موالة الكفار ، والردّة عن الاسلام ، نموذ بالله من ذلك .

الدليل الحادي عشر : قوله تعالى : ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعموهم إنكم لمشركون )<sup>(٢)</sup> وهذه الآية نزلت لما قال المشركون : نأكلون ما قتلتم ولا نأكلون ما قتل الله ، فأنزل الله هذه الآية . فاذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره ، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم ، والكون معهم ونصرهم ، والشهادة أنهم على

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٤ (٢) سور الأنعام ، الآية : ١٢١

حق ، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم ، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ؛ فهم أولاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .

الدليل الثاني عشر : قوله تعالى : ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانساخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين )<sup>(١)</sup> وهذه الآية نزلت في عالم عابد في زمان نبي إسرائيل ؛ يقال له : بلعام ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : لما نزل بهم موسى عليه السلام - يعني بالجبارين - أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت ذهبت دنيائي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فساخه الله مما كان عليه . فذلك قوله تعالى : ( فانساخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين )<sup>(١)</sup> .

وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعني الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنساخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه الله إياها ، وعرفها وضار من أهلها ثم انساخ منها ، أي ترك العمل بها ،

وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين ومعاوتتهم برأيه ، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه ، أن يردم الله عن قومه ، خوفاً على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحق ، ويشهد به ، ويتعبّد ، ولكن صدّه عن العمل به ، متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض ، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى ، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم ، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بعبادة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله جميعاً ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاودة المشركين ، وبفضهم وجهادهم وفراقهم والأمر بهدم الأوثان ، وإزالة القحاب<sup>(١)</sup> واللواط والمنكرات ، وعرفوها وأقرّوا بها ، ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : ( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون )<sup>(٢)</sup> فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب

(١) القحاب : جمع قحبة ، وهي البني ، والفاسدة ، والفاجرة .

(٢) سورة هود ، الآية : ١١٣ .

لسيس النار، ولم يفرّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف  
 بمن اتخذ الركون اليهم ديناً ورأياً حسناً، وأعانهم بما قدر عليه من  
 مال ورأي، وأحبّ زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك  
 عليهم؛ فإن هذا أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه  
 إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ويمكن من شرح بالكفر صدرأ  
 فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم. ذلك بأنهم استحبوا الحياة  
 الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين<sup>(١)</sup> فحكم تعالى  
 حكماً لا يبدل أن من رجع عن دينه إلى الكفر، فهو كافر، سواء كان له  
 عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل، أم لا، وسواء كفر بباطنه أم  
 بظاهره دون باطنه، وسواء كفر بفعاله ومقاله، أو بأحدهما دون  
 الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا، فهو  
 كافر على كل حال، إلا المكره، وهو في امتنا: المفصوب، فإذا أكره  
 الإنسان على الكفر وقيل له: اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك، أو  
 أخذته المشركون فضربوه، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم، جاز له  
 موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً

(١) سورة النحل، الآيات: ١٠٦ و١٠٧

عليه ، معتقداً له فأمّا إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً .  
 وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون  
 مكرهاً حتى يعذبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو  
 مريض ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث  
 عمار . وقال الله تعالى : ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان )<sup>(١)</sup>  
 فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر ؛ فقال يحيى : لا يقبل عذراً .  
 فلما خرج يحيى قال أحمد يحتاج بحديث عمار ، وحديث عمار :  
 صررت بهم وهم يسبّونك فنهيتهم فضررتني وأنتم قيل لكم : نريد  
 أن نضربكم ؛ فقال يحيى : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين  
 الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر ،  
 وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا إلا خوفاً ؛ فعليهم  
 غضبٌ من الله وإهم عذابٌ عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب  
 الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ،  
 وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فأثره على الدين

وعلى رضى رب العالمين . فقال : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين )<sup>(١)</sup> فكفرهم تعالى ، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بحجة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وممهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .  
ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون .

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن أهل الكهف . ( إنهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدأ )<sup>(٢)</sup>  
فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين : إما أن يرجوكم ، أي يقتلوكم شرقتة بالرحم ؛ وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم ، ولن تفلحوا إذا أبدأ ، أي وإن وافقتموه على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم ، فإن تفلحوا إذا أبدأ ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد ، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه ، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : ( ومن الناس من يعبد الله

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٧ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٠

على حرف فان أصابه خيرٌ اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين<sup>(١)</sup> فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرفٍ ، أي على طرفٍ ( فان أصابه خير) - أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ، ونحو ذلك - (اطمأن به) - أي ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً - (وإن أصابته فتنة) - أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك - (انقلب على وجهه) أي أرتدَّ عن دينه ورجع إلى أهل الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة ، يعبدون الله على حرف ، أي على طرفٍ ، ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات ، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين ، وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ، فهم معهم في الآخرة ، كما هم معهم في الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . هذا مع أن كثيراً منهم في عافية ، ما آتاهم من عدو ، وإنما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يدل الباطل وأهله على الحق وأهله ، فأرداهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء : ( وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين )<sup>(٢)</sup> وأنت يامن من الله عليه بالثبات على الاسلام ،

(١) سورة الحج ، الآية : ١١ (٢) سورة فصلت ، الآية : ٢٣

احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب ، أو تحسبن أمر هؤلاء المرتدين ، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن ، حذر أعلی الأُنفس والأموال والمحارم ، فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثير أمن الأولين والآخرين في الشرك بالله ، ولم يعذرهم الله بذلك ، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وإنما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه ، فلم يعذر بها أحداً ولا ببعضها ، فقال : ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين )<sup>(١)</sup>.

الدليل السابع عشر : قوله تعالى : ( إنَّ الذين ارتدّوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سولّ لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله سنطيمكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم )<sup>(٢)</sup> فذكر تعالى عن المرتدين على أديبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدّوا على علم ، ولم يفهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرّم الشيطان

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٤

(٢) سورة محمد ، الآيات : ٢٥-٢٨



بتسويله، وتزيين ما ارتكبه من الردة؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، غرهم الشيطان، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبتته والشهادة به لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أن كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به؛ ولكن يتركون متابعتة والعمل به محبة الدنيا، وخوفاً على الأنفس والأموال، والمآكل والرئاسات.

ثم قال تعالى: (ذلك بأهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر)<sup>(١)</sup> فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة، وتسويل الشيطان، وإملائه لهم، هو قولهم الذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر؛ فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله بطاعتهم في بعض الأمر كافراً، وإن لم يفعل ما وعدهم به؛ فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموال، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم، وأن الصواب في مسألتهم، والدخول في دينهم الباطل؛ فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم

(١) سورة محمد، الآية: ٢٦

في بعض الأمر، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال (ذلك) الأمر الفظيع عند الوفاة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)<sup>(١)</sup>. ولا يستريب مسلم أن اتّباع المشركين، والدخول في جملتهم، والشهادة أنهم على حق، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله، ونصرة القباب والقصاب<sup>(٢)</sup> واللواط، من اتّباع ما يسخطه الله، وكرهه رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم. فأين هذا ممن يقول: ما جرى منّا شي ونحن على ديننا.

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً، وإن قوتكم لنصرنكم والله يشهد لإهم الكاذبون)<sup>(٣)</sup> فمقد تعالى الأئمة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: (لئن أخرجتم لنخرجن معكم)<sup>(٣)</sup>، أي لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً)<sup>(٣)</sup>؛ أي لا نسمع من أحد فيكم قولاً، ولا نعطي فيكم طاعة. (وإن قوتكم لنصرنكم)<sup>(٣)</sup>؛ أي إن قاتلكم محمد ﷺ لنصرنكم ونكون معكم، ثم

(١) سورة محمد، الآية: ٢٨ (٢) جمع قحبة وهي المرأة البغي.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١١

شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول ، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم إن أجلوا ، نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً ؛ فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً ، وقدم عليهم ، ودخل في طاعتهم ، ودعا إليها ، ونصرهم وانقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأطاعهم بالمال والرأي ؛ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر ، كما قال تعالى : ( فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يُسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة )<sup>(١)</sup> .

فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة ، فإنَّ عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال الله تعالى : ( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا جهد أيمانهم إنهم لم يمسكتم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين )<sup>(٢)</sup> ثم قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين )<sup>(٣)</sup> .

فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ (٢) سورة المائدة ، الآيات : ٥٢ ، ٥٣

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالدلّة والنواضع للمؤمنين ، والعزّة والغلظة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذلّه ولينه لعباد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزّته وغلظته على أهل التوحيد والاختصاص ؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف ، فقد قال تعالى : ( ولا يخافون لومة لائم )<sup>(١)</sup> . وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين ، ثم قال تعالى : ( يجاهدون في سبيل الله )<sup>(٢)</sup> أي في توحيدِهِ ، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا ، ولا يخافون لومة لائم ؛ أي لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم ، بل يمضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه ؛ إنما هم<sup>(٣)</sup> وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كانت همه<sup>(٤)</sup> وغاية مطلوبه رضى عبّاد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجائهم ، والهرب مما يسخطهم ، فإن هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم )<sup>(٥)</sup> ، فأخبر تعالى أن هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ (٢) في الأصل : همتهم (٣) في الأصل : همته

الايان الثابتين على دينهم عند وقوع الحرب، ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ثم قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١)، فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين - وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله - وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة . فالمتولي اضدم، واضع للولاية في غير محاسنها، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤمنين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب . ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم فقال: (ومن يتول الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون) (٢).

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ) (٣) الآية . فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥ (٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

قريب ، وأن هذا منافٍ للإيمان ، مضادٌ له ، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قال تعالى في موضع آخر : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استجبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون )<sup>(١)</sup> . ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والأزواج والمشارف ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، إذا كان لم يبرخص لأحد في موادتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم ، وإيثاراً لمرضايتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأبعد أولياء وأصحاباً ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ؛ فجمعوا مع الردة استحلال الحرام .

الربيل العسرون : قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ) إلى قوله : ( ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل )<sup>(٢)</sup> ، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ؛ أي أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه إلى الضلالة .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ١

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٣

فإن هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم، لم يخرج عنه؟  
فإن هذا تكذيب لله، ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما  
حرّم الله من ولاية الكفار، ومن أستحل محرّماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: (إن  
تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون  
بصير) <sup>(١)</sup> فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها  
ومشقة مفارقتها، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تنغي من  
عذاب الله شيئاً، كما قال في الآية الأخرى: (فاذا نفخ في الصور  
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) <sup>(٢)</sup>.

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبو داود وغيره،  
عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ أنه قال: «من جامع المشرك  
وسكن معه، فإنه مثله». فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع  
المشرك، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم، فكيف بمن  
أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم؟ فان قالوا: خفنا؛ قيل  
لهم: كذبتهم.

وأيضاً فليس الخوف بعذر، كما قال تعالى: (ومن الناس من

(١) سورة الممتحنة، الآية ٣ (٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١

يقول آمناً بالله فاذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله (١) فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف، وإنما جاؤوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدوائر.

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته. وأما من أراد الله فتنته وضلالته، فكما قال تعالى: (إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا المذابح الأليم) (٢).

ونسأل الله الكريم المنان أن يحيينا مسلمين، وأن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، برحمته وهو أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم آمين.

(١) سورة المنكوبت، الآية: ١٠ (٢) سورة يونس، الآيتان: ٩٦ و٩٧



## هذا كتاب

# بيان النجاة والفكاك من موالاته المرتدين وأهل الاشراك

سمع سبغنا السبغ صحر بن علي بن عنبه النجيري رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب فيمناً بلا اعوجاج، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشرعة والمنهاج، والصلاة والسلام على محمد الذي مزق الله ظلام الشرك بما معه من السراج، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وبانوم من غير امتزاج.

أما بعد؛ فأني قد كنت تكلمت وشددت في النهي عن موالاته المشركين، ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة الكافرين. ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه، مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين، وكنت أظن أن من قرأ القرآن،

وَأَمِنْ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَبَّدْنَا بِالْعَمَلِ بِهِ، وَالْقِيَامِ، إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَذْعَنَ لَهُ وَانْقَادَ، وَبَادَرَ إِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِحُكْمِهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَّا نَذَكُرُونَ) <sup>(١)</sup> وَقَالَ تَعَالَى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا) <sup>(٢)</sup>. وَقَالَ تَعَالَى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ. وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى) <sup>(٣)</sup>. فَحَصَلَ مِنْ بَعْضِ الْجَاهِلِينَ وَالْمَعَانِدِينَ إِتْكَارٌ لِّلذِّكْرِ، وَجَعَدُوا لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ الْإِقْرَارَ بِهِ وَالْقِيَامَ، فَصَارَ الْمُنْتَسِبُونَ إِلَى الْعِلْمِ الْمَدْعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ طَلَبْتِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى أَقْسَامٍ:

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ اسْتَحْسَنَتِ الْمَعَارِضَةَ الْجَاهِلَةَ الضَّالَّةَةَ وَرَضِيَتْهَا، وَإِنْ لَمْ تُصْرَحْ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ عَلَى وُجُوهِهَا.

وَطَائِفَةٌ كَرِهَتْ الْمَعَارِضَةَ، وَاسْتَجْهَلَتْ صَاحِبَهَا، لَكِنَّمَا لَمْ تَفْعَلْ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنْ رَدِّ ذَلِكَ، وَالْإِتْكَارَ عَلَى سَائِكِهِ، وَلَوْلَا مَا وَقَعَ لَهُؤُلَاءِ، لَمَا كَانَ الْمَعَارِضُ مَسَاوِيًا لِمَنْ يَجَاوِبُهُ.

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٣ (٢) سورة النساء ، الآية : ٦٥

(٣) سورة طه ، الآيات : ١٢٣-١٢٦

فلاجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا المعارض، نقض فيها أقواله نقضاً بديعاً، وهي كافية في الرد عليه، فصار شيخنا هو إمام الطائفة، الرادُّ لأقوال أهل الباطل المنكرة لها، والله ناصر دينه، ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. ثم إني كتبت - إن شاء الله - كلمات فيها بيان لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب إلى العلم، لقول الله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (١). وقوله تعالى: (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) (٢). منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم. ومنها مما يصير به الرجل مرتدأ. ومنها ما يمذر الرجل به على موافقة المشركين، ويظهر الطاعة لهم. ومنها مسألة إظهار الدين. ومنها مسألة الاستضعاف. ومنها وجوب الهجرة، وأنها باقية، وصميت هذا الكتاب «سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشرار» وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الاخلاص، وأن ينفع به من قرأه طلباً للنجاة والخلص.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧

## فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فبين للناس ما نزل إليهم ، فما من خير إلا دلهم عليه ؛ وعرفهم الطرق الموصلة إليه ، وما من شر إلا حذرهم منه ، وسد عليهم أبوابه المفضية إليه ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ .

وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لما وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك ، [و] وصفهم بأنهم صفار العيون ، ذلف الأنوف ، فكان وجوههم المجان المطرقة . ومعنى ذلف الأنوف ؛ أنها فصار مبطحة .

والمجان : جمع مجن ، وهو الترس . أراد وجوههم مستديرة ناتئة وجنتها . هذا معنى كلام البغوي في « شرح السنة » فكان من حكمة الله وعدله أن ساطهم...<sup>(١)</sup> لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية ، ودعوا إلى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تساطت هذه

---

(١) هنا بياض في الأصل .

الدولة الكفرية. فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية ، وإن كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعالى : ( لا يسئل عما يفعل وهم يسألون )<sup>(١)</sup> .

وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حادثة ظهور التتار في زمنه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، قد جرى فيها شبه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلي بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة . فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ ، تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي ، وبالعموم المعنوي وعهود الله في كتابه وسنته ، تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أولها .

وإنما نص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم ، لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين ، ويكون

للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين .

كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصّلة ، وأجمل ذكر قصص الأنبياء : ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب )<sup>(١)</sup> وقال لما ذكر قصة فرعون : ( فأخذ الله نكال الآخرة والأولى إن ذلك لعبرة لمن يخشى )<sup>(٢)</sup> وقال في محاصرة بني النضير : ( هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم ) إلى قوله : ( فاعتبروا يا أولي الأبصار )<sup>(٣)</sup> .

فأمر أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلنا ، وذكر في غير موضع : أن سنته في ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقال تعالى : ( لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأذبار ثم لا يجردون ولياً ولا نصيراً . سنة الله التي قد

(١) سورة يوسف ، الآية : ١١١ (٢) سور النازعات ، الآيات : ٢٥ و٢٦

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٢ (٤) سورة الاحزاب ، الآيات : ٦٠-٦٢

خلت من قبل وان تجد لسنة الله تبديلاً<sup>(١)</sup> وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .  
 فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عبادته ودأب الأئمة وعاداتهم ، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها ، واستطار في جميع الديار شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ، وكشّر فيها الكفر عن أنيابه وأضراره ، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجثت ويحترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن : ( المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا<sup>(٢)</sup> ) وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهلهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبهم ، وظنوا ظن السوء وكانوا قوماً بوراً .  
 ونزلت فتنة تركت الحليم حيراناً ، وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران .

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان ، حتى إن الرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللفهان ، وميّر الله فيها أهل البصائر والإيقان من الدين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان . ورفع بها أقواماً

(١) سورة الفتح ، الآيات : ٢٣ و٢٤ (٢) سورة الاحزاب ، الآية : ١٢

إلى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقواماً إلى المنزلة الهاوية ، وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى وما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى .

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد ، كما يتفرقوا كذلك في اليوم الموعود ، ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى إلا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبلبت فيها السرائر ؛ وظهرت الحنايا التي تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل ، وذم سادته وكبراه من أطاعهم فأضاهوه السبيل . كما حمد ربه من صدق في إيمانه واتخذ مع الرسول سبيلاً .

وبأن صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الأخبار بما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون ، أي ملهون كما توأمت عليها المبشرات التي أربها المؤمنون ، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد في نصره الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر خارج عن شريعة الاسلام وانقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غرّه بالله الفرور . وكان هذا الامتحان تمييزاً من الله وتقسيماً ( ليجزي الصادقين بصدقهم ويمذب المنافقين إن شاء أو



يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً<sup>(١)</sup> .  
 قلت : وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره ، أو أعظم  
 منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساماً .  
 أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساعٍ في ذلك بكل جهده ، وهم القليلون  
 عدداً ، الأعظمون عند الله أجراً .  
 القسم الثاني : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعوتهم .  
 القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب  
 المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي  
 ﷺ قال : « من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقاً فقد برئت  
 منه ذمة الله وذمة نبيه »<sup>(٢)</sup> .

## فصل

وهذا أو ان الشروع في المقصود ، فأمام معاداة الكفار والمشركين ،  
 فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرّم  
 موالاتهم وشدد فيها ، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من  
 الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٢٤

(٢) ر.ه الطبراني في المعاجم الثلاثة ، وفي اسناد الكبير ، حنش ، وهو  
 متروك . وفي اسناد الصغير والاوسط : سعيد بن رحمة وهو ضعيف .

ضده قال الله تعالى : ( وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون )<sup>(١)</sup> .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمصيبتهم ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد النصديق إلا به والابقان بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيمون من الشك والتكذيب ، ومظاهرهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض ، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء . كما قال تعالى : ( والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير )<sup>(٢)</sup> . فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين )<sup>(٣)</sup> الآية وقوله : ( إنما نحن مصلحون )<sup>(١)</sup> أي يريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصاح مع هؤلاء وهؤلاء . يقول الله : ( ألا إنهم هم المفسدون )<sup>(٤)</sup> . يقول : ألا إن هذا الذي يعتمدون ويترجمون

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١ (٢) سورة الانفال ، الآية : ٧٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٤٤ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٢

أنه إصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد  
 اه . وهذا الذي ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله إذا قيل لهم :  
 ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح  
 أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ، ويكون [ لنا ] يد عندهم . وبعضهم  
 إذا ظن بالله ظن السوء من [ إيذاء ] أهل الباطل ، ورأى من له اتصال  
 بهم ، وتوصل إليهم ، اتخذهم صديقاً ، ورضي به ، قائلاً بلسان حاله :  
 ( نخشى أن تصيبنا دائرة )<sup>(١)</sup> . ( ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا  
 يشعرون )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين  
 يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن  
 العزة لله جميعاً )<sup>(٣)</sup> . إلى قوله : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين  
 أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم ساطعاً مبيناً )<sup>(٤)</sup> .  
 قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من  
 دون المؤمنين . يعني معهم في الحقيقة ، يوالونهم ويسرون إليهم بالموودة ،  
 ويقولون لهم إذا خلوا بهم : ( إنا معكم إنا نحن مستهزون )<sup>(٥)</sup> .  
 أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة . قال الله تعالى منكرأ عليهم فيما

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢  
 (٣) سورة النساء ، الآيات : ١٣٨ و ١٣٩ (٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٤  
 (٥) سورة البقرة ، الآية : ١٤

سلكوه من موالة الكافرين : ( أيتنون عندهم العزة )<sup>(١)</sup> .

ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له ، ولمن جعلها له . كما قال تعالى في الآية الأخرى : ( من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً )<sup>(٢)</sup> .  
وقال تعالى : ( والله العزة لرسوله وللمؤمنين )<sup>(٣)</sup> الآية .

والمقصود من هذا : التهييج على طلب العزة من جناب الله تعالى ، والالتجاء إلى عبوديته ، والانتظام في جملة عبادة المؤمنين الذين لهم النصر في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قلت : فإذا كانت موالة الكافرين من أفعال المنافقين . فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها ، وقال تعالى : ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء )<sup>(٤)</sup> .  
فهى سبحانه المؤمنين عن موالة الكافرين ، ثم قال : ( ومن يفعل ذلك )<sup>(٤)</sup> أي ومن يوال الكافرين ، فليس من الله في شيء ، أي فقد برى من الله ، وبرى الله منه . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، حفظاً للإسلام والتوحيد . وقال تعالى : ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب

(١) سورة النساء ، الآية : ١٣٩

(٢) سور فاطر ، الآية : ١٠

(٣) سورة المنافقون ، الآية : ٨

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام: فبيّن سبحانه [أن] الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ملزم بعدم ولايتهم. فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم المزموم.

قلت: رتب الله تعالى على موالاته الكافرين سخطه، والخلود في العذاب، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا لمن ليس بهؤمن، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله، فإنهم لا يوالونهم، بل يمادونهم، كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)<sup>(٢)</sup>. فهي سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى.

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠، ٨١

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٥١، ٥٢

وذكر أن من تولاّم فهو منهم . أي من تولى اليهود فهو يهودي ، ومن تولى النصارى فهو نصراني .

وقد روى ابن أبي حاتم ، عن محمد بن سيرين . قال : قال عبد الله بن عتبة ، ليق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( فإنه منهم )<sup>(٢)</sup> الآية .

وكذلك المشرك ، فهو مشرك . ومن تولى الأعمام فهو أعجمي ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار . ثم أخبر تعالى أن الدين في قلوبهم مرض ، أي شك في الدين وشبهة ، يسارعون في الكفر قائلين : ( نخشى أن تصيبنا دائرة )<sup>(٣)</sup> ، أي إذا أنكرت عليهم موالاته الكافرين . قالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل ، فيتسلطون علينا ، فيأخذون أموالنا ، ويشردوننا من بلادنا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال فيه : ( الظانين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً )<sup>(٤)</sup> ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ( فمسى الله أن يأتي بالفتح

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سورة الفتح ، الآية : ٦

أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (١)  
 وعسى من الله واجب الحمد لله الذي أتى بالفتح ، فأصبح أهل الظنون  
 الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين وقال تعالى : (يا أيها الذين  
 آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا  
 الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) (٢)  
 فهي سبحانه وتعالى المؤمنین عن موالاة أهل الكفارين وغيرهم من  
 الكفار ويبيّن أن موالاة الكفار تنافي الإيمان . وقال تعالى : (يا أيها الذين  
 آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان  
 ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وأبناءؤكم  
 وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها وتجارة تخشون  
 كسادها ومساعدها كن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في  
 سبيله فترتبصوا حتى يأتي بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (٣)  
 فهي سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه - اللذين هما أقرب  
 الناس إليه - إذا كان دينهما غير الإيمان ، ويبيّن أن الذي يتولى أباه  
 وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم

(١) - سورة المائدة ، الآية : ٥٢ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٧

(٣) - سورة التوبة ، الآيتان : ٢٣ و٢٤

أعداء له ولا آبائه ولدينه! أفلا يكون هذا ظالم؟ بلى والله إنه لمن أظلم الظالمين.

ثم بيّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاته الكافرين، فليس لأحد أن يوليهم خوفاً على أبيه، أو أخيه، أو بلاده، أو ماله، أو مشيخته بمشيرته، أو مخافته على زوجاته، فإن الله قد سدّ على الخلق باب الأعداء بأن هذا ليس بمعذر. فإن قيل: قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد فالجواب من وجهين: أحدهما أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية، ليس بيانها عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاتلتهم بطريق الأولى.

الوجه الثاني: أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا. كما دلت على الجهاد، فإنه قال: (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله)<sup>(١)</sup>، فحجة الله ورسوله توجب إثارة عداوة المشركين ومقاتلتهم على هذه الثمانية، وتقديمها عليها. كما أن محبة الجهاد توجب إثارة عليها، وبالله التوفيق. وهذا إذا صممه المنصف يكون [عنده] ظاهراً. وأما من أعمى الله بصيرته بسبب تعصبه، كما قال تعالى: (إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)<sup>(٢)</sup>. وقال

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ (٢) سورة بونس، الآيات: ٩٦، ٩٧



تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) <sup>(١)</sup>. ثم قال: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا يفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) <sup>(٢)</sup>. فأخبر أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضاً بأن ينازوا عن المسلمين، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير، فتبين أن موالة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين، بترك واجباته، وارتكاب محرماته، والخروج عن شرائعه، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال. فأين هذا من أقوال المفسدين <sup>(٣)</sup>: إن موالة المشركين صلاح وعافية وسلامة. وقال تعالى: (ودووا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) <sup>(٤)</sup>. فأخبر تعالى عن الكفار، أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا، ثم نهى أهل الإيمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام. وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً

(١) سورة الانفال، الآية: ٧٢ (٢) سورة الانفال، الآية: ٧٢

(٣) في الأصل: من أقوال الفساد والمحبون (٤) سورة النساء، الآية: ٨٩

في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . إن يتقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن نفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لا أتستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير (١) . إلى قوله : (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (٢) . إلى قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) (٣) .

وقد ثبت في « الصحاح » أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بعسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عام الفتح، فانزل الله هذه الآيات يخبر [عن] هذا الكتاب .

(١) سورة الممتحنة ، الآيات : ١-٤ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٩

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ١٣

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في إثر المرأة التي ذهبت بالكتاب ، فوجده في عقيصة رأسها ، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يمتذر ويحلف أنه ماشك ، ولكنه ليس له من يحمي [من وراه] من أهله بمكة ، وأنه أراد بهذا يداً عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة في قتله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فلولاً أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب .

ففي هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاتلتهم أدلة كثيرة ، فهي تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ عدوه وعدوهم . وهذا تهيج على عداوتهم ، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثلاً ، والله المثل الأعلى ، فقدر نفسك مملوكاً للإنسان هو سيّدك ، والسبب في حصول مصالحك ومنع مضارك ، وسيّدك له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجوز في عقلك أن تتخذ عدو سيّدك وليّاً ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟ فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل إليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟ فكيف إذا كان هذا العدو ، لسيّدك ، وعدو لك ؟ فإذا واليته مع ذلك كله ، إنك إذا لمن الظالمين الجاهلين .

ثم قال : ( تلقون إليهم بالموذبة )<sup>(١)</sup> وهذا كافٍ في إبطال شبهة المشبهين . فانه إذا أنكر عليهم موالاته المشركين وموالاتهم . قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يمينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بألسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين .

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله إلقاء بالموذبة ، وهذا ظاهر جداً .

ثم قال : ( وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم )<sup>(١)</sup> فذكر ما يدعو إلى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله ، وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الاسلام لأجل الايمان بالله .

ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد .

ثم قال : ( ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل )<sup>(١)</sup> أي من يتولى أعداء الله وبلقي إليهم بالموذبة ، ويسر إليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب

ثم قال : ( إن يتقوكم يكونوا لكم أعداء )<sup>(٢)</sup> الآية . فبيّن

(١) سور المتحنة ، الآية : ١ (٢) سورة المتحنة ، الآية : ٢

أنهم إن قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ،  
 (ويستطوا إليكم أيديهم وألسنتهم)<sup>(١)</sup> بالضرب والقتل ، وبالكلام الغليظ .  
 ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم ؛ فإنهم لا يرضون عنه  
 و[لا] يسلّمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال : ( وودوا  
 لو تكفروا )<sup>(٢)</sup> . كما قال : ( ولن يرضى عنك اليهود ولا النصارى  
 حتى تتبّع ملتهم )<sup>(٣)</sup> .

ثم قال : ( لن تفعمكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة )<sup>(٤)</sup> الآية فيبين  
 أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح له موالاتهم ،  
 كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً ، فلم يعذره  
 الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما  
 سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب إلى الانسان من ولده  
 ووالده والناس أجمعين . فقله : ( لن تفعمكم أرحامكم ولا أولادكم يوم  
 القيامة )<sup>(٥)</sup> أي : لن ينجوكم من عذاب الله ، فكيف تقدّمونهم على  
 صراط الله ؛ ولا تجلهم تولون أعداء الله ؛ والله تعالى مطلع عليكم بصير  
 بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بيّن أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه

(١) سورة المتحنة ، الآية : ٢ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠

(٣) سورة المتحنة ، الآية : ٣

من موالاة الكافرين ، ليس هو أمراً لهم وخدم ، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين . فقال ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه )<sup>(١)</sup> من المرسلين ( إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده )<sup>(٢)</sup> فقوله : ( قد كانت لكم أسوة حسنة )<sup>(١)</sup> كقوله تعالى : ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً )<sup>(٣)</sup> .

فأمرنا سبحانه أن نتأسى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم : ( إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله )<sup>(١)</sup> إلى آخره . وإذا كان هذا واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم ، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له في جميع الأمور أبين وأبين .

وهاهنا نكتة بديمة في قوله : ( إنا برآء منكم ومما تعبدون من الله )<sup>(١)</sup> وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله ، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثاني ، فانه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه وأما إذا تبرأ من المشركين ، فإن هذا يستلزم البراءة

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٣

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

من معبوداتهم . وهذا كقوله تعالى : ( وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاّ أكون بدطاء ربي شقياً )<sup>(١)</sup> . فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم ، وكذا قوله : ( فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله )<sup>(٢)</sup> . وقوله : ( وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله )<sup>(٣)</sup> . فعليك بهذه النكت ، فإنها تفتح باباً إلى عداوة أعداء الله . فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ، ولكنه لا يعادي أهله ، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين<sup>(٤)</sup> .

ثم قال : ( كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )<sup>(٥)</sup> . فقوله : وبدا ، أي ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء . ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة

(١) سورة مريم ، الآية : ٤٨ (٢) سورة مريم ، الآية : ٤٩

(٣) سورة الكهف ، الآية : ١٦

(٤) لأن دين جميع المرسلين ، ترك الشرك ، ومعاداة أهله .

(٥) سورة المنتحنة ، الآية : ٤

والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين . وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فإن ذلك يدل على عدم البغضاء . فمليك بتأمل هذا الموضوع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون )<sup>(١)</sup> . فذكر سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم ، وترك موالاتهم وهي أنهم يقاتلون في الدين ، أي من أجله ، يعني أن الدين حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم ، وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفي هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرمة منافية للإيمان . وذلك أنه قال : ( إنما ينهاكم الله )<sup>(١)</sup> فجمع بين لفظة إنما المفيدة للحصر ، وبين النهي الصريح ، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر وهو لفظة هم .

ثم قال : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور )<sup>(٢)</sup> . فهي

(١) سورة المتحنة ، الآية : ٩ (٢) سورة المتحنة ، الآية : ١٣



سبحانه أهل الإيمان عن موالاته الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى .

## فصل

وههنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها لئيم لفاعها بجانب دين المشركين .

الرؤس الأولى : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها . قال تعالى : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير )<sup>(١)</sup> .

قال شيخ الاسلام : فانظر كيف قال في الخبر ملتهم ، وقال في النهي : أهواهم . لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير وقال تعالى لموسى وهارون : ( فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون )<sup>(٢)</sup> (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين )<sup>(٣)</sup> وقال

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ (٢) سورة يونس ، الآية : ٨٩

(٣) سورة الاعراف ، الآية : ١٤٢

تعالى : ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير  
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً )<sup>(١)</sup> وقال  
تعالى : ( وأنزانا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب  
ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من  
الحق )<sup>(٢)</sup> إلى قوله : ( ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن  
بعض ما أنزل الله إليك )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( ولقد آتينا بني إسرائيل  
الكتاب والحكم والنبوّة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين .  
وآتيناهم بيتنا من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً  
بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على  
شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يغفوا  
عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتقين )<sup>(٤)</sup> .  
وقال شيخ الإسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بني  
إسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من  
بعضهم لبعض . ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها  
ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون . وقد دخل في الذين لا يعلمون  
كل من خالف شريعته ، وأهوائهم ما يهوونه .

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٥ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٤٨

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٩ (٤) سورة الحائمية ، الآيات : ١٦-١٩

قلت : فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفار وسلوك ما يحبونه منهيًا عنه وممنوعاً منه ، فهذا هو المطلوب . وما ذلك إلا خوفاً من اتباعهم في أصل دينهم الباطل .

وقال تعالى : ( وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالكت من الله من ولي ولا واق )<sup>(١)</sup> .  
فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكماً عربياً ، ثم [ ذكر ]  
توعده على اتباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد .

وقال تعالى : ( ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون )<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الآيات لدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتباعهم وأنه من أعظم الفواحش في الدين .

الأمر الثاني : معصيتهم فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٧ (٢) سورة الانعام ، الآية : ١٥٠

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٠

فرطاً) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعنموهم وإنكم لمشركون) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) <sup>(٣)</sup> وقال تعالى: (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً) <sup>(٤)</sup> وقال تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم) <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً) <sup>(٦)</sup> وقال تعالى إخباراً عنمن أطاع رؤساء الكفر: (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً) <sup>(٧)</sup> وقال تعالى: (اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) <sup>(٨)</sup>.

وفسر النبي ﷺ اتخذهم أرباباً أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام. فاذا كان من أطاع الأجبار وهم العلماء والرهبان، وهم العباد في ذلك، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، فمن أطاع الجهال

- 
- |                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة الكهف، الآية: ٢٨    | (٢) سورة الانعام، الآية: ١٢١     |
| (٣) سورة الانعام، الآية: ١١٦ | (٤) سورة الفرقان، الآيات: ٥٢، ٥١ |
| (٥) سورة التوبة، الآية: ٧٣   | (٦) سورة الاحزاب، الآية: ١       |
| (٧) سورة الاحزاب، الآية: ٦٧  | (٨) سورة التوبة، الآية: ٣١       |

والفساق في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله؛ بل ذلك أولى وأحرى .

### الرُّسْلَةُ الثَّلَاثُ : ترك الركون إلى الكفرة والظالمين

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : ( ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون )<sup>(١)</sup> فنهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظلمة ، وتوعد على ذلك بمسيس النار ، وعدم النصرة ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم . كما قال تعالى : ( إن الشرك لظلم عظيم )<sup>(٢)</sup> فمن ركن إلى أهل الشرك ، أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم ، فإنه مستحق لأن يمدبه الله بالنار ، وأن يخذله في الدنيا والآخرة

وقال تعالى : ( ولولا أن نبئتناك لقد كدت تركزن إليهم شيئاً قليلاً . إذا لا ذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً )<sup>(٣)</sup> فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله ﷺ ، لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ، وأنه لو ركن إليهم لأذقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً ، ولكن الله تثبته فلم يركن إليهم ، بل عاдам وقطع

(١) سورة هود ، الآية : ١١٣ (٢) سورة لقمان ، الآية : ١٣

(٣) سورة الاسراء ، الآيتان : ٧٥،٧٤

اليد منهم ، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به .

الرُّمْرُ الرابع : ترك موادة أعداء الله . قال الله تعالى ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم )<sup>(١)</sup> .

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يوادُّ من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يوادُّ كافراً ، فمن وادَّ كافراً فليس بمؤمن .

قلت : فإذا كان الله قد نفى الايمان عن وادِّ أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادِّين الله ورسوله ، فمن وادَّ الكفار البعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً .

الرُّمْرُ الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غريبة ، كان بينهما من المودة والاتلاف أمر عظيم . وإن كانا في مصرهما ، لم يكونا

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

متعارفين ، أو كانوا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف ،  
 به اختصاص عن بلد الفرية . بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد  
 غريب ، فكانت بينهما مشابهة في العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو  
 المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ،  
 وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا  
 يألفون غيرهم ، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أمّا على الدين ،  
 تجد الملوك من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة  
 تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع  
 ومقتضاها ، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فإذا كانت  
 المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاتة لهم ، فكيف بالمشابهة  
 في أمور دينية ؟ فان إفضاءها إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد . هذا  
 كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قلت : فإذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة إنما نهى  
 عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ومحبتهم بالنهي عن هذه  
 الغاية ، والمحذور أشد ، والمنع منه وتحريمه أو كده ، وهذا هو المطلوب ،  
 ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين . روى  
 أبو داود في «سننه» عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من

تشبه بقوم فهو منهم» . قال شيخ الاسلام وإسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم ، كما في قوله تعالى (ومن يتولهم منهم فإنه منهم)<sup>(١)</sup> . وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال : من بنى بأرض المشركين ، وصنع نيروزهم ، ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة .

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة ، وقالت : لا تشبهوا باليهود .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال عمر ابن الخطاب : لا تعلموا رطانة الأجاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ، فإن السخط ينزل عليهم .  
 وورد<sup>(٢)</sup> بإسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : من بنى ببلاد الأجاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة .

فهذا عمر نهى عن تعاطف لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم ؛ فكيف [بمن] يفعل بمض أفعالهم ، أو فعل ما هو من مقتضيات

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) في الأصل : وروي



دينهم؟! أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم، أي أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشر كهم في العمل أو بعضه، أليس قد تعرض إلى العقوبة؟

وأما عبد الله بن عمرو، فصرح: أنه من بني بيلادهم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت، حشر معهم. وهذا يقضي أنه جملة كافر بأشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية، لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة لم يجز جملة جزءاً من المقتضى، إذ المباح لا يعاقب عليه، وليس الدم على بعض ذلك مشروطاً ببعض، إلا أن أباض ما ذكره يقضي الدم منفرداً. وعن عمرو بن ميمون الأودي<sup>(١)</sup>، قال: قال عمر رضي الله عنه: كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطاع الشمس، ويقولون: أشرق نبير كما تغير. فخالفهم النبي ﷺ، وأفاض قبل طلوع الشمس. وقد روي في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال: «خالف هدينا هدي المشركين». وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، فخالفهم النبي ﷺ، فالإفاضة بعد الغروب.

وعن عبد الله بن عمرو، قال: رأى رسول الله ﷺ علي بن الحسين

(١) في الأصل: الأزرعي، وقال فيه: عمله الأزرعي، وما أثبتناه هو الثابت في كتب الرجال.

معصفرين ، قال : « إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها » . رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار .

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد : وإياك وزبيّ أهل الشرك ، وهو في « الصحيحين » .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتاً ، فرأى

فيه شيئاً من زيّ العجم ، فخرج وقال : من تشبهه بقوم فهو منهم .

وقال علي بن أبي صالح السواق : كنا في وليمة ، فجاء أحمد بن

حنبل ، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة ، فخرج ، فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده في وجهه وقال : زيّ المجوس ، زيّ المجوس ؟!

وعن قيس بن أبي حازم ، قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه على

امرأة من أحسن يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم . فقال : ما لها لا

تتكلم ؟ فقالوا : حجة مصمتة . فقال لها : تكلمي فان هذا لا يحل ،

هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين .

قالت : أي المهاجرين ؟ قال : من قريش . قالت : من أي قريش ؟ قال : إنك

لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي

جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم .

قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم رؤساء وأشرف<sup>(١)</sup> يأمرونهم

(١) في الأصل : أشرفاً .

فيطعمونهم؟ قالت: بلى. قال: فهم أولئك على الناس. رواه البخاري في « صحيحه ».

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه: أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمّه. وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية، وصف يوجب النهي عنه، والمنع منه. وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس: إياكم وزى أهل الشرك.

وهذا النهي منه للمسلمين من كل ما كان من زى المشركين، وفي كتابه إلى عتبة بن فرقد: إياكم والتنعم، وزى أهل الشرك، ولبوس الحرير.

وروى أحمد في « المسند » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال حماد بن سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر رضي الله عنه: ضاهبت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم

جاء فبسط رداه ، فكس الكناسة في رداه ، وكس الناس .  
 فعاب رضي الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أى مشابهتها في مجرد  
 استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من يمتقدها قبله باقية ، وإن كان  
 المسلم لا يقصد أن يصلي إليها .

وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات  
 المحكمة ، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فإنه رضي الله عنه هو  
 الذي استحالت ذنوب الاسلام في يده غرباً ، فلم يفر عبقرى فريه حتى  
 صدر الناس بمطن ، فأعزَّ الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعار  
 الدين الحنيفي ، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى تقصير عرى الاسلام ،  
 مطيعاً في ذلك لله ولرسوله ، وقافاً عند كتاب الله ، ممتثلاً لسنة رسول  
 الله ﷺ ، محبذاً حذو صاحبه ، مشاوراً في أموره السابقين الأولين ،  
 حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه ، وحتى منع  
 من استعمال كافر ، واثمانه على الأمة ، وإعزازه بعد إذلاله ، أي [بعد أن]  
 أذله الله .

وحتى روي أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذي أمر بأهل  
 البدع أن ينفوا ، وألزمهم ثوب الصفار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل :  
 أأحنقن . قال : لا تبذ العورة ولا تستن بسنة المشركين .

فقوله: لا تستنَّ بسنة المشركين عام.

وروى أبو داود عن أنس ، أنه دخل عليه غلام وله قرنان ، أو قَصَّتان فقال : احلقوا هذين أو قصَّوهما ، فإن هذا زيّ اليهود . علل النهي عنهما بأن ذلك زيّ اليهود ، وتعليل النهي بعلّة يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوباً عدمها . نقل ذلك شيخ الإسلام ، وقال أيضاً عند قوله ﷺ : « هل بها عيد من أعياد الجاهلية ؟ » .

وهذا نهى شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان . وأعياد الكفار من الكتابيين والاميين في دين الإسلام من جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم ، وإن كان بعضه أشد تحريماً ؛ وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذين يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد ، والنهي عنه أوكد ، إلى أن قال : وقد بالغ ﷺ في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحات وصفات الطاعات ، لئلا يكون ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم .

فليس بمد حرصه ﷺ على أمته ، ونصحهم غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قلت : فإذا كانت مبالغته ﷺ في أمر أمته بمخالفة الكفار ، وإنما هي خوفاً من أن تكون مشابهيهم في الهدى الظاهر مؤذية وجارة إلى الموافقة والموالاته ، فما بال كثير ممن بدعي الاسلام قد وقع في المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟

وروى أبو داود في « سننه » وغيره من حديث هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن أبي عمير بن أنس ، عن عمومة له من الانصار ، قال : اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم [للمصلاة] كيف يجمع الناس لها ؟ اذ كروا له شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هو من أمر اليهود » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هو من أمر النصارى » . الحديث . قال في « القاموس » : شبور كمنور : البوق الذي ينفخ فيه ويذمر انتهى .

والفرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ، وناقوس النصارى المضروب باليد ، علل هذا بأنه من أمر اليهود ، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى ، لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ، ويقتضي

كرهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالواقيس في أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم ، وإنما شعار الدين الخفيف الأذن المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذي به تفتح أبواب السماء ، وتهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد ابتلي كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودي والنصراني ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ، هي وأمثالها مما خالفوا به هدي المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، ساط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله . وذلك تصديق قوله ﷺ : « لتركبنَّ منن من كان قبلكم » . انتهى من « الاقتضاء » وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدي المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الإسلام ، وقع نظيره في هذه الأزمان . فإن المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدي اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبهوا بهم في كثير من الأمور ، ساط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الإسلام ، فجرى على الإسلام محن عظيمة وأمور كبيرة ، حتى إنهم

بذلّون الرئيس ، ويمتهنون الشيوخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والمصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، وبأبي الله إلا إظهار دين الرسول : ( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون )<sup>(١)</sup> .

فإذا محّص الله أهل الايمان ، وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم في غابر الأزمان ؛ أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام ، فزقهم بها في أقرب أوان ، وشردهم إلى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه ورسوله في سائر الأزمان

لكن بمحنة حزبه من حزبه

وقال أيضاً :

والحق منصور وممتحن فلا

وبذلك يظهر حزبه من حزبه ولاجل ذلك الناس طائفتان

(١) سورة التوبة ، الآيات : ٣٢ و٣٣



وقال شيخ الاسلام في الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضي إجماع المسلمين عن التميز عن الكفار ظاهراً ، وترك التشبه بهم . ولقد كان أمراء الهدي مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني أن عمر رضي الله عنه كتب أن : لا تكتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة ، ولا تكونوا ، وأذلوا ، ولا تظلموا . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك إظهارها ، ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضي الله عنه ، والمسامون معه ، وسائر العلماء ، وبعدهم من وفقه الله عز وجل من ولاة الأمر ، على منعهم من أن يظهرُوا في الاسلام شيئاً مما يختصمون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الاسلام خصائص المشركين ؟ فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها ؟

ومنها ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع إكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرون به ، كما يفتشون باهمال أمر دينهم الباطل .

قال الشيخ أيضاً وقال تعالى : ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا

شيعا لست منهم في شيء<sup>(١)</sup> وذلك يقتضي تبرّيه منهم في جميع الأشياء ، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا مني . أي أنا من نوعه وهو من نوعي . لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع ، كما في قوله : (بعضهم من بعض)<sup>(٢)</sup> ، وقوله عليه السلام لعلي : « أنت مني وأنا منك » . وقول القائل : لست من هذا في شيء ، أنا متبرّئ من جميع أموره ، وإذا كان الله ورسوله قد برى من جميع أمورهم ، فمن كان متابعا لرسوله ﷺ حقيقة كان متبرّئا لتبريه ومن كان موافقهم كان مخالفا للرسول ﷺ بقدر موافقته فإن الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابهه أحدهما خالفه الآخر . وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء )<sup>(٣)</sup> الآية .

وقال تعالى : ( ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم )<sup>(٤)</sup> . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، إلى قوله : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر )<sup>(٥)</sup> إلى آخر السورة . وقال تعالى : ( إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٩٥

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٧ ، وأولها : ( المنافقون والمنافقات .. )

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٤) سورة المجادلة ، الآية : ١٤

(٥) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

وأفسدهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة، فعمد سبحانه وتعالى الموالاتة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باق إلى يوم القيامة. وقال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)<sup>(٢)</sup> الآيتين. ونظائر هذا في غير موضع من القرآن. بأمركم سبحانه بموالاتة المؤمنين حقاً، الذين هم حزبه وجنده، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم. والموالاتة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين. ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر، إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع ما من الموالاتة والمودة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما تحب الطبيعة، وتدل عليه العادة. ولهذا كان السلف رضي الله عنهم، يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً. قال لي: مالك؟! فقلت: الله، أما سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصارى أولياء) (١). ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. وكما دلّ عليه معنى الكتاب، جاءت سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم، وترك التشبه بهم، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم». أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع، لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في الشعر فقط، فهو لا أجل ما فيه من المخالفة فالمخالفة إما علة مفردة، أو علة أخرى، أو بعض علة، وعلى التقديرات تكون مأموراً بها، مطلوبة من الشارع. فقال تعالى: (والذين لا يشهدون الزور) (٢). قال الضحاك: الزور: عيد المشركين. رواه أبو الشيخ بإسناده. وبإسناده عنه، الزور: كلام الشرك. وبإسناده عن مرة، لا يمالؤون أهل الشرك على شركهم، ولا يخالطونهم، وبإسناده عن عطاء بن يسار، قال: قال عمر: إياكم ورطانة الأحاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كبنائسهم. وقول هؤلاء

التابعين: إنه أعياد الكفار ، ليس مخالفاً لقول بعضهم: إنه شرك أو صنم كان في الجاهلية ، ولقول بعضهم: إنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم: إنه الغناء ، لأن عادة السلف في تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى للحاجة المستمع [إليها] ، أو للتنبيه على الجنس . ووجه تفسير التابعين تارة بما يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة ، والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة ، وهي باطلة ، إذ لا منفعة فيها في الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فمأقبتها إلى ألم ، فصارت زوراً ، وشهودها محظوراً . وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟!

واعلم أنا لو لم نعلم أن موافقتهم قد أفضت إلى هذه القبائح ، [لما وافقت] الطباع عليه ، وأوفق استدلال [على ذلك] بأن أصول الشريعة توجب النهي عن هذه الذريعة<sup>(١)</sup> . فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالحكوية ؟! وسر هذا أن المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية غالباً ، أو تفضي إليهما في الجملة ، وما أفضى إلى ذلك كان محرماً .

(١) لم يكن الأصل واضحاً ، وكان فيه بياض ، فتصرفنا فيه بما يناسب المعنى .

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبه لسرّ الذي سبق الكلام لأجله ، وهو أن المشابهة في الظاهر إنما نهى عنها لأنها لا تورث نوع مودة وموالاتة في الباطن ، وتفضي أيضاً إلى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنها . فإذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاتة الكفار والمشركين ، التي إنما نهى عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادي إلى سواء الصراط .

## فصل

في ذكر جوابات عن إبرادات أوردتها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفا عنهم فن ذلك ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال : أنا مسلم ولكن [لا أستطيع أن] أكفر أهل لا إله إلا الله ولو لم يعرفوا معناها ؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول : لا أتعرض القباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها ؟

فالجواب : إن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ، ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول ﷺ فيما أخبر به ، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به . فمن قال : لأحادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم . أو قال : لا أتعرض أهل لاله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك ، وعادوا دين الله . أو قال : لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلماً ، بل هو ممن قال الله : ( ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً )<sup>(١)</sup> . والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ، ومنابتهم وتكفيرهم . فقال : ( لا تعبدوا ما سجدوا لله مؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين )<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول )<sup>(٤)</sup> الآيات . والله أعلم .

نقل من جواب الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ و ١٥١ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٤) سورة الممتحنة ، الآية : ١

وأخيه عبد الله ، وفي أجوبة أخرى ، ما قولكم في الموالاتة والمعاداة هل هي من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وواجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الايمان عن من يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ؛ لا سيما إذا كان الجدال في ذلك والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين ، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا في الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم .



فهذه بمض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين، وهي المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية وهي : الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً : فأحدها: الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته ، يُدعى كما يدعى الله ، ويُخاف كما يخاف الله ؛ أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئاً من عبادات . فاذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام ، وإن صام النهار وقام الليل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ( وإذا مس الانسان ضرراً دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمةً منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار )<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى : ( ومن بدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون )<sup>(٢)</sup> .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين ، فقد كفر وخرج من الاسلام ، وحبطت أعماله . كما قال الله تعالى : ( ولو أشركوا لحبط ما كانوا يعملون )<sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧

(١) سورة الزمر ، الآية : ٨

(٣) سورة الانعام ، الآية : ٨٨

الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم والدليل قوله تعالى : ( إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم وأملئ لهم . ذلك بأنهم قالوا المذنب كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم أسرارهم . فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم )<sup>(١)</sup> .

وذكر الفقيه سايان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ، وحدثنا عن رسول الله ﷺ ، استدلل بها أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه ، أنه يكون بذلك مرتدأ خارجأ من الاسلام . وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه<sup>(٢)</sup> .

وقال شيخ الاسلام المذكور إمام هذه الدعوة الحنيفية في كلامه على آخر سورة (الزمر) . الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الاسلام

(١) سورة محمد ، الآيات : ٢٥-٢٨

(٢) انظر رسالة دأوثق عرى الايمان، صفحة ١٥٨ .

في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم ، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قاه كارهاً له .. إلى أن قال : الثالثة: أن الذي يكفر به المسلم ، ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هؤلاء الذين ذكروهم الله ، لم يريدوا منه وَاللَّهُ تغيير العقيدة كما تقدم ، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويغضهم ، فهذا كافر ، لا من أكره .. إلى أن قال : ولكن رحم الله من تنبّه لسر الكلام وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر ، مع كون القلب بخلاف ذلك ، فان هذا هو الذي أرادوه من النبي ﷺ ، فافهمه فهماً حسناً ، لعلك تعرف شيئاً من ذين إبراهيم عليه السلام ، بدأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال في سورة (الكهف) .

التاسعة: المسألة المشككة على أكثر الناس ، أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً كارهاً لموافقتهم ، فقد كذب في قول: لا إله إلا الله ، واتخذ إلهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها .

العاشرة: أنه لو يصدر منهم ، أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .  
واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى .

الرُّصْر الثالث مما يصير به المسلم مرتداً، موالاة المشركين والدليل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (١). وقوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) (٢). فذكر في الآية الأولى: أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم. ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله: (ومن يتولهم منهم فإنه منهم) (١): ليق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشمر وقال ابن جرير في قوله: (فليس من الله في شيء) (٢) يعني فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه. وأما قوله: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) (٣). فهي كقوله: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (٣). وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

الرُّصْر الرابع: الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار والدليل قوله تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٦

سمعت آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً<sup>(١)</sup>.

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى ، لما سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » قالوا : الجواب أن الآية على ظاهرها ، إن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجالس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الرضى بالذنب كفاعله ، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة وادعى أناس منهم [أنهم] كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه . وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه ، فهو

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٠

مثله « على ظاهره ؛ وهو أن الذي يدعى الاسلام ، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعده المشركون منهم ؛ فهو كافر مثلهم وإن ادعى الاسلام ، إلا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى المشركين . انتهى .

قلت : ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة ، وفيه : يا مجاعة اتركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب ، وسكوتك عنه إقراراً له إلى آخره .

وتقدم قول عبد الله بن عمرو : من بنى ببلاد المشركين ، فصنع نيروزهم ومهرجاناتهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم يوم القيامة . وقال تعالى : ( ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ) (١) .

الرؤس الخاصي : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله . والدليل على ذلك قوله تعالى : ( قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نف عن طائفة منكم نعتب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ) (٢) .

(١) سورة النحل ، الآيات : ١٠٦-١٠٧

(٢) سورة التوبة ، الآيات : ٦٥ و٦٦

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية فيه ، وهو قولهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ؛ ولا أجهن عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم : دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق .  
وقول الآخر ، إذا رأى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر : جاءكم أهل الديك بالكاف بدل النون ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم : هؤلاء الطلبة بسكون اللام ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكافة ، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثاني غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل الرمز بالعين ، وإخراج اللسان ، ومد الشفة ، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الرؤم السادس : ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة إلى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ( وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل

أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدّها الله الذين كفروا وبئس المصير<sup>(١)</sup>.  
فذكر الله ذكر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها .

اليوم السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب  
والحكمة ، والدليل قول الله تعالى : ( ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله  
فأحبط أعمالهم )<sup>(٢)</sup> .

اليوم الثامن : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث ،  
والمجادلة في ذلك . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ( ما يجادل في آيات  
الله إلا الذين كفروا فلا يفررك تقلبهم في البلاد )<sup>(٣)</sup> .

اليوم التاسع : جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها  
أو شيئاً مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك قول  
الله تعالى : ( إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرّقوا بين الله  
ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا  
بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً  
مهيناً )<sup>(٤)</sup> . وهذا أخص من الذي قبله .

اليوم العاشر : الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك ،

(١) سورة الحج ، الآية : ٧٢ (٢) سورة محمد ، الآية : ٩

(٣) سورة غافر ، الآية : ٤ (٤) سورة النساء ، الآيتان : ١٥٠ و١٥١



والدليل قوله تعالى: (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) (١).

الأمر العادي عشر: كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه،  
والدليل على ذلك قول الله تعالى: ( شرع لكم من الدين ما وصى به  
نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن  
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله  
يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ) (٢) فذكر أنه  
لا يكره إقامة الدين إلا مشرك، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو  
كافر.

الأمر الثاني عشر: السحر تعلمه وتعليمه والعمل به، والدليل  
قول الله تعالى: ( وما يعلمان من أحد حتى بقولا إنعما نحن فتنة فلا  
تكفر ) (٣).

الأمر الثالث عشر: إنكار البعث، والدليل قول الله تعالى:  
( وإن تعجب فعجب قولهم أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لنبي خالق

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣ (٢) سورة الشورى، الآية: ١٣

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

جديد أولئك الذين كفروا برههم) <sup>(١)</sup> إلى قوله: (خالدون) <sup>(٢)</sup>.

الرُّومُ الرَّابِعُ عَشْرُ: التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ

اللَّهِ ﷺ.

قال ابن كثير: كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى، فصار في بيته يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة. ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون) <sup>(٢)</sup>.

قلت: ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم، من تحكيم عادات آبائهم [وما] وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها شرع الزفاقة، يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله. ومن فعل ذلك فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(١) سورة الرعد، الآية: ٥.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فإنه مامن أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين إلى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف<sup>(٢)</sup> البادية وكانوا [الأمرء] المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فإن كثير من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من «منهاج السنة النبوية» ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)<sup>(١)</sup> فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وإن كان قد يقال : إن بعضها يعني عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

(٢) أي حكايات من سلفهم

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤

وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جداً . وقد ذكر صاحب «الافناع» أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، وقد لخصت منه مواضع يسيرة . فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به ، كفر اتفاقاً .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم ، كفر إجماعاً . ومنه قوله : أو وجد منه امتهان للقرآن ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أو سخر بوعده الله أو وعيده ، أي فيكفر بذلك .  
ومنها قوله : أو لم يكفر من دان بغير الإسلام ، أو شك في كفره ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع . قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك أكدر وأشد من تحريم الحشيشة .

ومنها قوله : ومن سب الصحابة أو أحداً منهم ، واقرن سبه بدعوى أن علياً إله أو نبي ، أو أن جبريل غلط ، فلا شك في كفر هذا ،

ولا شك في كفر من توقف في تكفيره .

ومنها قوله : أو زعم أن للقرآن تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ، ونحو ذلك ، فلا خوف في كفر هؤلاء .

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا ، فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك ، بل من شك في كفره فهو كافر انتهى ما خصاً وعزاه إلى الصارم المسلول .

ومنها قوله : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ، فقد كفر ، لقوله تعالى : ( إذ يقول لصاحبه )<sup>(١)</sup> .

قلت : فإذا كان من جحد مدلول آية كفر ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الانتساب إلى الإسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين؟! أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادعاء الإسلام؟ بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه .

ومنها قوله : أو جحد حل الخبز أو اللحم والماء ، أي في كفر بذلك .

ومنها قوله : أو أحل الزنا ونحوه ، أي فيكفر بذلك ، ومن أحل الركون إلى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفر أمن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره ، حتى إن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الاسلام ، وأنه يستتاب منها . فإن تاب وإلا قتل مرتداً ، ولم يغسل ولم يصل عليه ، ولم يدفن مع المسلمين . وهو مع ذلك يقول : لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة . ومن له أدنى نظر واطلاع على كلام أهل العلم ، فلا بد أن يكون قد بلغه بمض ذلك . وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلى الاسلام ، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ، فهي من قواصم الظهور ، وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجاً لمن ينبه عليه .

## فصل

وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :  
 العمل الأول : أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادم بباطنه، فهذا كافر خارج من الاسلام، سواء كان مكرهاً على ذلك أو لم يكن . وهو ممن قال الله فيه : ( ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم )<sup>(١)</sup>.  
 الحال الثاني : أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخالفته لهم في الظاهر ، فهذا كافر أيضاً ، ولكن إذا عمل بالاسلام ظاهراً عصم ماله ودمه ، وهو المنافق .

العمل الثالث : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين : أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له ، ويهددونه بالقتل ، فيقولون له : إما أن توافقنا ونظير الاتقياد لنا ، وإلا قتلناك ، فانه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦

مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، كما جرى لعمّار حين أنزل الله تعالى :  
 ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان )<sup>(١)</sup>  
 وكما قال تعالى : ( إلا أن تتقوا منهم تقاة )<sup>(٢)</sup> . فالآيتان تبينان [ أن من  
 خاف شرهم فله أن يتقيهم بظاهره ، لا بباطنه ونيته ] كما نبه عن  
 ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران .

الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ،  
 وهو ليس في سلطانهم ، وإنما حمله على ذلك إمام مع في رياسة أو مال  
 أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خوف مما يحدث في المآل ، فانه في هذه  
 الحال يكون مرتدأ ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو بمن قال  
 الله فيهم : ( ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا  
 يهدي القوم الكافرين )<sup>(٣)</sup> . فأخبر أنه لم يحماهم على الكفر الجهل أو  
 بغضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظاً من -ظوظ الدنيا  
 فأثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى

وعفا عنه .

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠٦ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٠٧



وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً ، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله ، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين ، والانقياد لهم ، وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً ، تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكروه ، وقد ذكر العلماء صفة الأكره .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : تأملت المذاهب فوجدت الأكره يختلف باختلاف المكروه ، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكره المعتبر في الهبة ونحوها ، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الأكره على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد ، ولا يكون الكلام إكراهاً . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً ولفظه في موضع آخر : لأنه أكرهها ، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر ، فإن الأسير إن خشي الكفار ، وأن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يسبح له التكلم بكلمة الكفر اه .

والمقصود منه أن الأكره على كلمة الكفر لا يكون إلا

بالتعذيب من ضرب أو قتل، وأن الكلام لا يكون إكراهاً، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً. فإذا علمت ذلك، وعرفت ما وقع من كثير من الناس، تبين لك قول النبي ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»، وقد عاد غريباً، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة، وبالله التوفيق.

## فصل

وأما المسألة الرابعة: وهي مسألة إظهار الدين، فإن كثيراً من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين، وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يرد عن المسجد، فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين، أو في أما كن المرتدين، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط. فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام متعددة بتعدد المكفّرات، وقد تقدم بعض ذلك، وكل طائفة من طوائف الكفران، اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهر الدين حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها، ويصرح لها بمداوته والبراءة منه، فمن كان كفره بالشرك، فأظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد، والنهي عن الشرك والتحذير منه. ومن كان كفره بجحد الرسالة، فأظهار الدين عنده

التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ والدعوة إلى أتباعه . ومن كان كفره بترك الصلاة ، فأظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمر بها . ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، فأظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبرائة منه ومن المشركين .

وبالجملة فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً ، وبرائه منه . ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ : عاب ديننا وسفاهه أحلامنا ، وشتم آلهتنا .

وقال الله تعالى : ( قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فانك إذا من الظالمين )<sup>(١)</sup> . فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم : « يا أيها الناس ... » إلى آخره ، أي إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه ، فدينكم الذي أتم عليه أنا بريء منه ، وقد أمرني ربي

(١) سورة يونس ، الآيات : ١٠٤-١٠٦

أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهائي أن أكون من  
المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : ( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا  
أنتم عابدون ما أعبد )<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة ، فأمر الله رسوله ﷺ أن  
يقول للكفار : دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، ودينني الذي أنا  
عليه أنتم براء منه . والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه بريء  
منهم ومن دينهم .

فمن كان متبعا للنبي ﷺ [فعليه] أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهرا  
لدينه إلا بذلك . ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ،  
أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ولو وجد لهم رخصة في السكوت  
عن المشركين لما أمرهم [بالهجرة] إلى بلد الغربة .

وفي السيرة : أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض في مسيره  
إلى أهل اليمامة لما ارتدوا ، قدّم مائتي فارس وقال : من أصبتم من  
الناس فخذوه فأخذوا جماعة في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، فلما  
وصل إلى خالد قال له : يا خالد ! لقد علمت أبي قدمت على رسول الله

(١) سورة الكافرون ، الآيات : ١-٣

ﷺ في حياته فبايعته على الاسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه  
 أمس ، فان يك كذاباً قد خرج فينا ، فان الله يقول : ( ولا ترز  
 وازرة وزر أخرى ) (١) . فقال : يا جماعة ! تركت اليوم ما كنت عليه  
 أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز  
 أهل اليمامة - وقد بلغك مسيري - ؛ إقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهلاً  
 [أبدت] عذراً وتكلمت فيمن تكلم؟! فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ،  
 وتكلم اليشكري .

فإن قلت : أخاف قومي ، فهلاً عمدت إليّ أو بعثت إليّ  
 رسولاً ؟ ا فقال : إن رأيت يا بن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟ فقال :  
 قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك . انتهى .

وسياتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : إن الرجل إذا  
 كان في بلد كفر ، وكان يقدر على إظهار دينه حتى يتبرأ من أهل الكفر  
 الذي هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عدو لهم ، فإن لم  
 يحصل ذلك ؛ لم يكن إظهار الدين حاصلًا .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٤

## فصل

وأما المسألة الخامسة : وهي مسألة الاستضعاف ، فإن كثيراً من الناس ، بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان غاطوا في معنى الاستضعاف ، وما هو المراد به .

وقد بيّن الله ذلك في كتابه بياناً شافياً ، فقال تعالى : ( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً )<sup>(١)</sup> .

فبيّن تعالى مقاتلهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم .

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم ولياً يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم . وقال تعالى : ( إلا المستضعفين من الرجال

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٥

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً<sup>(١)</sup> فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها، وهي أنهم لا يستطيعون حيلة.

قال ابن كثير: لا يقدرّون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال: (لا يستطيعون حيلة)<sup>(١)</sup> قال عكرمة: يعني نهوضاً إلى المدينة: (ولا يهتدون سبيلاً)<sup>(١)</sup> قال مجاهد وعكرمة: يعني طريقاً. انتهى.

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين، وهم مع ذلك: (يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)<sup>(٢)</sup> وهم مع ذلك لا [يعرفون] الطريق، فمن كانت هذا حاله ومقاله: (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً)<sup>(٣)</sup>.

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين، ولم يمنعه من ذلك إلا المشحّة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك، فإن الله تعالى لم يعذر من اعتذر بذلك، وسماه ظالماً لنفسه. فقال تعالى: (إن الدين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في

(١) سورة النساء، الآية: ٩٨ (٢) سورة النساء، الآية: ٧٥

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٩

الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير الجلالين قوله : ( ظالمي أنفسهم )<sup>(١)</sup> بالمقام بين

المشركين .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة في كل من أقام

بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالاجماع وبنص الآية حيث يقول :

( إن الدين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم )<sup>(١)</sup> أي بترك الهجرة ، ( قالوا :

فيم كنتم )<sup>(١)</sup> أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ؟ ( قالوا كنا

مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها

فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً )<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « من جامع

المشرك وسكن معه فانه مثله » .

وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله

ﷺ للعباس : « ادفن نفسك وبرّ أخويك . قال : يا رسول الله ألم نصلي [إلى]

قبلتك ونشهد شهادتك ؟ قال : يا عباس إنكم خاصتم فخصتم » . ثم



تلا هذه الآية ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها )<sup>(١)</sup> الآية  
رواه ابن أبي حاتم . انتهى .

والمقصود منه : بيان مسألة الاستضعاف ، وأن المستضعف هو  
الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً ، وهو مع ذلك يقول : ( ربنا  
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل  
لنا من لدنك نصيراً )<sup>(٢)</sup> وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو  
ماله ، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً كاذب في دعواه ، وعذره  
غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل العلم  
بشريعة الله .

## فصل

وأما المسألة السادسة : وهي وجوب الهجرة وأنها باقية . فالدليل  
عليه قول النبي ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع  
التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » . رواه أحمد وأبو داود .

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ (٢) سورة النساء ، الآية : ٧٥

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال: حدث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تستضيئوا بنار المشركين» .  
قال ابن كثير: معناه لا تقاربوا في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم، بل تباعدوا منهم، وهاجروا من بلادهم.

ولهذا روى أبو داود: «لا تتراءى نارهما» وفي الحديث الآخر: «من جامع المشرك، وسكن معه فهو مثله». فقال تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)<sup>(١)</sup>.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالاسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر [معهم] فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)<sup>(١)</sup> الآية.

وقال الضحاك : نزلت في أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا . ذكره ابن كثير ثم قال : فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالاجماع ؛ وبنص الآية حيث يقول : (إن الدين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ...)

وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا هل يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : إن كان يقدر على إظهار دينه [و] لا يوالي المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ، كما رواه أحمد في مسنده وغيره ، وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك ، لم يجز ، وأيضاً فقد يجزى ذلك إلى موافقتهم ورضاهم كما هو لواقع لكثير

ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، وبين المدة البعيدة؟ فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً ، إذا كان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفي أجوبة أخرى : ما قولكم في رجل دخل هذا الدين ، وأحبه ويحب من دخل فيه ، ويبغض الشرك وأهله ، وامكن أهل بلده يصرحون بعبادة الاسلام ويقاتلون أهلهم ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلماً هذا أم كافراً ؟

الجواب : أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به ، وأحبه

وأحبَّ أهله ، وعرف للشرك وأبغضه وأبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر ، فهذا فيه تفصيل ، فان كان يقدر على إظهار دينه عندهم ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين ، ويظهر لهم كفرهم وعداوتهم لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية : (إن الدين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) <sup>(١)</sup> الايتان ، فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلاً ، ولكن قل أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه وإما أخرجوه وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حق ، فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه يمنع عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه ، فدخل في قوله : (ولكن من شرح بالكفر صدراً) <sup>(٢)</sup> الايات .

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ (٢) سورة النمل ، الآية : ١٠٦

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد  
ابن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم . وكما سئلوا عن أهل  
بلد باقتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هذا الأمر حق ، ولا غير منكرأ ولا أمر  
بمعروف ، وينكر على الموحدين إذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء  
والأجداد .

والذي يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه [أن] يقوله جهاراً ، أجابوا  
بأن أهل هذه القرية المذكورة . إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي  
يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكفار . والمسلم الذي بين أظهرهم ، ولا  
يمكنه إظهار دينه ، تجب عليه الهجرة إذا لم يكن ممن عذره الله ، فإن لم  
يهاجر ، فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال . انتهى .

وفي هذه الأجوبة مسائل : منها بيان المستضعف ، وأنه الذي لا  
يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم  
الذي لم يقدر على إظهار دينه واجبة عليه الهجرة . وقد تقدم أيضاً .  
ومنها صفة إظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوته

لهم ، ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضاً . ومنها بيان أنه إذا فعل ذلك أعني مصرح بكفرهم ، وعداوتهم لهم ، فانهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه أو أخرجوه

قلت : وقد أخبر الله بذلك جميع الكفار . فقال تعالى : ( وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودنَّ في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهالكَنَّ الظالمين . وانسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد )<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب : ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودنَّ في ملتنا قال أولو كنا كارهين )<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف : ( إنهم إن يظهروا عليكم )<sup>(٣)</sup> الآية ، وقوله : ( يرجوكم )<sup>(٣)</sup> أي يقتلوكم بالرجم . وهذا الذي أخبر الله به ، وأشار إليه أئمة الاسلام ، وهو الواقع في هذه الأزمان .

(١) سورة ابراهيم ، الآيتان : ١٣ و ١٤

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٨٨

(٣) سورة الكهف ، الآية :

فان المرتدين بسبب موالاته المشركين والدخول في طاعتهم ،  
لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك ، وإذا أنكره عليهم منكر آذوه  
أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ بل ساءوا في قلبه إن وجدوا  
إلى ذلك سبيلاً .

### والله المستعان



# هذا بيان المحجة في الرد على اللجة<sup>(١)</sup>

تأليف

شيفنا وامانا ناصر السنة الشيخ عبد الرحمن بن حسنه بن شيخ الاسلام

ومفتي الانام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أسكنهم الله الجنة بغير حساب آمين والمسلمين أجمعين يارب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ الامام محمد

ابن عبد الوهاب أجزل الله لهم الثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب :

(١) اسم الرسالة في الأصل : « هذا بيان الحجة في الرد على صاحب اللجة » وقد علق على ذلك أستاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد بن مانع بما يلي :  
قوله صاحب اللجة : اعلم أن كلمة (صاحب) هنا زائدة، وذلك لأن المردود عليه يلقب باللجة، لا صاحب اللجة، وهو محمد بن عبد الله بن حميد مؤلف السحب والوابلة على ضرائح الحنابلة، وهذا الرجل من أهالي عنيزة، ولكنه أقام بمكة، وتولى بها إفتاء الحنابلة، وإمامة المقام الحنبلي، وكان يتردد على وطنه الأول. وكان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين في عنيزة، فمثل عن أبيات البردة الشركية، فأجاب بما هو الحق، ثم إن ابن حميد أخذ جواب الشيخ عبد الله، ورد عليه على طريقة أهل البدع المدافعين عن تلك الأبيات، فوصل الرد =

اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ،  
ولك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت  
ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فرد عليه في  
هذا الكتاب الجليل الذي هو «بيان الحجّة» موضعاً للحق ، ومؤيداً لجواب  
الشيخ عبد الله أبي بطين ، وابن حميد لم يظهر رده إلا بعد مسافر إلى مكة خوفاً  
من علماء المسلمين . وقد ذكر في كتاب «السحب الوابلة» التي جعلها ذيلاً على  
«طبقات ابن رجب» ، «الذيل على طبقات أبي الحسين ابن أبي يعلى» ، عدداً من  
علماء نجد ، ولم يذكر فيها من العلماء السلفيين إلا النادر القليل ، ولكنه ذكر  
جماعة ممن عادي أهل التوحيد ، وشنع في تراجمهم على أهل الحق بالباطل . وقد  
استدرك الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى على صاحب هذه «الطبقات» نحواً من  
خمسين ترجمة لعلماء نجد ، وقد ابتلى الله كثيراً من الناس في تأليف الكتب الباطلة ،  
والدس فيها بما تهواه نفوسهم التي استولى عليها الشيطان ، كصاحب «السحب»  
ومثله كتاب سماه صاحبه : «لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»  
فحرسنا على معرفة هذا الكتاب ، فعلمنا أنه في المكتبة الملكية بلندن ، فسمعنا للحصول  
عليه ، فلما رأيناه ، إذا هو كتاب باطل لفق فيه صاحبه الأباطيل ، وزور على  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الإسلام الكذب ، وكان يمدح الشيخ محمد  
مدحاً تجاوز فيه وغلاً ، ثم يقول : وهذا قبل بدعته ، وذكر أن الشيخ طلب  
العلم في بريدة ، والبصرة ، وبغداد ، والأزهر ، وبلاد المعجم . وذكر أنه استقى  
مأذونه في كتابه من أناس من أهل الزبير ، والكويت . وذكر نسباً للشيخ  
محرراً مزوراً مكذوباً ليس فيه رجل واحد من الذين ذكروا في نسب الشيخ  
في كتاب «توضيح توحيد الخلاق» . أردت التنبيه على ذلك ليعلم أن هذا الكتاب  
من مؤلفات أهل البدع والضلال . مات صاحب «السحب الوابلة» قبل الثلاثمائة  
والألف في الطائف .

لا شريك له الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً. واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً<sup>(١)</sup> وأشهد أن محمداً عبد ورسوله الذي قال الله خطاباً له: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)<sup>(٢)</sup> اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه، ومن أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

أما بعد: فأني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن، وقد سئل عن آيات من «البردة»، وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله، كما هو صريح الآيات المذكورة في «البردة»: ولا يخفى على من عرف دين الإسلام أنه الشرك الأكبر الذي لا يغفره لمن لم يتب عنه، وأن الجنة عليه حرام، وذكر الشيخ في جوابه أن الآيات المذكورة تضمنت الشرك، وصرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله.

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٣، ٢ (٢) سورة الاحزاب، الآيات: ٤٥، ٤٦

فاعترض عليه جاهل ضالّ فقال مبرئاً لصاحب الآيات من ذلك الشرك بقوله : سماه الله من ذلك ، وبكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم . . .

البيت المطابق لقول النبي ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى

[عيسى] ابن مريم » .

الجواب : أن هذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده ، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته ، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ، لما قالوا ما قالواهم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه : ( وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين )<sup>(١)</sup> .

فالجهل بما بعث الله به رساله قد عم كثيراً من هذه الأمة ، فظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر صب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ... قال : « فمن » ونحو هذا من الأحاديث .

وقوله : وبكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دع ما ادعته النصرارى في نبيهم . . . البيت .

الجواب : أن هذا يزيد شناعة ومقتاً ، لأن هذا تناقض بين ، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول . فلقد وقع فيما وقعت فيه النصرارى ، من الغلو العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ؛ ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل ما يوصل إليه بقوله : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وقال : « لا تطروني كما أطرت النصرارى [عيسى] ن مريم إنما أعبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » وقوله لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، قال : « أجعلتني لله نداً ، بل ما شاء الله وحده » وقال : « إنه لا يستعاث بي ، وإنما يستعاث بالله عز وجل » . فلقد حذر أمته وأذرعهم عن الشرك ووسائله ومادق منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد ، ونهاهم عن الشرك ، وجاهدهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وإزالتها كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير ، كما في حديث أبي الهياج الأسدي الذي في « الصحيح » قال : قال علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته .

وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة ، وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العزى ، وقطع السمرات<sup>(١)</sup> التي كانت تعبدها قريش وهذيل ، وبعث المغيرة بن شعبه لهدم اللات فهدمها ، وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر ، واعتنوا بازائه أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد أخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف ، كما في حديث العرياض بن سارية قال : « فانه من بعث منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ... » الحديث ، فوقع ما أخبر به ﷺ ، وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عمّت هذه البلية في كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس ينسبون إلى العلم .

(١) أي الشجرات ، واحدها سمرة .

قال سليمان التميمي : لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله ، فإن الله وإناء إليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى [عيسى] بن مريم » .

أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهي عنه لا في النهي ، فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الإطراء طابقته الأبيات من قوله :

يا أكرم الخلق ما لي من أؤذبه سواك . . . إلى آخرها

فقد تضمنت غاية الإطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فإنه قصر خصائص الإلهية والربوبية التي قصرها الله على نفسه ، وقصرها عليه رسول الله ﷺ ، فصرفها لغير الله ، فإن الدعاء منح العبادة ؛ واللياذ من أنواع العبادة . وقد جمع في آياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والالتجاء والرغبة إلى غير الله ، فإن غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب إنما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة [التي] ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه ، وشكرها لمن قصرها على الله ، ووعد على ذلك الاجابة والاثابة ، كقوله تعالى : ( هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين )<sup>(١)</sup> ، وقوله : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم )<sup>(٢)</sup> وقوله :

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٥ (٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠

(وأنه لما قام عبد الله يدعوهم كادوا يكونون عليه لبداء . قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) <sup>(١)</sup> الآية .  
 فهذا هو الدين الذي بعث الله [به] نبيه محمداً ﷺ ، وأمره أن يقول لهم : ( إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ) <sup>(٢)</sup> فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الآلهية . وقال : ( قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ) <sup>(٣)</sup> إلى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية ، فوحّد الله في إلهيته وربوبيته ، وبين للأمة ذلك ، كما أمره الله تعالى . وقال تعالى : ( فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب ) <sup>(٤)</sup> أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : ( إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ) <sup>(٥)</sup> ونهى عن الاستعازة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن : ( وأنه كان رجال من الانس يموذون برجال من الجن فزادهم رهقا ) <sup>(٥)</sup> .

واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً : « من نزل منزلاً فقال: أعوذ

(١) سورة الجن ، الآيات : ٢٢-١٩ (٢) سورة الجن ، الآيات : ٢٢-١٩

(٣) سورة الانشراح ، الآيات : ٨٥٧ (٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٩٠

(٥) سورة الجن ، الآية : ٦



بكلمات الله التسامات من شر ما خلق ... » الحديث . على أن القرآن غير مخلوق ، إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق ، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير ، يظهر بالتدبر .

وأما قول المعترض : إن النصارى يقولون : إن المسيح ابن الله . نعم قاله طائفة ، وطائفة قالوا : هو الله ، والطائفة الثالثة قالوا : هو ثالث ثلاثة ، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر الله عليهم تلك الأقوال في المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك ، كما قال تعالى : ( اتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )<sup>(١)</sup> فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأجبار والرهبان . أما المسيح فعبادتهم له بالتأله ، وصرف خصائص الإلهية له من دون الله ، كما قال تعالى : ( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق )<sup>(٢)</sup> فأخبر أن الإلهية وهي العبادة حق الله لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم ، يبين ذلك قوله : ( ما قلت لهم

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١ (٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٦

إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (١) وأما عبادتهم للأحبار  
والرهبان فإنهم أطاعوهم فيما حللوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرّموا  
عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه عند النبي ﷺ بعد فراجه  
إلى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً ، فلما قدم على  
النبي ﷺ مسلماً ، تلا هذه الآية : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً  
من دون الله ) (١) قال : يا رسول الله ! لسنا نعبدكم فقال النبي ﷺ  
« أليسوا يُحلبون لكم ما حرّم الله فتحلونه ، ويُحرمون عليكم ما أحل  
الله فتحرمونه ؟ » قال : بلى . قال : « فتلك عبادتهم » . ففيه بيان أن  
أشرك مع الله غيره في عبادته ، وأطاع غير الله في معصيته فقد اتخذه  
رباً ومعبوداً ، وهذا يبين والحمد لله . فلو تأمل هذا الجاهل المعتزم  
قول الله تعالى : ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ) (٢) لعلم  
الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم ، وعلى كل من عبد  
غيره بأي نوع كان من أنواع العبادة ؛ لكن هذا وأمثاله كرهه  
التوحيد ، وأفوا الشرك ، وأحبوه ، وأحبوا أهله ، فترى مآب  
الداء العضال إلى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣١

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ١٧

ووساوس الشيطان . فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن<sup>١</sup> إلا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلا بالتجرد عن الهوى والمصيبة ، والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث الله به المرسلين ، كما قال تعالى : ( يا أيها الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين )<sup>(١)</sup> .  
 ومثل قوله تعالى : ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله )<sup>(٢)</sup> أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة لله وحده ، ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه ، فانهم كانوا يعبدون أنبياءهم كاليسوع بن مريم ، ويعبدون أحبارهم وورهبانهم .  
 وتأمل قوله : ( كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ) وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه ، كما قال تعالى :  
 ( قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب )<sup>(٣)</sup>  
 وقوله : ( ولا تشرك به شيئاً ) بعم كل شركٍ دقٍّ أو جلٍّ ، كثر أو قلٍّ .

(١) سورة بونس ، الآية : ٥٧ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٣٦

قال العماد بن كثير في « تفسيره » هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراه . وقوله ( سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً )<sup>(١)</sup> لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له . قلت : وهذا هو معنى : لا إله إلا الله ، ثم قال : وهذه دعوة جميع الرسل .

قال الله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )<sup>(٢)</sup> وقال : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )<sup>(٣)</sup> انتهى المقصود . وقال رحمه الله في تفسير قوله : ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله )<sup>(٤)</sup> الآية .

قال محمد بن إسحاق ، حدثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأخبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٢٥

(٣) سورة النحل ، الآية : ٣٦ (٤) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩

النصارى عيسى بن مريم ؛ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس :  
 أو [تريد] ذاك منّا يا محمد ؛ وإليه تدعوننا ؛ أو كما قال . فقال رسول الله  
 ﷺ « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غير الله ، وما بذلك  
 بعثني ولا بذلك أمرني » أو كما قال ﷺ . فأنزل الله عز وجل في ذلك :  
 ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس  
 كونوا عباداً لي من دون الله )<sup>(١)</sup> إلى قوله : ( بعد إذ أنتم مسلمون )<sup>(٢)</sup>  
 قوله : ( ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله )<sup>(١)</sup> أي ما ينبغي  
 لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس : اعبدوني من  
 دون الله ؛ أي مع الله . وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا المرسل ، فالآن  
 لا يصلح لأحد من الناس بطريق الأولى والأخرى .

ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر  
 الناس بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً ، يعني أهل  
 الكتاب .

وقوله : ( ولا يأمركم )<sup>(٢)</sup> [ أي ] بعبادة أحد غير الله ، لا ملك  
 مقرب ولا نبي مرسل : ( أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم  
 بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون )<sup>(٢)</sup> أي لا يفعل ذلك . لأن من دعا إلى عبادة غير الله

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٩ (٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٠

فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرونكم بالآيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون )<sup>(١)</sup> وقال : ( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون )<sup>(٢)</sup> وقال في حق الملائكة : ( ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )<sup>(٣)</sup> انتهى وهو في غاية الوضوح .

وبيان التوحيد ، وخصائص الربوبية والإلهية ، ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن ، وفي السنة من الأحاديث كذلك .

فإذا كان من المستحيل عقلاً وشرعاً على رسول الله ﷺ هو وجميع الأنبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم ، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة :

يا أكرم الخلق مالي من أؤذبه سواك عند حلول الحادث العمم !  
وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة ، واللياذ الذي هو من أنواع العبادة وتضمن إخلاص الرغبة والاستكانة والاستغانة والالتجاء إلى غير الله ، وهذه هي معظم العبادة كما أشير إلى ذلك ، كما قال تعالى : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥٠ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٤٥

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٩

بشيء) (١) الآية . وقوله : ( قل أندعو من دون الله مالا ينفقنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إلهادنا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) (٢) إلى قوله : ( قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) (٣) .

وعن أنس مرفوعاً « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي (٤) . وقوله : إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم المنافي لقوله تعالى : ( وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) (٥) . وقوله : ( قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً) (٦) وقوله : ( قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً) (٧) الآية .

وفي الحديث الصحيح قال لابنته - فاطمة - وأحب الناس إليّ : « يا فاطمة بنت محمد ا سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً » فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من النضاد والتباين ، ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى ، وذكره رسوله ﷺ كقوله : ( ليس لك من

(١) سورة الرعد ، الآية : ١٤ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٧١

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٧٣ (٤) وسنده ضعيف ، وإنما صح عنه ﷺ

بلفظ : « الدعاء هو العبادة » رواه احمد وغيره بسند صحيح .

(٥) سورة الانفطار ، الآيات : ١٧ - ١٩ (٦) سورة الجن ، الآية : ٢١

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨

الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون<sup>(١)</sup> .  
وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية . وأمثال  
هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير ، ومن ادعى ذلك فقد افتري  
على الله كذباً وأضل الناس بغير علم ، كقوله تعالى : ( والله غيب السموات  
والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل  
عما تعملون )<sup>(٢)</sup> وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه ، اللهم إلا أن  
يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة ، والله أعلم .  
وأما قوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها . . البيت

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه . فقتضى ذلك أن الدنيا  
والآخرة ليست لله بل لغيره ، وإن أهل الجنة من الأولين والآخرين  
لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهمها غيره ،  
سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

وفي الحديث الصحيح : « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله »  
قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدي برحمته »  
وقد قال تعالى : ( من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا  
والآخرة )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ (٢) سورة هود ، الآية : ١٢٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٣٤



قدير) <sup>(١)</sup> وقوله: ( قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ) <sup>(٢)</sup> وقوله: ( وأن لنا للآخرة والأولى ) فلا شريك لله في ملكه، كما لا شريك له في إلهيته وربوبيته والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. وقوله:

ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا أيضاً كالذي قبله، لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: ( عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ) <sup>(٣)</sup>. وقال: ( وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ) <sup>(٤)</sup>. وقوله: ( قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ) <sup>(٥)</sup>. وقال تعالى: ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) <sup>(٦)</sup>. وقال تعالى: ( قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ) <sup>(٧)</sup>. والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٩

(١) سورة الملك، الآية: ١

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٣

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٠

(٧) سورة النمل، الآية: ٦٥

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والإلهية التي بعث الله رسله ، وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه . وقال تعالى : ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول )<sup>(١)</sup> . كقوله في آية الكرسي : ( ولا يحيطون بشيء من علمه )<sup>(٢)</sup> فقد أطاع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه إليهم ، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم . كما قال تعالى : ( تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا )<sup>(٣)</sup> .

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك ، أطلع الله عليه رسوله ، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله ، وآمنوا به .

وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ، وما كان منها وما لم يكن ، فذاك إلى الله وحده ، لا يضاف إلى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ . فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه ، وما أعداه لرسول الله ﷺ ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين !

(١) سورة الجن، الآيات: ٢٦ و ٢٧ (٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥

(٣) سورة هود ، الآية : ٤٩

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الاسلام عروة [عروة] إذ انشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، ووقع فيه وأفره ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه أو دونه ، فتنقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة ، وبكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ، ومفارقة الأهواء والبدع . ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، والله المستعان اه .

قلت : وقد رأينا ذلك والله عياناً من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبدع ، واستحسنوا ذلك ، وأنكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلتوا وأضلتوا .

وأما قول الناظم :

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً . البيت

فهذا من جهله ؛ إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل ، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلا بالموافقة في الدين واتباع السنة ، [فولابة]

الرسول ﷺ أتباعه على دينه ، والعمل بسنته ، كما دل عليه الكتاب والسنة . كما قال تعالى : ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتَّبِعُونَ الرسول النبي الاُمِّي الذي يجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ) إلى قوله ( فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (١) .

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ، ويجمع القبائل على نصرته ﷺ ، وحمائمه من أعدائه ، وقد قال في حق النبي ﷺ :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يفتي بقول الأباطل  
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالدرى والكلاكل  
ولم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب ، ومات على ذلك ، وقال النبي ﷺ : « لا ستغفرنَّ لك ما لم أُنزل الله سبحانه : ( ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) (٢) . فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالإيمان به ، وبما جاء به من توحيد الله وإخلاص

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٣

العبادة له وحده لا شريك له ، ومحبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ،  
والدعوة إلى ما بعث به من دين الله ، والنهي عما نهى عنه من الشرك  
بالله والبدع ، وما لا فلا فمكس الملحدون الأمر ، فطلبوا الشفاعة  
التي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنها وإنكارها وقتال أهلها<sup>(١)</sup> ، وإحلال  
دمائهم وأموالهم ، وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد ، وعداوة من  
قام به واقفى أثر النبي ﷺ ، كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله  
من قوله : وبكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد... إلى  
آخر كلامه .

وأما قول الناظم :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... البيت

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا لهم  
ويقرّ بوجههم إلى الله زلفى .

قال الله تعالى : ( إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً  
له الدين . ألا الله الدين الخالص )<sup>(٢)</sup> فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله  
من أحد ديناً سواه ، ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال : ( والدين  
اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم ولا ليقرّبونا إلى الله زلفى إن الله

(١) في الاصل : فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه  
وإنكاره وقتال أهلها .

(٢) سورة الزمر ، الآيات : ٢ ، ٣

يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار<sup>(١)</sup>  
فتأمل كون الله تعالى كفّرهم بقولهم : ( ما نعبدكم إلا ليقربونا  
إلى الله زلفى )<sup>(٢)</sup> . وقال في آخر هذه السورة : ( أم اتخذوا من دون  
الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة  
جميعاً )<sup>(٣)</sup> .

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم  
ورغبتهم والالتجاء إليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدررون  
ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره  
وهو الذي له ملك السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ( ومن أضل ممن  
يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم  
غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين )<sup>(٣)</sup>  
فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه ، وسجل عليهم الضلال  
ولهذه الآية أيضاً نظائر كثيرة ، كقوله : ( ذلكم الله ربكم له  
الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعون  
لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣ (٢) سورة الزمر ، الآيتان : ٤٣ ، ٤٤

(٣) سورة الأحقاف ، الآيتان : ٥ ، ٦

بشر ككم ولا يذبثك مثل خبير) (١).

فبيّن أن دعوتهم غير الله شرك بالله ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً ، وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، وتبرأ منه ومن صاحبه يوم القيامة . فمن تأمل هذه الآيات انزاحت عنه بتوفيق الله وفتح جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله ، واتخذة شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه إليه ، واعتماده في حصول الشفاعة عليه - كما قد تضمنه بيت الناظم - قول الله تعالى ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ) (٢).

فانظر كيف حرّمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله ، وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ) (٣) . وقال : ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من

(١) سورة فاطر ، الآيات : ١٣ ، ١٤ (٢) سورة يونس ، الآية : ١٨

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤

دونه وليٌّ ولا شفيع) <sup>(١)</sup> . فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ،  
وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن ، فاعلمت بتبقيدين عظيمين : إذن الرب  
تعالى للشفيع ، ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى من الأديان  
الستة المذكورة في قوله : ( إن الدين آمنوا والذين هادوا والصابئين  
والنصارى والمجوس والذين أشركوا ) <sup>(٢)</sup> الآية ، إلا الإيمان الذي  
أصله وأساسه التوحيد والاخلاص ، كما قال تعالى : ( من ذا الذي يشفع  
عنده إلا بإذنه ) <sup>(٣)</sup> . وقال : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من  
خشيتهم مشفقون ) <sup>(٤)</sup> . وقال : ( وكم من ملك في السموات لا تغني  
شفاعتهم إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) <sup>(٥)</sup> . وقال تعالى :  
( إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض ) إلى قوله : ( ما من شفيع  
إلا من بعد إذنه ) <sup>(٦)</sup> .

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال :  
« وهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً » . وقال أبو هريرة  
رضي الله عنه : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « من  
قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » .

(١) سورة الانعام ، الآية : ٥١ (٢) سورة الحج ، الآية : ١٧

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٤) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨

(٥) سورة النجم ، الآية : ٢٦ (٦) سورة يونس ، الآية : ٣



قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بأذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض اللبس ولجأه واقتراه على الله ورسوله ؛ فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد . وإن اتخذ الشفعاء إغما هو بدعائهم ، والالنجاء إليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي ، وقد نهى الله عن ذلك ، ويبيّن أن الشفاعة له ، فإذا كانت له وحده ، فلا تطلب إلا ممن هي ملكه فيقول : اللهم شفّع نبيك فيّ ، لأنه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه ، فهو الإخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : إن المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبار من الموحدين ، فأقول : لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل في آيات سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض ، تقول : إن الشفاعة ثبتت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها موجبا لحصولها .

والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب إليه فيها ،

وأخلص له العبادة بجميع أنواعها، فهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه؛ فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفئوا له بمآمة من الاخلاص، كما صرحت بذلك الأحاديث، والله أعلم.

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفيًا وإثباتًا؛ فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق؛ فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيماً يطلب الشفاعة منه، فيرغب إليه في حصولها، كما في البيت المتقدم، وهو كفر كما صرح به القرآن.

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة؛ فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين؛ وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص، واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به.

والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله: «أنا لها أنا لها» لا ينافي ما تقرر، وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فرغوا إلى الرسل ليشفئوا لهم إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب، وكل نبي ذكر عذره. قال النبي ﷺ في الحديث: «فيا توني، فأخراً بين يدي الله ساجداً» أو كما قال: «فأحمده بمحامد يفتحها علي»، ثم يقال ارفع رأسك، وقل تسمع، وأسأل تعطه، واشفع تشفع»، قال: «فيحدّ لي حداً فأدخلهم الجنة».

فأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ، ودعائه وحده ، والثناء عليه بما هو أهله . وقوله : « فيجد لي حداً » فيه بيان أن الله هو الذي يحد له ، وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل ، هو من باب سؤال الحي الحاضر ، والتوسل إلى الله بدعائه ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء ، كما في حديث الاستسقاء وغيره .

ولما توفي رسول الله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئاً من ذلك البتة ؛ ففرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أعلم الأمة وأفضلها بين حالي الحياة والمات ، وكانوا يصلون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه ، وفي الصلاة والخطب ، وعند ذكره امتثالاً لقوله ﷺ : « لا تجعلوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم » ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم إنا كنا إذا اجدنا توسلنا إليك بنبينا فنتسقين ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيدعو .

فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي ﷺ بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبي ﷺ إلى العباس ، فلما عدلوا عنه إلى العباس ، علم أن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم ، وصار

هذا إجماعاً منهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك . فقال أبو الحسن القدوري في شرح « كتاب الكرخي » : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فمكروه في قولهم ، لأنه لاحق لغير الله عليه ، وإنما الحق لله على خلقه .

وقال في « شرح المختار » ويكره أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للمخلوق على الخالق .

وما بقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد<sup>(١)</sup> حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، فإذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به ، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه ، وأنجح بقضاء حاجته ، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً بمكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويعلق عليه الستور ،

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة ، رحمها الله تعالى .

ويبنى عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس أممادته، واتخاذ عيداً ومنسكاً، وأن ذلك نفع لهم في دنياهم وآخرتهم. قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب: أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عبادة الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعوا أحدهم من يعظمه، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة.

ثم ذكر المرتبة الثانية وهي: أن يسأل الله به؛ وقال: وهو بدعة باتفاق المسلمين.

والثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثيراً من الناس يفعل ذلك. انتهى.

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله به ورسوله من إخلاص العبادة لله وحده، فإنه الدين الذي بعثه به، وأن يترك ما نهى الله عنه<sup>(١)</sup>

(١) في الأصل: عنده، وهو خطأ.

ورسوله ﷺ من الشرك فادونه ، كما قال تعالى : ( ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك إذا من الظالمين )<sup>(١)</sup> الآية وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دله الدليل على أنه من دين الله ، ولا يكون إمامة بطير مع كل ربح ، فإن الناس من أمة محمد ﷺ والأئمة قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسماؤه وصفاته ، وما يجب له على عباده . وقد قال تعالى : ( فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً )<sup>(٢)</sup> . فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى ، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال .

وأما قول المعترض : فانظر إلى «الشفاء»<sup>(٣)</sup> تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة ، أي الكلمة التي ذكرها المجيب في معنى قوله : ( قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً )<sup>(٤)</sup> الآيات . ذكر عبارات النسفي في معناها ، وهي قوله : هو إظهار للعبودية ، وبراعة مما يختص بالربوبية من علم الغيب . أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ، ولا دفع ضرر... إلى آخر كلامه . إذ من عادة هذا المعترض الجاهل رد الحق ، والمكابرة في دفعه ، والغلو المتناهي ، وإلا فن المعلوم عند من له

(١) سورة بونس ، الآية : ١٠٦ (٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩

(٣) لعله يقصد به : كتاب «الشفاء في حقوق المصطفى» للقاخي عياض .

(٤) سورة الجن ، الآية : ٢١

معرفة بدين الاسلام أن المجيب إنما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد ، ونفي الشرك بالله ، وذلك تمظيم لجانب الرسالة . وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤول بهم إلى الغلو . ولما قيل له ﷺ : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال : « يا أيها الناس اقولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا عبدُ الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزاتي التي أنزلني الله تعالى » .

والنبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفي الحديث : « فإنك إن تكلمي إلى نفسي تكلمي إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة ، وإني لا أتق إلا برحمتك ... » الحديث .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف بذلك لربه ، وهو الصادق المصدوق ، فإذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصاً له ، بل هذا من تصديقه والايان به .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه ، لم يجوز أن يقال : هذا سوء عبادة في حق من دون الله من الأنبياء والملائكة ، فإن المقام أجل من ذلك ، وكل ما سوى الله يتلاشى عن تجريد توحيده ، والنبي ﷺ كان أعظم

الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه . وإن كان نفسه المسلوب ، كما في « الصحيحين » في حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبي ﷺ بذلك ، قالت لها أمها : قومي إلى رسول الله ﷺ ، قالت : والله لا أقوم إليه ولا أحمده ، ولا إياكما ، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي . فأقرتها النبي ﷺ وأبوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن تحمد رسول الله ﷺ ، وفي رواية : بحمد الله لا بحمدك ، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب عليه ﷺ .

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم ، سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ : بحمد الله لا بحمدك ، إني لا أستعظم هذا ، فقال عبد الله : ولت الحمد أهله . وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتى بأسير فقال : اللهم أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ : « عرف الحق لأهله » .

وهذا المعترض وأمثاله ادعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء ، وهضموا ربوبية الله ، وتنقصوا إلهيته ، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده نهى بين الأحياء والأموات ؛ هذا يصرفه لنبي ،



وهذا الملك ، وهذا الصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله ، وعبدوا الشياطين بما أمرهم به من ذلك الشرك بالله ، فإن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين إنما تقع في الحقيقة على من زببها لهم من الشياطين وأمرهم بها ؛ كما قال تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت وليتنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون )<sup>(١)</sup> ونحو هذه الآية كثير في القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم ساووه بالله في العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم في النار : ( تالله إن كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين )<sup>(٢)</sup> .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهرى ، فخالدوما خالد؟! أغرك منه كونه شرح «النوضيح» و «الأجرومية» في النحو؟! وهذا لا يمنع كونه جاهلاً بالتوحيد الذي بعث الله رسوله ﷺ ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول ، كالفخر الرازي ، وأبي معشر الباقعي ونحوهما ممن غلط في التوحيد ، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل

(١) سورة سبأ ، الآيات : ٤١ و٤٠ (٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٩٧ و٩٨

مصر يعبدون البدوي وغيره ، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد إنكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تذاذ عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البينات ، كقوله تعالى : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً )<sup>(١)</sup> وقوله : ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون )<sup>(٢)</sup> وقول النبي ﷺ : « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » .

وقد استدراج الله أهل الشرك بأموار تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم ، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الإنس ، كما قد يقع كثيراً لعباد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعراً :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا      وكلهم يدعون الفوز بالظفر  
فيخذ بقول يكون النص ينصره      إمّا عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف آيات « البردة » عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والإلهية ، ومشاركة الله في عمله وملكه ، وهي لا تتحمل أن تصرف عما هي فيه من

ذلك الشرك والغلو، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال، والزور والمحال، ولو سمكت لسلم من الاتصاف لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه.

وأما قول المعترض: ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري».

فهذا من الموضوعات، لا أصل له، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث، وأنى له ذلك! بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين.

وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السماوات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد، وهي قول الله تعالى: (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) (١) ولها نظائر تبين حكمة الرب في خلق السماوات والأرض. وقوله: وكيف ينكر تصرفه في إعطاء أحد بإذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته.

أقول: هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الأدب مع الله،

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢

وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ؛ ولا عرف تفرّد الله بالملك يوم القيامة . وهل قال رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام أن أحداً يتصرف يوم القيامة في ملكه ؛ ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا ادّعاها كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له إذا دعاه : ( سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه )<sup>(٢)</sup> وقال : ( لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً )<sup>(٣)</sup> .

وهذا القول الذي قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي ، والامام الشافعي ، والشيخ الدسوقي ... حتى أكمل السبعة من الأموات . هذا يقول : هذا وليّ له شفاعة ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : ( لينذر يو اللاحق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار )<sup>(٤)</sup> . إلى قوله : ( ما للظالمين من شفيع ولا حميم يطاع )<sup>(٥)</sup> . وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له في

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٥

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١٨

(٤) سورة غافر ، الآيتان : ١٥ و ١٦

(٣) سورة النبأ ، الآية : ٣٨

(٥) سورة غافر ، الآية : ١٨

الملك والنصرف ؛ وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في معنى قوله تعالى : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )<sup>(١)</sup> نفى الله عما سواه [ كل ما ] يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون غيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل تسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع . وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بأذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم في «مدارج السالكين»: «وقد قطع الله الأسباب التي تتعلق بها المشركون جميعاً، فقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)» (١).

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع؛ والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه [فإن لم يكن مالكا له كان شريكاً]، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شقيقاً عنده؛ فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة باذنه.

فكفى بهذه الآيات نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك [و] مراده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنه في نوع؛ وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن.

ولعمرك الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك . إلى أن قال : ومن أنواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من الموتى ، والاستغانة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله ، وهذا جهل بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بأذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه [في] كمال التوحيد ، فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الاذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها .

وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى تنقص بالأموات ؛ وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياء التوحيد بدمهم وعيبيهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم . قال : وما نجا من شرك هذا الشرك إلا كبر إلا من جرد توحيد الله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه لله ،

وخوفه لله ، ورجاه لله ، وذله لله وتوكله على الله ، واستعانته بالله ،  
والنجاه إلى الله ، وأخلص قصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمريضانه ، إذا  
سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمل عمل لله وبالله ومع  
الله . انتهى .

فرحم الله هذا الامام وشيخه <sup>(١)</sup> ، فلقد بينا للناس حقيقة الشرك  
وطرقه وما يبطله .

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له : « إذا سألت  
فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ولم يقل : فاسألني واستعن بي ،  
فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه سواه ، كما في قوله :  
( إياك نعبد وإياك نستعين ) <sup>(٢)</sup> . فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد عصى  
الله ورسوله ، وأشرك بالله .

وللمعرض كلام ركيك لا حاجة لنا إلى ذكر ما فيه ، وإنما  
نتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وإبطاله كجنس ما تقدم .  
واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب : إنه لا يجتمع الايمان بالايات  
المحكمات وتلك الايات ، لما بينهما من التناقض والنضاد .

وقال المعارض : أقول : يجتمعان بأن يفرده الله بالعبادة ، ولا يقدح

(١) أي الملامة ابن القيم ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، رحمهما الله تعالى .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ٥



فيه تشفاعة بأحباب حبه إليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها، كما في الحديث : «أنا لها ، أنا لها» ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب: لا يخفى ما في كلامه من التخليط والتلبيس والعصبية المشوبة بالجهل المركب لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، وقد بيننا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى إنما هو بدعاتهم والالتجاء إليهم ، والرغبة إليهم فيما أَرَادَهُ الرَّاغِبُ منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا الله ، وذلك ينافي الإسلام والايان بلا ريب ، فإن طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه ، كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى : ( ويمبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله )<sup>(١)</sup> الآية . وقوله : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا )<sup>(٢)</sup> الآية . وقوله : ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )<sup>(٣)</sup> فطلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته ، وبعبارة

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٦

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣

عن الداعي، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه، ولا رسوله ﷺ؛ وهو النوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم وشيخه، وصرحاً بأنه شرك، وللعلامة ابن القيم آيات في [هذا] المعنى، وهي قوله:

والشرك فهو توسل مقصوده الزلفى من الرب العظيم الشان  
بعبادة المخلوق من حجر ومن بشر ومن قبر ومن أوثان  
والناس في هذا ثلاث طوائف مارابع أبداً بذى إمكان  
أحد الطوائف مشرك بالله فإذا دعاه دعا إليها ثان  
هذا وثاني هذه الأقسام ذلك جاحد يدعو سوى الرحمان  
هو جاحد للرب يدعو غيره شركاً وتعطيلاً له قدمان  
هذا وثالث هذه الأقسام خير الخلق ذاك خلاصة الإنسان  
يدعو إله الحق لا يدعو [إلى] [أحد] سواء قط في الأكوان  
يدعوه في الرغبات والرهبات والحالات من سر ومن إعلان  
وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة،  
وذلك كما قال تعالى: ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون  
كشف الضر عنكم ولا تحويلاً )<sup>(١)</sup>.

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعوون المسيح وأمه وعزيراً

والملائكة ، فأنكر الله ذلك وقال : هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في إنكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم أن الدعاء وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم في الآيات .

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعاً من دونه يسأله ، ويرغب إليه ، ويلتجأ إليه ، وهذا هو العبادة . ومن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات ؛ وهذا ضد إفراد الله بالعبادة . وكيف يتصور إفراد الله بالعبادة وقد جعل العبدُ ملاذاً ومفزعاً سواه؟ فان هذا ينافي الافراد ، فأين ذهب عقل هذا وفهمه ؟ !

قال شيخ الاسلام رحمه الله : العبادة اسم جامع لسكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة . انتهى .

وقد تبين أن الدعاء مخ العبادة ، وهو مما يحبه ويأمر به عباده ، وأن يخلصوه له . وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل [ ذلك ] وبهذا يحصل الجواب عن قول المترض : إن الشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار ؛ فنقول : فنأخذ معبوداً سوى الله يرجوه أو يخافه فقد كفر .

وتأمل قول الله تعالى: (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أباناً يعثون. إلههم إله واحد)<sup>(١)</sup> فيبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله، وأن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الإلهية، والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك. وكذلك سنة رسول الله ﷺ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن، كما حججوا عن الإيمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم، كما أنزل في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده.

قال شيخ الإسلام [أحمد]<sup>(٢)</sup> بن تيمية رحمه الله تعالى: وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده، لا يدعو إلا [ه]، ولا يخشى ولا يتقي إلا [ه]، ولا يتوكل إلا عاياه، ولا يكون الدين إلا له، وأن لا يتخذ الملائكة والنبيون أرباباً، فكيف بالائمة والشيوخ فإذا جعل الامام والشيخ كأنه إله يدعى مع غيبته وموته، ويستغاث به، ويطلب منه الحوائج كأنه مشبه بالله، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. اهـ.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس: «إذا سألت فاسأل

(١) سورة النحل، الآيات: ٢٠-٢٢ (٢) في الأصل: محمد، ولعله تحريف.

الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». فلو جاز أن يسأل رسول الله ﷺ لما قصر سؤاله واستعانته على الله وحده.

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله ﷺ ما فيه له منفعة، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال: واسألني، واستعن بي، بل أتى ﷺ بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى. فأين ذهبت عقول هؤلاء الضلال عن هذه النصوص؟! والله المستعان.

وقال الشيخ رحمه الله: واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة. وكل عابد سائل، وكل سائل عابد، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، وإذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب. ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الأمر، وإن لم يكن هناك صيغة سؤال. ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو مسألة من الرغب والرغبة والخوف والطمع. اهـ.

فتبين أن آيات «البردة» التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

وقول المعترض: لا سيما والناظم [على] جانب عظيم من الزهد

والورع والصلاح ، بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه ، وهذا كله صار هباءً منثوراً حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فإنه لا يعرف إلا بهذه «المنظومة» ، فلو قدر أن لذلك أصلاً ، فلا ينفعه ذلك مع تلك الآيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : ( ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون )<sup>(١)</sup> . وقد صار العمل مع الشرك هباءً منثوراً .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنهما فتنة لكل مفتون ، فان كان للرجل عبادة ، فقد فتن بأبياته كثير من الجهال ؛ وعبادته إن كانت ، فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبين ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعدنا السكوت عنه ، لأننا لا ندرى ما آل أمره إليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خالد الأزهرى لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلا المنامات

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٨٨

والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لي بعض علماء مصر : إن شيخنا مشى بأصعابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيري ، وفيهم رجل ذكر الله فسقط في البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال : ألم أقل لكم : لا تذكروا غيري ؟ فقلت : هذه الحكاية تحمل أحد أمرين لا ثالث لهما : أحدهما : أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان ، أو أنها حال شيطانية ، وأسألك أيها الحاكي لذلك : أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله ؟ فأقرّ وقال : لا حجة فيها على ذلك .

والمقصود ببيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرفوه أو حرّفوه أو كذبوه وما قال الله وقال رسوله ، فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم ، وما حرّفوه من ذلك ردّاً إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاماً . قال تعالى : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ) (١) .

وذكر المعترض حكاية ، يقول عن غير واحد من العلماء العظام :

أنه رأى النبي ﷺ و«المنظومة» تنشده بين يديه ، إلى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : إهم كفار .

فالجواب أن يقال : ليس هذا وجه المنع وإنما وجهها حكاية

مجهولة عن مجهول. وهذا [من] جنس إسناد الكذابين<sup>(١)</sup> فلو قيل: من هؤلاء العظام؟ وما أسماؤهم؟ وما زمنهم؟ وما طبقهم؟ لم يدر عنهم. وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية بقظة؛ فكيف إذا كانت أحلاماً؟! والمعتز كثير أما يحكي عن هيا [ن] بن بيان.

ثم قال المعتز على قول المجيب: وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممنع شرعاً وعقلاً. قال المعتز: من أين هذا الامتناع؟ وما دليبه من العقل والسمع؟

فالجواب أن يقال: معلوم أن دليبه من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك، وإنما معرفتك في اللجاج الذي هو كالججاج الذي يحوم في الفجاج. أما دليبه من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها، وقد بسطنا القول في ذلك بما يفني عن إعادته، فليرجع إليه. وأما دليبه من العقل، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل، بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه إلى الله تعالى وحده، وإخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه، لأن الخير كله بيده، وهو القادر عليه وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء، كما قال تعالى: (ما يملكون من قطمير)<sup>(٢)</sup>. فنسوبة المخلوق بالخلاق خلاف العقل، كما قال تعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٣

(١) في الاصل: الاكاذيب.



تذكرون) (١)، فالذي له الخلق والأمر والنعمة كلها منه ، وكل مخلوق فقير إليه ، لا يستغنى عنه طرفة عين ، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب إليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذاً وملاذاً ، ويتوكل عليه . وقد قال تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ) (٢) وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قوله تعالى ( وعلى ربهم يتوكلون ) (٣) : أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الايمان . ذكره العلماء في تفسيره ، ولينأمل ما ذكره الله عن صاحب ياسين من قوله : ( أتأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تنن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون . إني إذا لفني ضلال مبين ) (٤) . فهذا دليل فطري عقلي سمعي .

وأما قول المعترض : إن قول الناظم :

ومن علومك علم اللوح والقلم

(١) سورة النحل ، الآية : ١٧ (٢) سورة فاطر ، الآية : ١٥  
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠ (٤) سورة يس ، الآيات : ٢٣ ، ٢٤

إنَّ (من) بيانية . فالجواب أنه ليس كما قال، بل هي تمييزية، ثم لو كانت بيانية، فما ينفعه والمحدور بحاله، وهو أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ . وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتي علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وما يكون .

فالجواب : هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب الله، وسنة رسوله، بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ علماً ليس إلا لله وحده، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس إلا لله وحده، إلا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه، كما قال الله تعالى : ( ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض )<sup>(١)</sup> . فالرجل في عمى عن قول الله تعالى ( ولا يحيطون بشيء من علمه ) وقال تعالى ( الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً )<sup>(٢)</sup> . وقد تقدم لهذه الآيات نظائر . فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت واستوجدت لله وحده، لم يجعل ذلك لأحد سواه .

وقال تعالى : ( يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجاتيها لوقتها إلا هو )<sup>(٣)</sup> فأسند علم وقت الساعة إلى ربه

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الطلاق، الآية : ١٣

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٨٧

بأمره، كقوله تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها) <sup>(١)</sup> . وأمثال هذه الآيات ، مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله ، إلا ما استثناه بقوله : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) <sup>(٢)</sup> . و(من) تبعيضية هاهنا بلا نزاع وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام : ما نقص علمي وعلمك في علم الله إلا كما نقص هذا المصفور من هذا البحر ، فتأمل هذا وتدبر .

وأما قول المعارض وتأويله لقوله تعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) <sup>(٣)</sup> فتأويل فاسد ، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم ، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك . فما أجراً هذا الجاهل على هذا التأويل ، وما أجهله بالله وبكتابه ؛ فيقال في الجواب : لا ينفعك هذا التأويل الفاسد ، إذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله ، لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله ، فما بقي على هذا القصر [لعلم] الغيب على الله في هذه الآية معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله من الافتراء على الله وعلى كتابه وصراف ما لم ينزل به سلطاناً .

(١) سورة النازعات ، الآيات : ٤٢-٤٤ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٥

وأما قوله في قول الناظم :

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي

إن الأخذ باليد بالشفاعة . فالجواب أن حقيقة هذا القول وصرح به طلب ذلك من غير الله ، فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قد عرفت من الاستغانة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في الله ممتنع حصوله ، لكونه تألهاً وعبادة ، وقد أبطله القرآن .

فهذا المعارض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكوته وشمول علمه ، والله يجزيه بعلمه .

وأما قوله : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو )<sup>(١)</sup> فقيل : المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان . فهذا قبل أن يطلع نبيه عليها ، وإلا فقد ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علمه كل شيء حتى الخمس .

فالجواب : انظر إلى هذا المفترى الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الآيات بجميع ما اختلقه وافتراه : وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم ، فإن قوله : ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس ؛ فحاشا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل

(١) سورة الانعام ، الآية : ٥٩

العلم من هذه المقالة ، وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادّعاه سلفاً وخلفاً .

قال أبو حمفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذي فاق على التفسير ، ابتداءً تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة . فقال تعالى : ( إن الله عنده علم الساعة )<sup>(١)</sup> التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره ( وينزل الغيث )<sup>(٢)</sup> من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ( ويعلم ما في الأرحام )<sup>(٣)</sup> أرحام الأوثان ( وما تدري نفس ماذا تكسب غداً )<sup>(٤)</sup> يقول : وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد ( وما تدري نفس بأي أرض تموت )<sup>(٥)</sup> يقول : وما تعلم نفس حيّ بأي أرض تكون موتها ( إن الله عليم خبير )<sup>(٦)</sup> يقول : إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه .

وذكر مسنده عن مجاهد ( إن الله عنده علم الساعة )<sup>(٧)</sup> قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : امرأتي حبلى ، فأخبرني ماذا تلد ، وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فتى أموت ، فأنزله الله : ( إن الله عنده علم الساعة )<sup>(٨)</sup> إلى آخر السورة .

قال : فكان مجاهد يقول : هنّ مفاتيح الغيب التي قال الله : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو )<sup>(٩)</sup> .

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٩

وأخرج بسنده عن قتادة: (إن الله عنده علم الساعة) <sup>(١)</sup> الآية  
خمس من الغيب استأثر الله بهن، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً،  
ولا نبياً مرسلًا.

وبسنده عن عائشة من قال: إن أحداً يعلم الغيب إلا الله  
فقد كذب وأعظم الفرية على الله.

قال تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا  
الله) <sup>(٢)</sup>.

وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفتاح  
الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيب،  
ويعلم ما في الأرحام) <sup>(١)</sup> الآية. ثم قال: «لا يعلم ما في غد إلا الله،  
ولا يعلم أحد متى ينزل الغيب إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة  
إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي  
أرض تموت».

وبسنده عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدثك أنه  
يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: (وما تدري نفس ماذا تكسب  
غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) <sup>(١)</sup>.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٥

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خمس لا يعلمهن إلا الله : (إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث)... الآية (١) » انتهى ما ذكره ابن جرير .

وذكر البغوي في تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم ، ثم قال : وقال الضحَّاك ومقاتل : مفاتيح الغيب : خزان الأرض . وقال عطاء : ما غاب عنكم من الثواب . وقيل : انقضاء الأجل . وقيل : أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم . وقيل : ما لم يكن بعدُ أنه يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ؟ انتهى .

قلت : ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات ، ونموذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه ، وأخبر به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله ﷺ ، وأجمع عليه العلماء ، فإن الله استأثر بعلمه عن خلقه ، ووصف نفسه بأنه علام الغيوب ، ونموذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب .

وأما قوله : ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوي ، وأبي السمود ، والقسطلاني وأمثالهم تجدي إليكم شيئاً لذكرناها ، لكنها تمحى بلفظة واحدة ، وهي أنهم كلهم كفار فلا تقبل منهم أحداً ؛ ومن

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

هذه حاله فلا حيلة به ، فالجواب : أنه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات ، ومعاذ الله أن يقول المجيب : إن هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين أنه كفر أحداً قدمات من هذه الأمة ، فمن ظاهره الإسلام ، فلو وجد في كلامه زلة من شرك أو بدعة . فالواجب التنبيه عن ذلك . والسكوت عن الشخص ، لما تقدم من أن لا ندرى ما خاتمته .

وأما هؤلاء الذين ذكروهم من المفسرين ، فإنهم من المتأخرين الذين نشؤوا في اغتراب من الدين ، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف ، وأئمة الإسلام . من الأرجاء ، ونفي حكمة الله ، وتأويل صفات الله ، وسلب معانيها ما يقارب ما في « كشاف الزمخشري » ، والأرجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر ، وكلاهما في طرفي نقيض .

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة في ذلك ، ومعلوم أن صاحب « الكشاف » أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قديماً منهم في فنون العلم ؛ ومع هذا فقال شيخ الإسلام البلقيني : استخرجت ما في « الكشاف » من دسائس الاعتزال بالمناقش .

وقال أبو حيان وقد مدح « الكشاف » وما فيه من لطيف المعنى ،

ثم قال :



ولكنه فيه مجال لناقد  
 فيثبت موضوع الأحاديث جاهلاً  
 وينسب إبداء المعاني لنفسه  
 ويسهب في المعنى الوجيز دلالةً  
 يقول فيها الله ما ليس قائلاً  
 ويشتم أعلام الأئمة ضلّةً  
 ولا سيما إن ولجوه المضائق  
 وزلات سوء قد أخذن المخائق  
 ويمزو إلى المعصوم ما ليس لائقاً  
 ليوم أعماراً<sup>(١)</sup> وإن كان سارقاً  
 بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا  
 وكان محباً في الخطابة وامقاً<sup>(٢)</sup>  
 وإلى أن قال :

لئن لم تداركه من الله رحمة  
 لسوف يرى للكافرين مرافقا  
 فإذا كان هذا في تفسير مشهور ، وصاحبه معروف بالذكاء  
 والفهم ، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتاقى من كلامهم بالقبول  
 إلا ما وافق تفسير السلف<sup>(٣)</sup> ، وقام عليه الدليل .

وهذا المعارض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة ، يعظم  
 المفضول من الأشخاص والتصانيف ، ولا يعرف ما هو الأفضل .

(١) جمع غمر: من لم يجرب الأمور . (٢) أي محباً وعاشقاً للخطابة .  
 (٣) قوله : إلا ما وافق تفسير السلف أشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة في أصول  
 التفسير ، نبه فيها على أن كل تفسير يخالف تفاسير السلف مردود على قائله ، إذ يلزم  
 منه تحطئة المفسرين من المتقدمين . وفي هذا العصر نشأ أناس يفسرون القرآن  
 بأهوائهم وأغراضهم وهم بذلك آثمون .

ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للمعاني ومصنفاتهم ؛ لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير ، هذه الثلاثة التي نقلنا منها: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي ، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير ، فهذه أجل التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل سنة ، ليسوا بجهمية ، ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمد الله . وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة ، وأقوال التابعين وأتباعهم ؛ فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون ، والله المستعان .

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوي وأبو السعود [و] البحر لأبي حيان ، لأن ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة ، وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكفين ، وذكر عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذي ينبغي النظر إليه ، والرغبة فيه . وعلى كل حال ، فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ؛ وكل يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ .

وقول المعارض على قول المجيب : علماءهم شرٌّ من تحت أديم السماء . فيقال : هل ورد هذا الحديث في أهل العراق ، فهم على عهد

النبي ﷺ كفتار مجوس، أو فيما يأتي؛ فهذه شناعة على غالب علماء الأمة، ومنهم الامام أبو حنيفة، والامام أحمد، وأمثالهم .  
 فالجواب : أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدعة والضلالة . ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمي الاوثان، ولا تزال طائفة من أمي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . رواه البرقاني في « صحيفه » .

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفرق كما افرقت اليهود والنصارى، فاليهود افرقت على إحدى وسبعين، والنصارى على ثنتين وسبعين، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة . وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج، قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون . ومن دعاهم معبد الجهني، وغيلان القدري الذي قتله هشام بن عبد الملك . وكذلك الغلاة في عليّ الذين خدّ لهم عليّ الاخاذيد، وحرقتهم بالنار ومنهم المختار ابن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير ؛ ادعى النبوة وتبعه خاق

كثير . ثم ظهرت فتنة الجهمية . وأول من ظهر الجعد بن درهم ، قتله خالد بن عبد الله القسري ، والصحابة رضي الله عنهم والنابعون ، والائمة متوافرون وقت ظهور مبادئ هذه البدع ، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة ، لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق .

وصح من حديث أنس قال : « لا يأتي على الناس زمان [ إلا ] والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ<sup>(١)</sup> .  
 وظهرت بدعة [ الجهم بن ] صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها وناظرهم ، وانتشرت في زمن الإمام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل الحديث ، وامتنحن الإمام أحمد فتمسك بالحق وصبر . وصنف العلماء رحمهم الله المصنفات الكبار في الرد على الجهمية - القائلين بخلق القرآن ، المعطيين لصفات الملك لديان - كالإمام أحمد في رده المعروف ، وابنه عبد الله ، وعبد العزيز الكنتاني في كتاب « الحيدة » وأبي بكر الأثرم ، والخلال ، وعثمان بن سعيد الدارمي<sup>(٢)</sup> . وإمام الائمة محمد بن خزيمه ، واللالكائي ، وأبي عثمان الصابوني ، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » . .

(٢) وقد قام المكتب الاسلامي بطبعه بعنوان: « الرد على الجهمية » تأليف الامام عثمان بن سعيد الدارمي وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني .

وهذا كله إنما هو في القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلافة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية الاسماعيلية ، وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله ؛ فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان . والبلد الواحد من هؤلاء الأئمة يصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ؛ ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبي ﷺ : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقال : « بدأ الاسلام غربياً وسيكون غربياً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » .

وفي رواية : « يصلحون ما أفسد الناس » وقد صنف العلماء وحسبهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحلها كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق كلها ، وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها

بالحق، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة، والاحتجاج بالحق ونصرته، وما ظهر فضل الامام أبي حنيفة والامام أحمد ومن قبلها من الائمة ومن بعدها إلا بتمسكهم بالحق ونصرته، وردم الباطل. وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوم، بل أظهر الله بهم السنة، وجعل لهم لسان صدق في الامة، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد، وبين أدلته، وبين الشرك وما يبطله.

وفيه قال الامام العلامة الاديب أبو بكر ابن غنام رحمه الله

تعالى:

وعاد به نهج الغواية طامساً      وقد كان مسلوكاً به الناس تربع  
وجرّت به نجد ذبول افتخارها      وحق لها ما لا لمعي ترفع  
فآثاره فيها سوام سوافر      وأنواره فيها تضيء وتسطمع

فهذا المعترض لو تصور وعقل، لتبين له أن ما احتج به ينقلب

حجة عليه.

وقول المعترض: وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين، فهذا

ظاهر البطلان، إذ هي مهبط الوحي، ومنبع الايمان.

ولو قيل: إن هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها، فقد

ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله ﷺ : « لا يزالون في شر من كذابهم إلى يوم القيامة » .

فالجواب أن نقول . الأحاديث التي وردت في غربة الدين ، وحدث البدع وظهورها ، لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد ، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى لقوله : وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم بل في وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم ، مشهور في السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم وقعت الحرة المشهورة ، ومقتل ابن الزبير في مكة ، وما جرى في خلال ذلك من الفتن وصارت الغلبة في الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء . فاذا كان هذا وقع في خير القرون ، فما ظنك فيما بعد ، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟  
وأما قوله : إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان .

فالجواب أن نقول . مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) (١)

وقال تعالى : ( بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم )<sup>(١)</sup>  
 فهذا محل الوحي ومستقره . وقوله : منبع الايمان ، الايمان ينزل به الوحي  
 من السماء لا ينبع من الأرض ، وعمله قلوب المؤمنين وهذه السور  
 المكية - في القرآن معلومة - التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من  
 في مكة المشركون ، وفيها ذمهم والرد عليهم ، كقوله : ( وكذب به  
 قومك وهو الحق )<sup>(٢)</sup> ، وقال : ( وهم يبهون عنه وينأون عنه )<sup>(٣)</sup> ،  
 وقوله : ( فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون )<sup>(٤)</sup> .  
 ونحو هذه الآيات كما في « فصلت » و « المدثر » وغيرها ؛ ثم هاجر  
 النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ، ومنعوا  
 رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي ، وقتلوهم بيدر ، وأحد  
 والخندق ، وهم كانوا من آخر العرب دخولا في الإسلام ، حاشا من  
 هاجر ، وكل هذا بعد نزول الوحي .

ونحن بحمد الله لا نشكر فضل الحرمين ، بل نشكر على من  
 أنكره ، ولكن نقول : الأرض لا تقديس أحدا ؛ وإنما يقديس المرء  
 عمله ، فالحلل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم إلا شرا ،  
 معظم فيه سيئاتهم ، كما قال تعالى في حرم مكة : ( ومن يرد فيه

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٩ (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٦٦

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٢٦ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ٣٢



بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم<sup>(١)</sup> ، فاذا كان هذا الوعيد في الارادة ، فعمل السوء أعظم ، فالمول على الايمان والعمل الصالح ، ومحل قلب المؤمن ، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وقوله : ولو قيل إن هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها .. إلى آخره ، فأقول : الدم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل ، والأحاديث التي وردت في ذم نجد ، كقوله ﷺ : « اللهم بارك لنا في يمننا ، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان » . قيل : إنه أراد نجد العراق ، لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق<sup>(٢)</sup> ، والعراق شرقي المدينة ، والواقع بشهد له ، لأن نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث ؛ فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكمقتل الحسين وقتة ابن الأشعث ، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٥

(٢) بل ثبت في «المسند» عن ابن عمر في حديث المشرق ، قال ابن عمر : يشير بيده يوم العراق ، كماصح في حديث نجد بلفظ : قالوا : وفي عراقنا ، بدل : نجدنا . فنجد هنا هي العراق قطعاً ، ومن شاء الزيادة فليراجع هذا الحديث في تخريج «فضائل الشام» للألباني رقم (٨) .

في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال والسفك ، وغير ذلك مما يطول عدّه .

وعلى كل حال ، فالدم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت ، بحسب حال الساكن ، لأنّ الدم إنما يكون للحال دون المحل ، وإن كانت الأماكن تفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فإن الله يداول بين خلقه حتى في البقاع ، فحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر .

وأما قول المعترض : منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزالون في شر من كذابهم » . فالجواب : إن هذا من جملة كذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهله بالعلم ، لا يميز بين الحديث وغيره . وهذا الكلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة ، سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا في مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعّر بتصديق مسيلة ، فأخذهم عبد الله بن مسعود ، وقتل كبيرهم ابن النواج ، وقال في الباقيين : لا يزالون في بلية من كذابهم . يعني ذلك النفر ، يذم نجداً بنفر أحدثوا حدثاً في العراق ، وقد أفنى كل من حضر مسيلة في القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق الكذاب ؛ بل من كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلة ويكذبونه ، فلم يبق بنجد من فتنه مسيلة

لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجداً بمسيلة بعد زواله وزوال من يصدقه ،  
لدم اليمن بخروج الأسود العنسي دعواه النبوة .

وما ضر المدينة سكن اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول  
الله ﷺ وأصحابه ، ومعقل الاسلام ؛ وما ذمت مكة بتكذيب أهلها  
الرسول ﷺ ، وشدة عداوتهم له ، بل هي أحب أرض الله إليه ؛ فإذا  
كان الأمر كذلك ، فأرض اليمامة لم تعص الله ، وإنما ضرت المعصية  
ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر  
بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل  
في الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد اسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت  
الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونقر  
كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال المعجم فقاتلوا مع المسلمين ، فقال  
تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام . على أنها  
تفضل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في « صحيحه »  
أن النبي ﷺ قال وهو بمكة لأصحابه : « أريت دار هجرتكم » ،  
فوصفها ثم قال : « فذهب وهي إلى أنها اليمامة أو يثرب » .

ورؤيا النبي ﷺ هي حق ، وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرقاً  
لها على غيرها ، فإن ذهاب وهله ﷺ في رؤياه إليها ، لا بد أن يكون

له أثر في الخير يظهر، فظهر ذلك الفضل بمحمد الله في القرن الثاني عشر، فقام الداعي يدعو الناس إلى ما دعت إليه الرسل من أفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وإقامة الفرائض والعمل بالواجبات، والنهي عن موقعة المحرمات، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان، ولولا ذلك ما سبَّ هؤلاء نبدأً أو اليمامة بمسيلة. إذ اعرف ذلك، فليعلم أن مسيلة وني حنيفة إنما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلاً وعناداً.

وهذا المعارض وأمثاله جعدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب ما نهى عنه من الغلو والشرك، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن، وجوزوا أن يستعان بغير الله، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك، وجوزوا الالتجاء إلى الغائبين والأموات والرغبة إليهم، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك أشد النهي، وجعلوا لله شريكاً في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكاً في الإلهية، وجعلوا له شريكاً في إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها.

وقد قال تعالى مبيناً لما اختص به من شمول علمه: (الله يعلم

ما تحمل كل أثنى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة العكبير المتعال ) إلى قوله : ( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء )<sup>(١)</sup> الآية .  
وهذه الأصول كلها في الفاتحة ، يبين تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه .

ففي قوله : ( الحمد لله رب العالمين )<sup>(٢)</sup> اختصاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته وإلهيته وملكوته وشموله علمه وقدرته وكماله في ذاته وصفاته ، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكمهم ، والمتصرف فيهم بحكمته ومشيتته ليس ذلك إلا له ( مالك يوم الدين ) فيه تفرد به بالملك كقوله ( يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( إياك نعبد وإياك نستعين )<sup>(٤)</sup> فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفي ( إياك نستعين )<sup>(٤)</sup> أيضاً توحيد الربوبية ؛ وهذه الأصول أيضاً في : ( قل أعوذ برب الناس )<sup>(٥)</sup> فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمدبر لهم ( ملك الناس )<sup>(٦)</sup> هو

(١) سورة الرعد ، الآيات : ٨-١٤  
(٢) سورة الفاتحة ، الآية : ١  
(٣) سورة الانفطار ، الآية : ١٩  
(٤) سورة الفاتحة ، الآية : ٤  
(٥) سورة الناس ، الآية : ١  
(٦) سورة الناس ، الآية : ٢

الذي له الملك. كما في الحديث الوارد في الأذكار؛ «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». وقوله: (إله الناس) <sup>(١)</sup> هو ما لوهمهم ومعبودهم لا معبود لهم سواء، فأهل الإيمان خصّوه بالإلهية، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يؤثرونه بالعبادة، كاللعاء والاستعانة والاستغاثة والاتجاه والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك.

وفي: (قل يا أيها الكافرون) <sup>(٢)</sup> براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون... إلى قوله: لكم دينكم ولي دين) <sup>(٣)</sup> فهذا هو التوحيد العملي، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً!

وفي: (قل هو الله أحد) <sup>(٤)</sup> توحيد العلم والعمل (قل هو الله أحد) <sup>(٥)</sup> يعني هو الله الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عدل، ولا يطلق هذا اللفظ في الإنبات إلا على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله: (الله الصمد) <sup>(٦)</sup>.

قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: يعني الذي يصمد

(١) سورة الناس، الآية: ٣ (٢) سورة الكافرون، الآية: ١

(٣) سورة الاخلاص، الآية: ١

الخلايق إليه في حوائجهم ومسائلهم؛ قلت: وفيه توحيد الربوبية،  
وتوحيد الإلهية.

وقال الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل: الصمد: السيد  
الذي قد انتهى مؤدده.

وقال الحسن أيضاً: الصمد: الحي القيوم الذي لا زوال له.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد؛ كأنه جعل  
ما بعده تفسيراً له.

وقال سفيان بن منصور، عن مجاهد: الصمد: المصمت الذي  
لا جوف له.

قال أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة»: وكل هذه صحيحة،  
وهي صفات ربنا عز وجل.

وقال مجاهد: (ولم يكن له كفواً أحد)<sup>(١)</sup>: يعني لا صاحبة له؛ وهذا  
كما قال تعالى (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن  
له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم)<sup>(٢)</sup> أي هو مالك  
كل شيء وخالقه؛ فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب  
بديانه؛ تعالى وتقدس وتنزه.

(١) سورة الصمد، الآية: ٤ (٢) سورة الانعام، الآية: ١٠١

قلت فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الآلهة والربوبية؛ وتذبه الله عن الشريك والشبيه والنظير ، وما فيها من مجامع صفات كماله ، ونعوت جلاله، ومن له بمض تصور فتتوفيق الله<sup>(١)</sup> (ومن لم يجعل الله له نوراً أهله من نور)<sup>(٢)</sup> .

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية. أقول هذه « البردة » متقدمة على زمن شيخ الاسلام ، ومع هذا [لم] ينقل عنه فيها كلمة واحدة .

فالجواب تقدم « البردة » على زمن شيخ الاسلام ، إن كان كذلك ، فإذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟ .

وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل ؛ ولم يطلع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه ، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق ، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض ، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت ، فإن كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله المؤيد بالبرهان ؛ فقد تقدم [في] كلامه ما يكفي ويشفي في تمييز الحق من الباطل .

وكلامه رحمه الله في أكثر كتبه بين هذا الشرك وينكره ،

(١) في الأصل بتوفيق الله . (٢) سورة النور ، الآية : ٤٠ .



ويرده كما ردَّ علي ابن البلدي حين جوَّز الاستعانة بغير الله ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب «البردة» داخل تحت كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار ؛ وأنا أورد هنا جواباً لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبمض أفراده ، فأني بجواب عام شامل كافٍ وافٍ .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستجد بأهل القبور ، ويطلب منهم إزالة الأثم ، ويقول : يا سيدي ! أنا في حسبك ؟ وفيمن يستلم القبر ، ويمرغ وجهه عليه ويقول : قُضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ .. ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد لله رب العالمين . الدين الذي بعث الله به رسوله ، وأنزل به كتبه ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليه ، ودعاؤه بحلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى : ( إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا الله الدين الخالص )<sup>(١)</sup> الآيات ، وقال : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )<sup>(٢)</sup> ، وقال : ( وادعوه مخلصين له الدين )<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ( قل

(١) سورة الزمر، الآيات: ٣ و٢

(٢) سورة الجن ، الآية : ١٨

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩

ادعوا الدين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً<sup>(١)</sup> الآيات .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال الله تعالى : « هو لاء الذين تدعون عبادي ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي » ، فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟ قال تعالى : ( أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء )<sup>(٢)</sup> الآية . وقال : ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )<sup>(٣)</sup> . فبين سبحانه أنه من دعا من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه ، وأنه ليس له شريك في ملكه : ( له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير )<sup>(٤)</sup> . وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه إما أن يكون مالكا ، وإما أن لا يكون مالكا ؛ وإذا لم يكن مالكا ، فإما أن يكون شريكا وإما

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٥٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٣ و٢٤ (٤) سورة النباين ، الآية : ١

أن لا يكون شريكاً؛ وإذا لم يكن شريكاً فإما أن يكون معاوناً، وإما أن يكون سائلاً طالباً.

فأما الرابع: فلا يكون إلا من بعد إذنه، كما قال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) <sup>(١)</sup> كما قال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) <sup>(٢)</sup>، وقال: (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون؟ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون) <sup>(٣)</sup>، وقال: (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) <sup>(٤)</sup>، وقال: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) إلى قوله (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً أي أصرمكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) <sup>(٥)</sup> فيبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبين أرباباً كان كافراً، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أرباباً! فلا يجوز أن يقول للملك والالهي والالشيخ، سواء كان حياً أو ميتاً: اغفر ذنبي، وانصرني على عدوي، أو اشف صريضي أو ما أشبه ذلك.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣ و٤٤ (٤) سورة الأنعام، الآية: ٥١

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩، ٨٠

ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان، فهو مشرك بربه، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صدورهم ، ومن جنس دعاة النصارى للمسيح وأمه . قال الله تعالى : ( وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه )<sup>(١)</sup> الآية ، وقال : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله هو سبحانه عما يشركون )<sup>(٢)</sup> .

فان قال : أنا أسأله لأنه أقرب مني إلى الله ليشفع لي لاني أتوسل إلى الله كما أتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ؛ فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم في مطالبهم ، ولذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا : ( ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى )<sup>(٣)</sup> وقد قال سبحانه : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء ) إلى قوله : ( ترجعون )<sup>(٤)</sup> وقال : ( ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلاتندكرون )<sup>(٥)</sup> وقال : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه )<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة المائدة ، الآية : ١١٦

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣١

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٣

(٤) سورة الزمر ، الآيتان : ٤٤ و ٤٣

(٥) سورة السجدة ، الآية : ٤

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

فبيّن الفرق بينه وبين خلقه ، فان من عادة الناس من يستشفع إلى الكبير بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشافع فيقضي حاجته إما رغبة وإما رهبة ، وإما حياء ، وإما غير ذلك ؛ فالله لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن إذنه ، والأمر كله لله .

فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى : ( فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب ) <sup>(١)</sup> والرغبة تكون منه ؛ قال تعالى : ( وإياي فارهبون ) <sup>(٢)</sup> وقال : ( فلا تخشوا الناس واخشون ) <sup>(٣)</sup> وقد أمرنا أن نصلي على النبي ﷺ في الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا .

وقول كثير من الضلّال : هذا أقرب إلى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن أن ندعوه إلا بهذه الوسطة ونحو ذلك ، هو من قول المشركين ، والله تعالى بقول : ( وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ) <sup>(٤)</sup> .

وقد روي أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يا رسول الله ! ربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية وقد أمر الله العباد

(١) سورة الانشراح ، الآياتان ٨٧ : ٨٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٠

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦

كلهم بالصلاة له، ومناجاته، وأمر كلاً منهم أن يقول: (إياك نعبد وإياك نستعين) (١).

ثم يقال لهذا المشرك: أنت إذا دعوت هذا، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك، أو يقدر على سؤالك، أو أرحم بك من ربك، فهذا جهل وضلال وكفر. وإن كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم، فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره؟! وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى الله منك، وأعلى منزلة عند الله منك، فهذا حق أريد به باطل؛ فانه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة؛ فإن معناه أن يثيبه ويمطيه، ليس معناه أنك إذا دعوته أنت، فانك إن كنت مستحقاً للعقاب وردّ الدعاء؛ فالنبي والصالح لا يمين على ما بكرهه الله، ولا يسمى فيما يبغيضك إليه، وإن لم يكن كذلك، فالله أولى بالرحمة والقبول منه.

فان قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاه أعظم مما يجب إذا دعوته أنا، فهذا هو القسم الثاني وهو أن يطلب منه الفعل ولا يدعوه، ولكن يطلب أن يدعو له، كما يقال للحي: ادع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء، فهذا مشروع في الحي، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول: ادع لنا واسأل

لنار بك ونحو ذلك؛ ولم يفعل هذا أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر به أحد من الأئمة، ولا ورد في ذلك حديث، بل الذي ثبت في «الصحيح»: أنهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس، رضي الله عنهما، فقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون، فلم يجيئوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول الله ادع الله، أو استسق لنا ونحن نشكو إليك ما أصابنا ونحو هذا، ولم يقله أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة، ويدعون الله وحده لا شريك له، كما كانوا يدعونه في سائر البقاع.

وفي «الموطأ» وغيره: أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وفي «السنن» أيضاً أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ حينما كنتم فانصلائكم بئاني».

وفي «الصحيح»: أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لئن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا.

قالت عائشة: ولولا ذلك أبرز قبره، لكن خشي أن يتخذ مسجداً .  
وفي « سنن أبي داود » عنه أنه قال: « لعن الله زوارات القبور،  
والمتخذين عليها المساجد والشرج »<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال العلماء: لا يجوز بناء المساجد على القبور. وقالوا: إنه  
لا يجوز أن ينذر لقبر، ولا للمجاور عند القبر، لا من دراهم ولا زيت  
ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك، كله نذر معصية؛ ولم يقل أحد من  
أئمة المسلمين: إن الصلاة عند القبور في المشاهد مستحبة، ولا إن  
الدعاء هناك أفضل، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد وفي  
البيوت أفضل من الصلاة عند قبر؛ لا قبر نبي ولا صالح، سواء سميت  
مشاهد أم لا.

وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد. وقال: (ومن  
أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)<sup>(٢)</sup>  
ولم يقل في المشاهد وقال تعالى: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم  
عند كل مسجد)<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله  
واليوم الآخر)<sup>(٤)</sup> الآية.

(١) إسناده ضعيف، لكن للجمل الأولى والثانية شواهد كثيرة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٤ (٣) سورة الاعراف، الآية: ٣٩

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨



وذكر البخاري في « صحيحه » والطبري وغيره في تفاسيرهم قوله تعالى: ( وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً )<sup>(١)</sup> الآية . قال: هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فاتخذوا تماثيلهم أصناماً .  
فالمكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء ؛ هو أصل الشرك وعبادة الأوثان .

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ؛ فإنه لا يتمسح به ولا يقبل ، وليس في الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الأسود .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا إني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت المذين بليان الحجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين انتهى .

وقال رحمه الله<sup>(٢)</sup> في الرد على ابن البكري بعد كلامه له سبق: لكن من هو الذي جعل الاستغفارة بالخلوق ودعائه سبباً في الأمور التي

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٣ (٢) يريد بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية .

لا يقدر عليها إلا الله؟ ومن الذي قال: إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر؛ نبياً كان أو غير نبي، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان؟ فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين:

إحداها: أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله.

والثانية: أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها، فانه ليس

كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه... إلى أن قال: وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمرأ، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً، وأن يستغيثوا به سواء كان ذلك عند قبره، أو لم يكن عند قبره. بل نقول: سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان، ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين؛ فان أحداً منهم ما كان يقول - إذا نزلت به شدة، أو عرضت له حاجة - لميت: يا سيدي فلان! أنا في حسبك

أو افض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعوهم من الموتى  
والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره  
من الأنبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بمدوا عنها ، بل ولا أقسم بمخلوق  
على الله أصلاً ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور  
غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد ذكره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبي  
ﷺ يدعو لنفسه ؛ وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .  
وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الترياق المجرّب ،  
وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : [ كانت ]  
حاجة فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ونحو ذلك ، فإن هذا  
قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها  
بدع محدثة في الإسلام بعد القرون المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية  
على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام ، والسفر إليها محدث  
في الإسلام ، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت  
في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى  
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . قالت عائشة : ولو لاذك  
لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فاني أنهاكم عن ذلك ».

وقد تقدم أن عمر لما أجذبوا استسقى بالعباس فقال: اللهم إنا كنا إذا أجبنا تتوسل إليك بنينا ففسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم بنينا فاسقنا، فيسقون. فلم يذهبوا إلى القبر، ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس، وكان توسلهم به توسلاً بدعائه، كالامام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان، أو بجاه فلان، أو بجرمة فلان، فهذا لم ينقل لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا التابعين.

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز؛ فكيف يقول القائل للميت: أنا أستغيث بك وأستجير [بك]، وأنا في حسبك، أرسل الله لي، ونحو ذلك. فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدر أن له تأثيراً، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمه، وربما قصت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته، إذ هو

ينهى عن ذلك . وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً ، ولهذا قال النبي ﷺ « لا تتخذوا قبوري عيداً » وقال : « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد » .

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى ( وقالوا لا تدرن<sup>١</sup> آلهتكم ) الآية . إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ؛ ولهذا المنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد انتهى مخلصاً .

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن الزبير أنه رأى قوماً يمسحون المقام فقال لم تؤمروا بهذا ، وإنما أمرتم بالصلاة عنده .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة في قول الله تعالى : ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) (٢) . قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه .

ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها . فإن كان المعارض يستدل بكلام شيخ الإسلام ، فهذا صريح كلامه المؤيد بالأدلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا كثير جداً ، لو ذكرناه لطلال الجواب .

وأما قول المعترض: بل مدح الصرصري - وأثني عليه بقوله:  
قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور؛  
فالجواب: إن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الإسلام وغيره.  
وقد كذب على «الاقناع» و«الشفاء» ليس في الكتابين إلا ما يبطل قوله.  
وفي الحديث: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم  
تستحي فاصنع ما شئت» وإلا فكلام الشيخ في رد ما يقوله الصرصري  
وإنكاره موجود بحمد الله.

قال رحمه الله<sup>(١)</sup> في رده على ابن البكري بعد وجهين ذكرهما،  
الثالث: أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به، وهذا جائز في حياته،  
لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والمات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد  
من العلماء، ولكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى  
الصرصري، ففي شعره قطعة، وكمحمد النعمان، وهو لاء لهم دين  
وصلاح، لكنهم ليسوا من أهل العلم العاملين بمدارك الأحكام الذين  
يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، وليس معهم دليل شرعي، ولا  
نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من  
الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد فيدعوه، أكثر منه من يأتي  
إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعوه به ويدعوه عنده، وهو لاء ليس لهم

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.

مستند شرعي من كتاب [الله] أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة والأئمة ، وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى : قبر معروف تريباق مجرب ، والدعاء عند تبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ومعهم أن طائفة استغاثوا بحمي أو ميت ، فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بمض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ، أو الكواكب والأوثان ، فإن الشياطين كثيراً ما تمثل لهم فيه ، وإنها قد تخاطب أحدهم ولا يراها .

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال ، وكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً ، كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه به ، فتحسب ذلك كرامة ، وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان ، فأضلتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عباد الأصنام . انتهى ما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - من إنكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها .

وأما قول المعترض : وفيه توصل عظيم إن لم يزد على قول صاحب «البردة» لم ينقص عنه . فالجواب : إن هذا من عدم بصيرته ، وكبير جهله ، فإن من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قول صاحب

« البردة » وقول الصرصري في أبياته تفاوتا بعيداً، فقد نهنا على ما يقتضيه كلام صاحب « البردة » من قصر الإلهية والربوبية والملك، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته، ودعوة الخلق إلى عبادته وحده، وجهاد الناس على ذلك، وبلغ الأمة ما أنزل الله تعالى عليه في الآيات المحكمات في تجريد النوحيد، والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الإشارة إليه .

وأما الصرصري ففي كلامه توسل بالنبي ﷺ، والاستغانة به بلا قصر ولا حصر للاستغانة، والاستغانة في جانب المخلوق، وقد أنكره شيخ الإسلام - رحمه الله - وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد بين رحمه الله أن استغانة الحي بالحي إنما هو بدعائه وشفاعته؛ وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأن أهل الأشرار ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد نشأوا عليها بلا برهان وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية، وحكايات سوفسطائية أو منامات تضليلية، كما قال كعب بن زهير:

فلا يفرّك ما منّت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل  
وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالأكاذيب



وليس معهم - بحمد الله - دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها؛ وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة .

ولو استقصينا ذكر الأدلة ، وبسط القول ، لاحتمل مجلداً ضخماً ، وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي ، واختيارها على قصائد شعراء الصحابة ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عُسْرُ المعشار ، وما ذاك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما يكرهه الله ورسوله ، فزنبها الشيطان في نفوس الجهال والضلال ، فالت إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق ، وما قصرُوا فيها جهدهم عما يصلح أن يُمدح به رسوله ﷺ ، وتحرروا فيها ما يرضيه . وتجنبوا ما بسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلو .

فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء ابن عقيل ، وهو في القرن الخامس :

لما صمبت النكاييف على الجهال والطعام<sup>(١)</sup> ، عدلوا عن أوضاع الشرع  
إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت

(١) الطعام : أوغاد الناس ، جمع وغد ، وهو الرجل الذي يخدم بطعام بطنه .

غيره . قال : وم عندي كفار بهذه الأوضاع . إلى آخره .

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعا بعلومه قال : بمد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور ، وأن مقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكير الآخرة والاعتبار والانتعاض .

الثاني : الإحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيتناساه ، فإذا زاره أو أهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة ، ازداد بذلك سروره وفرحه ؛ ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ . وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عبادة الأصنام ؛ قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ، فإذا عاق الزائر روحه به وأدناها ، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية ، والماء على الجسم المقابل ، قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى

الميت ، ويعكف بهمته عليه ، ويوجه قصده كله وإقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم ، كان أقرب إلى الانتفاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما ؛ وصرح بها عبّاد الكواكب في عبادتها ، وهذا بعينه هو الذي لعباد القبور : [من] اتخاذها أعياداً ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالسكّية ، وسد الدرائع المفضية إليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ؛ وكان رسول الله ﷺ في شق ، وهؤلاء في شق . وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله ، قالوا : فإن العبد إذا تعلق روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته إليه ، وعكف بقلبه عليه ؛ صار بينه وبينه اتصال ، يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله . وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ، وهو شديد التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به . فهذا سر عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رساله وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم ،

وسبى ذراريهم ، وأوجب لهم النار . والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم .

قال الله تعالى : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون )<sup>(١)</sup> فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض وهو الله وحده ، وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده ، فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له . والذي يشفع عنده إنما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه . وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشرعية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله سبحانه بقوله : ( واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل )<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ( من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة )<sup>(٣)</sup> ، وقال : ( وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع )<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الزمر ، الآيات : ٤٣ و٤٤ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٨

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ٥١

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد سبحانه رحمته بعبده أذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى ( ما من شفيع إلا من بعد إذنه )<sup>(١)</sup> . وقال : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه )<sup>(٢)</sup> فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ؛ بل يشفع باذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطأها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ؛ والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ، ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له ويقول : اشفع في فلان . ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخالصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى : ( ولا يشفعون إلا لمن ارتضى )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا )<sup>(٤)</sup> . فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضى قول المشفوع له وإذنه للشافع ، فإلم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من

(١) سورة بونس ، الآية : ٣

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

(٤) سورة طه ، الآية : ١٠٩

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨

الامر شي . وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عندهم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ، لا يفعلون شيئاً إلا من بعد إذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه ، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ، ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه ، وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على المملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأولياهم من يشفع له عندهم في الحوائج .

وبهذا القياس الفاسد عبت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد ، والمالك والمملوك ، والغني والفقير ، والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فان قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر المملوك والكبراء بهم ؛ ولولا ما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ، لأنهم يخافون أن يردوا

شفاعتهم ، فينتقص طاعتهم لهم ، ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدأ من قبول شفاعتهم على الكره والرضى . فأما الذي غناه من لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير إليه لذاته ، وكل من في السماوات والأرض عبيد له ، مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة .

قال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السماوات والأرض )<sup>(١)</sup> . قال في سيدة آي القرآن آية الكرسي : ( له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه )<sup>(٢)</sup> . وقال : ( قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض )<sup>(٣)</sup> فأخبر أن ملكه السماوات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه ، فإنه ليس بشريك ، بل مملوك محض ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض .

فتبين أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض ، ولهذا يطلق نفيها تارة

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٧

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٤

بناء على أنها هي المعروفة عند الناس، ويقيد هاتارة [بأنها] لا تنفع إلا باذنه ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فانه هو الذي أذن له، والذي قبل ، والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة . وقوله : فتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ، ومحبوبه ومرجوه ، وخوفه الذي يتقرب إليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : ( ويمبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون )<sup>(١)</sup> . فبين أن متخذي الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسر الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يقنقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا إذناً ؛ بل هو سبب محرك له من خارج ، كسائر الأسباب . وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ؛ وقد يكون عنده ما يخالفه

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨



كمن يشفع إليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤا له وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعته الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعته الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأصران ، فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ، وبين الشفاعته التي تقتضي القبول ، فيتوقف إلى أن يترجح عنده أحد الأصرين بمرجح ، وهذا بخلاف الشفاعته عند الرب سبحانه ، فإنه ما لم يخلق شفاعته الشافع ، وبأذن له فيها ، ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يكن أن توجد . والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعته ، مطيع بامتثال الأمر ، فإن أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعته ولا غيرها إلا بمشيئة الله وخلقها ، فالرب تعالى هو الذي يحرك الشافع حتى يشفع ، والشافع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه [حتى] يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبيده . فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج إلى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعته وما نفاها وأبطله ،

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سارت مشرقاً وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب  
والأمر والله أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً جزيلاً وافياً وافراً .

## قاعدة جليظة في العبادة

تفسيراً لقوله عز وجل: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) تسمى

# العبودية

تأليف الشيخ الإمام العالم الرباني، أحمد العلماء الزهاد

نفي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام رحمه الله  
أولاهما بالقاهرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

أما بعد: فقد سئل شيخ الإسلام وعلم الأعلام، ناصر السنة،  
وقامع البدعة: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمه الله عن قوله عز وجل:  
(يا أيها الناس اعبدوا ربكم) (١)، فما العبادة؟ وما فروعها؟ وهل مجموع  
الدين داخل فيها أم لا؟ وما حقيقة العبودية؟ وهل هي أعلى المقامات  
[في الدنيا والآخرة]، أم فوقها شيء من المقامات؟

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١

والمسؤول أن تبسطوا لنا القول في ذلك مأجورين برحمة الله  
وفضله فأجاب رحمه الله ورضي عنه :  
الحمد لله رب العالمين .

العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال  
والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث،  
وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالمهود، والأمر  
بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والاحسان  
للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم،  
والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك، من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإجابة إليه،  
وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه،  
والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك :  
هي من العبادة لله .

وذلك : أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي  
خاق الخلق لها قال الله تعالى : ( وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون) <sup>(١)</sup>، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) <sup>(٢)</sup>.

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) <sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) <sup>(٤)</sup>. وقال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) <sup>(٥)</sup> كما قال في الآية الأخرى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) <sup>(٦)</sup>. وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) <sup>(٧)</sup>. وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: (وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون) <sup>(٨)</sup>. وقال تعالى: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن

- |                              |                                    |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦ | (٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٨        |
| (٣) سورة النحل، الآية: ٣٦    | (٤) سورة الانبياء، الآية: ٢٥       |
| (٥) سورة الانبياء، الآية: ٩٢ | (٦) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٢ و٥١ |
| (٧) سورة الحجر، الآية: ٩٩    | (٨) سورة الانبياء، الآيتان: ١٩، ٢٠ |

عبادته ويسبحونه وله يسجدون) <sup>(١)</sup>. وذمَّ المستكبرين عنها بقوله:  
 (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي  
 سيدخلون جهنم داخرين) <sup>(٢)</sup>. ونمت صفوة خلقه بالمبودية له ، فقال  
 تعالى : ( عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً ) <sup>(٣)</sup>. وقال :  
 ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون  
 قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ) <sup>(٤)</sup> الآيات . ولما قال  
 الشيطان : ( ربِّ بما أغويتني لأزيننَّ لهم في الأرض ولا أغوينَّهم  
 أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ) <sup>(٥)</sup> قال الله تعالى : ( هذا صراط  
 عليّ مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من  
 الغاوين ) <sup>(٦)</sup>.

وقال في وصف الملائكة بذلك : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً  
 سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم  
 ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته  
 مشفقون ) <sup>(٧)</sup> وقال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً

(١) - سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٥ (٢) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠

(٣) سورة الدهر ، الآية : ٦ (٤) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٣-٧٧

(٥) سورة الحجر ، الآيات : ٤٠ و ٣٩ (٦) سورة الحجر ، الآيات : ٤١ و ٤٢

(٧) سورة الانبياء ، الآيات : ٢٦-٢٨

إدّاً . تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال  
هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن  
كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم  
وعدّهم عدداً . وكلهم آتية يوم القيامة فرداً<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى عن المسيح الذي ادعت فيه الإلهية والبنوة : (إن  
هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبيبي إسرائيل)<sup>(٢)</sup> ولهذا قال النبي  
ﷺ في الحديث الصحيح : « لا تطروني<sup>(٣)</sup> كما أطرت النصارى عيسى  
ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله<sup>(٤)</sup> » .

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله . فقال في الاسراء :  
(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً)<sup>(٥)</sup> وقال في الأبحاء : (فأوحى إلى  
عبده ما أوحى)<sup>(٦)</sup> وقال في الدعوة (وأنه لما قام عبد الله يدعوه  
كادوا يكونون عليه لبداً)<sup>(٧)</sup> وقال في التحدي : (وإن كنتم في ريب  
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)<sup>(٨)</sup> .

فالدين كله داخل في العبادة . وقد ثبت في « الصحيح » أن

(١) سورة مريم ، الآيات : ٨٩-٩٦ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩

(٣) الاطراء : الزيادة في المدح والتغالي فيه

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥) -سورة الاسراء ، الآية : ١٠ (٦) سورة النجم ، الآية : ١٠

(٧) سورة الجن ، الآية : ١٩ (٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٣

جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان . فقال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال : فما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره » . قال : فما الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . ثم قال في آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم بملئكم دينكم » . فجمل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته ، فدان . أي أذللته فذل . ويقال : ندين الله وندين لله . أي نعبد الله ونطيعه ، ونخضع له .

فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضاً . يقال : طريق معبد ، إذا كان مذالاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها ؛ تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى ، بغاية المحبة له .

فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب



بالمحبوب ، ثم الصيابة ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو الحب الملازم للقلب ، ثم المشق . وآخرها : التميم ، يقال : تيم الله ، أي عبد الله فالتميم : المعبد للمحبوبه .

ومن خضع لانسان مع بفضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه . ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى . بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ؛ وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله . وكل ما أحب لغير الله فحبه فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله فتمظيمه باطل . قال الله تعالى : ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره )<sup>(١)</sup> فجنس المحبة ، تكون لله ورسوله [ كالطاعة ، فإن الطاعة لله ورسوله ] والارضاء لله ورسوله : ( والله ورسوله أحق أن يرضوه )<sup>(٢)</sup> والابتناء لله ورسوله : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله )<sup>(٣)</sup> .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٣

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٦٠

وأما العبادة وما يناسبها : من التوكل . والخوف ، ونحو ذلك ، فلا تكون إلا لله وحده كما قال تعالى : ( قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون )<sup>(٢)</sup> فالإيتاء لله وللرسول ، كقوله : ( وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا )<sup>(٣)</sup> وأما الحسب - وهو الكافي - فهو لله وحده ، كما قال تعالى : ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )<sup>(٥)</sup> أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين : الله . ومن ظن أن المنى : حسبك الله والمؤمنون معه ، فقد غلط غلطاً فاحشاً ، كما قد بسطناها في غير هذا الموضع<sup>(٦)</sup> .  
وقال تعالى : ( أليس الله بكاف عبده )<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ (٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٠

(٣) سورة الحشر ، الآية ٧٠ (٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٦٤

(٦) انظر «منهاج السنة» عند قوله تعالى : ( حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين )

(٧) سورة الزمر ، الآية : ٣٦

وتحري ذلك : أن العبد يراد به المعبود الذي عبده الله ،  
 فذاله ودبره وصرفه ، وبهذا الاعتبار : فالمخلوقون كلهم عباد الله :  
 الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة وأهل النار ،  
 إذ هو ربهم كلهم ومليكمهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته ، وكلماته  
 التامات التي لا يجاوزها برئ ولا فاجر ، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا .  
 وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن ، كما قال تعالى : ( أفغير دين الله يبغون  
 وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون )<sup>(١)</sup>  
 فهو سبحانه رب العالمين ، وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ، ومقلب  
 قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ،  
 ولا خالق [ لكل شيء \* ومدبره ومسخره ] إلا هو ، سواء اعترفوا  
 بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، لكن أهل الإيمان  
 منهم عرفوا ذلك [ وآمنوا به ، وشكروه بعبودية الإلهية : رغياً  
 ورهباً ] بخلاف من كان جاهلاً بذلك أو جاحداً له ، مستكبراً على  
 ربه ، لا يقر ولا يخضع له . مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق  
 إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجد له ، كان عذاباً على صاحبه ،  
 كما قال تعالى . ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف  
 كان عاقبة المفسدين )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٣ (٢) سورة النمل ، الآية : ١٤

كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون<sup>(١)</sup> وقال تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ركن الظالمين بآيات الله يجحدون)<sup>(٢)</sup>.

فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه ، وأنه مفتقر إليه محتاج إليه ، عرف العبودية المتعلقة برؤية الله وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع إليه ويتوكل عليه . لكن قد يطبع أمره وقد يعصيه ، وقد يعبد مع ذلك ، وقد يعبد الشيطان والأصنام ، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ، كما قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)<sup>(٣)</sup> فإن المشركين كانوا يقرّون أن الله خالقهم [ورازقهم] وهم يعبدون غيره . قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله)<sup>(٤)</sup> وقال تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله . قل : أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل : فأنى نسحرون؟)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٤٦ (٢) سورة الانعام ، الآية : ٣٣

(٣) سورة يوسف ، الآية : ١٠٦ (٤) سورة الزمر ، الآية : ٣٨

(٥) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٥-٩٠

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ، فيشبهها ، لا يشهد إلا هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر . بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة ، وأهل النار . قال إبليس : ( رب فأنظرني إلى يوم يبعثون )<sup>(١)</sup> وقال : ( رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولا أغوينهم أجمعين )<sup>(٢)</sup> وقال : ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين )<sup>(٣)</sup> وقال : ( أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن <sup>(٤)</sup> .

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره ، وكذلك أهل النار قالوا ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى عنهم : ( ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى وربنا )<sup>(٦)</sup> .

فن وقف عند هذه الحقيقة [ وعند شهودها ، ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية ] التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله ، كان من جنس إبليس ومن أهل النار ، فان ظن مع

(١) سورة ص ، الآية : ٧٩ (٢) سورة الحجر ، الآية : ٣٩

(٣) سورة ص ، الآية : ٨٢ (٤) سورة الاسراء ، الآية : ٦٢

وتامها ( إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ) .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٧ (٦) سورة الأنعام ، الآية : ٣٠

ذلك أنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان، كان من شر أهل الكفر والإلحاد .

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد، وهو العبد بمعنى العابد، فيكون عابداً لله، لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسوله، ويوالي أوليائه المؤمنين المنقيين، ويمادي أعداءه [ الكافرين والفاستقين ] .

وهذه العبادة متعلقة بالإنسية لله تعالى، ولهذا كان عنوان التوحيد: « لا إله إلا الله » بخلاف من يقرّ بربوبيته ولا يعبده، أو يعبد معه إلهاً آخر .

فالإله: هو الذي يألوه القلب بكمال الحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، ونحو ذلك .

وهذه العبادة: هي التي يحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده، وبها بعث رسوله . وأما العبد: بمعنى المعبّد، سواء أقر بذلك أو أنكره، فذلك المعنى يشترك فيه المؤمن الكافر .

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها

ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من أتباع إبليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو في مقام [دون مقام] أو حال [دون حال] نقص من إيمانه وولايته لله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المدّعين للتحقيق والنوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه إلا الله الذي يعلم السر والاعلان .

وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر<sup>(١)</sup> رحمه الله فيما ذكر عنه . فبين أن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا ، إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة<sup>(٢)</sup> ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون موافقاً للقدر .

والذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله . ولكن كثير من الرجال غلطوا فيه ، فأنهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصي والذنوب ، أو ما يقدر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره ، داخل في حكم بوبئته .

(١) أي الجيلاي . (٢) الروزنة : الكوة ، وهي خرق في الحائط ، كالنافذة .

ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضى به ونحو ذلك ، ديناً وطريقاً وعبادة ، فيضاهوون المشركين الذين قالوا : ( لو شاء الله ما أشركنا ولا آبؤنا ولا حرمنا من شيء )<sup>(١)</sup> وقالوا : ( أنظعم من لو يشاء الله أطعمه )<sup>(٢)</sup> . وقالوا : ( لو شاء الزمهم ما عبدناهم )<sup>(٣)</sup> . ولو هُدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجبهِ في المصائب التي تصيبنا ، كالفقر والمرض والخوف . قال الله تعالى : ( ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه )<sup>(٤)</sup> .

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم .

وقال تعالى : ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم )<sup>(٥)</sup> .

وفي « الصحيحين » : عن النبي ﷺ أنه قال : « احتج آدم وموسى . فقال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٤٨ (٢) - سورة يس ، الآية : ٤٧

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٢٠ (٤) - سورة التغابن ، الآية : ١١

(٥) سورة الحديد ، الآيتان : ٢٣ و ٢٢



من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ؟ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوباً عليّ قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال : فخرج آدم موسى .

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظناً أن المذنب يحتج بالقدر ، فان هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ؛ ولو كان هذا عذراً لكان عذراً لإبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر . ولا موسى لام آدم أيضاً لأجل الذنب ، فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباها وهدى ، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة . ولهذا قال : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوباً عليّ قبل أن أخلق .

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدراً ، وما قدر من المصائب يجب الاستسلام له ، فانه من تمام الرضى بالله رباً .  
وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعاييب ويصبر على المصائب . قال تعالى :  
( فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وإن

(١) سورة المؤمن ، الآية : ٥٥

تصبروا وتيقوا لا يضركم ككيدهم شيئاً) (١) وقال: (وإن تصبروا وتيقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (٢). وقال يوسف عليه السلام: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (٣).

وكذلك ذنوب العباد، يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته، ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين، ويوالي أولياء الله، وبإعداء أعداء الله، ويجب في الله ويبغض في الله، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل. إن يتقفوكم بكونوا إكم أعداء وييسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفروا لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير. قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠ (٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٠

أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده) <sup>(١)</sup> وقال تعالى: ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه) <sup>(٢)</sup> وقال: ( أفجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ) <sup>(٣)</sup> وقال: ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ؟ ) <sup>(٤)</sup> وقال تعالى: ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ( وما يستوي الأعمى والبصير . ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ) <sup>(٦)</sup> وقال تعالى ( ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سليماً لرجل هل يستويان مثلاً ؟ ) <sup>(٧)</sup> وقال تعالى: ( ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهرأهل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو

(١) سورة الممتحنة ، الآيات : ١-٤ (٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

(٣) سورة القلم ، الآية : ٣٥ (٤) سورة ص ، الآية : ٢٨

(٥) سورة الجاثية ، الآية : ٢٠ (٦) سورة فاطر ، الآيات ١٩-٢٢

(٧) سورة الزمر ، الآية : ٢٩

كلُّ عليٍّ مولاةٍ أينما يوجهه لا يأت بـخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون )<sup>(٢)</sup>.

ونظائر ذلك مما يفرِّق الله فيه بين أهل الحق والباطل ، وأهل الطاعة والمعصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ، وأهل النقي والرشاد ، وأهل الصدق والكذب .

فمن شهد الحقيقة الكونية دون [ الحقيقة ] الدينية ، سوَّى بين هذه الأصناف المختلفة التي فرَّق الله بينها غاية التفريق حتى تؤول به هذه التسوية إلى أن يسوِّي بين الله وبين الأصنام ، كما قال تعالى عنهم : ( نالله إن كنا في ضلال مبين إذ نسوِّيكم برب العالمين )<sup>(٣)</sup> بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سوَّوا الله بكل موجود ، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود ، إذ جعلوه هو وجود المخلوقات ، وهذا من أعظم الكفر والاحاد برب العباد ، وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد الله ، لا بمعنى أنهم معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق ، كما صرح بذلك طواغيتهم ،

(١) سورة النحل ، الآيتان : ٧٥ و٧٦ (٢) سورة الحشر ، الآية : ٢٠

(٣) سورة الشعراء ، الآيتان : ٩٧ و٩٨

كأبن عربي صاحب « الفصوص » وأمثاله الملحدن المفترنن ، كأبن سبعنن وأمثاله ، وبشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون .

وهذا لفس بشهود للحقفة الكونفة ، لا الكونفة ولا الدفنة ، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقفة الكونفة ، هفب جملاوا وجود الخالق هو وجود الخلق ، وجملاوا كل وصف مذموم وممدوح نعمًا للخالق والخلق ، إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبف ﷺ : « إن لله أهلن من الناس » قفل : من هم بارسول الله ؟ قال : « أهل القرآن ، هم أهل الله وخاصته » (١) .

فهؤلاء يعلمون أن الله رب كل شئ ومملكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مبان للمخلق لفس هو حال فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى إما كفرهم الله إذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسفف خاصة . فكفف من جمل ذلك عامًا فف كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصفة رسوله ، وأنه لا ففب الفساد ، ولا برضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق أن يعبدوه ففطعموا أمره ، وفسفعموا به على كل ذلك ، كما قال فف فاتحة الكتاب : (إفبك نعبد وإفبك نستعفن) (٢) .

(١) رواه أحمد فف « المسند » ، وسنده حسن . (٢) سورة الفاتحة ، الآفة : ٤

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان ، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون في إقامة دينه ، مستعينين به ، رافعين عزيلين بذلك ما قدر من السيئات ، داعمين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ، ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أوان البرد ، دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروهه ، كما قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ! أرأيت أدوية تداوى بها ، ورقى نسترقى بها ، وتقى<sup>(١)</sup> تقى بها ، هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال : « هي من قدر الله » . وفي الحديث : « إن الدعاء والبلاء ليلتقيان ، فيمتلجان بين السماء والأرض » .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية - وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويعملون ذلك مانعاً من اتباع أمره الدني الشري على مراتب في الضلال .

فغلاتهم يعملون ذلك مطلقاً عاماً ، فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة .

(١) جمع تقية : ما يدفع به الانسان ما يخاف ويكره .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : ( لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء )<sup>(١)</sup> . وقالوا : ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم )<sup>(٢)</sup> .  
وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً ، بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض . فإنه لا يمكن أن يُقر كل آدمي على ما يفعل ، فلا بد إذا ظلمه ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسمى في الأرض بالفساد ، وأخذ بسفك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها ، أن يدفع هذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله . فيقال له : إن كان القدر حجةً ، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ؛ وإن لم يكن حجةً بطل أصل قولك : [ إن القدر حجة ] .

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه ، وإنما يتبعون آراءهم وأهوائهم ، كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٤٨ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٢٠

والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلاً ، وأثبت له صفات . أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي ، والوعد ، والوعيد .

وقد يقولون : من شهد الإرادة سقط عنه التكليف . ويؤمنون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة .

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية ، فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد ، وأنه مرشد ومدبر لجميع الكائنات .

وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً ، وبين من يراه شهوداً ، فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ؛ ولكن [ يسقطونه ] عن من يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً .

وهؤلاء [ لا ] يجمعون الجبر وإنبات القدر مانعاً من التكليف على هذا الوجه .

وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد .

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد [ لا ] يؤمر بما يقدر عليه خلافه . كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك .



ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر ،  
الذين هما إرادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد . وهؤلاء أثبتوا القضاء  
والقدر ، ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر ، إذ لم يمكنهم  
نفي ذلك مطلقاً .

وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ، ولهذا لم يكن في السلف  
من هؤلاء أحد ، وهؤلاء يحملون الأمر والنهي للمجبوبين الذين لم  
يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يسقطون عن وصل إلى شهود  
هذه الحقيقة الأمر والنهي ، ويقولون : إنه صار من الخاصة ، وربما  
تأولوا على ذلك قوله تعالى : ( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين )<sup>(١)</sup> . فاليقين  
عندهم هو معرفة هذه الحقيقة .

وقول هؤلاء كفر صريح ، وإن وقع فيه [ بالتقليد ] طوائف لم  
يعلموا أنه كفر ، فإنه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن الأمر  
والنهي لازمان لكل عبد مادام عقله حاضر إلى أن يموت ، لا يسقطان  
عنه ، لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عرفه  
وبيّن له ، فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي ، فإنه يقتل  
[ كفراً ] ، وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين .

وأما المتقدمون من هذه الأمة ، فلم تكن هذه المقالات معروفة

فيهم . وهذه المقالات هي محادة لله ورسوله . ومعادة له ، وصدُّ عن سبيله ومشاققة له ، وتكذيب لرسوله ، ومضادة له في حكمه ، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ، ويمتقد أن هذا الذي هو عليه ، هو طريق الرسول ، وطريق أولياء الله المحققين ، فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه ، لاستغنائها عنها بما حصل له من الأحوال القلبية ، أو أن الحُرَّ حلال له ، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الحُرِّ ، أو أن الفاحشة حلال له ، لأنه صار كالبحر لا تنكده الذنوب ونحو ذلك !

فلاريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله ، وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله ، فهذه الأصناف فيهم شبهة من المشركين ، [ لا هم ] إما أن يبتدعوا ، وإما أن يحتجوا بالقدر ، وإما أن يجمعوا بين الأمرين ، كما قال تعالى عن المشركين : ( وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء تقولون على الله على ما لا تعلمون؟ )<sup>(١)</sup> وكما قال تعالى عنهم : ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء )<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٢٩ (٢) سورة الانعام ، الآية : ١٤٨

الحرام وعبادة الله بما لم يشرع الله ، في مثل قوله تعالى : ( وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه )<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله : ( يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة - إلى قوله - وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد - إلى قوله - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - إلى قوله - قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون )<sup>(٢)</sup> .

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو [ الرياضة ] والسلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه هو ويزوقه ، ويجمده [ في قلبه الغافل الضال عن الله ] ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتاجون بالقدر مطلقاً . بل عمدتهم اتباع آرائهم

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٣٨ (٢) سورة الاعراف ، الآية : ٢٦ - ٣٢

وأهوائهم ، وجعلهم ما يرونه وما يهونونه حقيقة ، وبأمرون باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله ، نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم ، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها ، دون ما دلت عليه السمعيات . ثم الكتاب والسنة ، إما أن يحرفوا القول فيها عن مواضعه ، وإما أن يعرضوا عنه بالكلية ، فلا يتدبرونه ولا يعقلونه ، بل يقولون : نفوض معناه إلى الله ، مع اعتقادهم تقيض مدلوله .

وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقلية المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة ، وكذلك أولئك [ الصوفية ] إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله ، المخالفة للكتاب والسنة ، وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه .

وأصل كل ضلال من ضل ، إنما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله ، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله . فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد ويهواه . فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته وهواه .

فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد ، مثل ما بينه النبي ﷺ

بقوله في الحديث الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار »<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام في الحديث الصحيح : « ذاق طعم الإيمان : من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً »<sup>(٢)</sup> وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكلُّ بحسبه .

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : أنسيت قوله تعالى : ( وأثربوا في قلوبهم العجل بكفرهم )<sup>(٣)</sup> أو نحو هذا من الكلام .

فعباد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله )<sup>(٤)</sup> وقال : ( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ )<sup>(٥)</sup> وقال : ( إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى )<sup>(٦)</sup> .

ولهذا يعيل هؤلاء ، ويفرمون بسمع الشعر والأصوات

(١) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٩٣ (٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ .

(٥) سورة القصص ، الآية : ٥٠ (٦) سورة النجم ، الآية : ٢٣ .

[ والآلات الموسيقية ] التي تهيج المحبة المطلقة ، التي لا تختص بأهل  
الايان ، بل يشترك فيها محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب  
الصلبان ، ومحب الأوطان ، ومحب الاخوان ، ومحب المردان ، ومحب  
النسوان ، وهؤلاء [ هم الذين ] يتبعون أذواقهم ومواجيدهم ، من غير  
اعتبار لذلك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة .

فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وحده ، وطاعته  
وطاعة رسوله ، لا يكون متبعاً لدين شرعه الله أبداً ، كما قال تعالى :  
( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين  
لا يعلمون . إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء  
بعض والله وليُّ المتقين )<sup>(١)</sup> بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله .  
قال تعالى : ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟ )<sup>(٢)</sup> .  
وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة ، يقدمونها  
على ما شرعه الله . وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة ، كما أخبر  
الله عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة هم أعلام عندهم قدراً ، وهم مستمسكون بما  
اختاروا بهوهم من الدين في أداء الفرائض المشهورة ، واجتناب  
المحرمات المشهورة ، لكن يضلّون بترك ما أمروا به من الأسباب التي

(١) سورة الجاثية ، الآيات : ١٩ ، ٢٠ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٢١

هي عبادة، ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك، مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة، بناء على أن من شهد القدر، علم أن ما قدر سيكون، فلاحاجة إلى ذلك وهذا ضلال مبين.

فإن الله قدر الأشياء بأسبابها، كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها، كما قال النبي ﷺ: «إن الله خلق للجنة أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل الجنة يعملون، وخلق للنار أهلاً، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وبعمل أهل النار يعملون» (١).

وكما قال النبي ﷺ لما أخبرهم: بأن الله كتب المقادير، فقالوا: يا رسول الله أفلا نذع العمل، ونسكل على الكتاب؟ فقال: «لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة» (٢).

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة، كما في قوله تعالى: (فاعبده وتوكل عليه) (٣) وفي قوله: (قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) (٤) وقول

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود. (٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣ (٤) سورة الرعد، الآية: ٣٢

شعيب عليه السلام : ( عليه توكلت وإليه أنيب )<sup>(١)</sup>.

ومنهم طائفة قد تركت المستحبات من الأعمال دون الواجبات،  
فتنقص بقدر ذلك .

ومنهم طائفة يفترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل  
مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للمادة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم  
بهذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه  
الأمور ، ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما  
ينجو العبد منها بملزمة أمر الله الذي يمت به رسوله ، في كل وقت ،  
كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة  
نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح ، من  
ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك  
من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :  
أحدهما : أن لا يعبد إلا الله .

الثاني : أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع ، لا يعبد به غير ذلك من  
الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ( فن كان يرجو لقاء ربه

(١) سورة هود ، الآية : ٨٨



فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (١) وقال تعالى: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢) وقال تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً؟ واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (٣).

فالعمل الصالح: هو الاحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب.

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب، ولا في صحيح السنة، فإنها - وإن قالها من قالها، وعمل بها من عمل - ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٤) وقوله: (أسلم وجهه لله) (٥) فهو إخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً.

(١) سورة الكهف، الآية: ١١١ (٢) سورة البقرة، الآية: ١١٣

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٤ (٤) سورة الكهف، الآية: ١١١

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٣

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ( ليلوكم أيكم أحسن عملاً )<sup>(١)</sup> قال : أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ؛ ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله . والصواب : أن يكون على السنة .

فإن قيل : فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلًا في اسم العبادة ، فلماذا عطف عليها غيرها ؛ كقوله في فاتحة الكتاب : ( إياك نعبد وإياك نستعين ) ، وقوله لنبيه : ( فاعبده وتوكل عليه )<sup>(٢)</sup> ، وقول نوح : ( اعبدوا الله واتقوه وأطيعون )<sup>(٣)</sup> وكذلك قول غيره من الرسل ؟

قيل : هذا له نظائر ، كما في قوله : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر )<sup>(٤)</sup> والفحشاء من المنكر وكذلك قوله : ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى )<sup>(٥)</sup> وإيتاء ذي القربى : هو من العدل والإحسان ، كما أن الفحشاء والبغى من المنكر ، وكذلك قوله : ( والذين يمسكون

(١) سورة الملك ، الآية : ٤ (٢) سورة هود ، الآية : ١٢٣

(٣) سورة نوح ، الآية : ٣ (٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥

(٥) سورة النحل ، الآية : ٩٠

بالكتاب وأقاموا الصلاة<sup>(١)</sup>، وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب .

وكذلك قوله عن أنبيائه : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً)<sup>(٢)</sup> ودعائهم رغباً ورهباً من الخيرات وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ، فيمطف عليه تخصيصاً له بالذكر ، لكونه مطلوباً بالمعنى العام والمبنى الخاص .

وتارة تنوع دلالة الاسم بحال الانفراد والاقتران . فاذا أُفرد عم ، وإذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « المسكين » لما أُفرد أحدهما في مثل قوله : ( للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( أو إطعام عشرة مساكين )<sup>(٤)</sup> دخل فيه الآخر . ولما قرن بينهما في قوله : ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين )<sup>(٥)</sup> صار نوعين .

وقد قيل : إن الخاص المطفوف على العام ، لا يدخل في العام حال الاقتران ؛ بل يكون من هذا الباب .

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٦٩ (٢) سورة الانبياء ، الآية : ٩٠

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ (٤) سورة المائدة ، الآية : ٩٢

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٦١

والتحقيق أن هذا ليس لازماً . قال تعالى : ( من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم )<sup>(٢)</sup> .

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة ، تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام ، كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم ، كما في قوله : ( هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب وبقِيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك )<sup>(٣)</sup> . فقوله : ( يؤمنون بالغيب ) . يتناول كل الغيب الذي يجب الإيمان به ، لكن فيه إجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب : ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالخبر به ، وهو الغيب ، وبالإخبار بالغيب ، وهو ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .

ومن هذا الباب : قوله تعالى : ( اتل ما أوحى إليك من الكتاب

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩٨

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٧

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ٢ - ٥

وأقم الصلاة<sup>(١)</sup> وقوله: (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)<sup>(٢)</sup> وتلاوة الكتاب: هي اتباعه والعمل به، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته)<sup>(٣)</sup>. قال: يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمنشأه، ويعملون بحكمه. فاتباع الكتاب: يتناول الصلاة وغيرها، لكن خصها بالذكر لمزيتها. وكذلك قوله لموسى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)<sup>(٤)</sup>. وإقام الصلاة لذكوره: من أجل عبادته. وكذلك قوله تعالى: (اتقوا الله وقولوا سيدياً)<sup>(٥)</sup>. وقوله: (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)<sup>(٦)</sup>. وقوله: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)<sup>(٧)</sup>. فإن هذه الأمور هي أيضاً من تمام تقوى الله، وكذلك قوله: (فاعبده وتوكل عليه)<sup>(٨)</sup>. فإن التوكل هو الاستعانة، وهي من عبادة الله، لكن خصت بالذكر، ليقصدها المتعبد بخصوصها. فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة، إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بعموته.

إذا تبين هذا فكمال المخلوق: في تحقيق عبوديته لله، وكما

- |                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥ | (٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٠ |
| (٣) سورة البقرة، الآية: ١٢١  | (٤) سورة طه، الآية: ١٤       |
| (٥) سورة الاحزاب، الآية: ٧١  | (٦) سورة المائدة، الآية: ٣٦  |
| (٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٠  | (٨) سورة هود، الآية: ١٢٣     |

ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكل ؛ فهو من أجهل الخلق بل من أضلهم . قال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدم عدأً . وكلهم آتية يوم القيامة فرداً )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى في المسيح : ( إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل )<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون )<sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين

(١) سورة الأنبياء، الآيات : ٢٦-٢٨ (٢) سورة مريم، الآيات : ٨٩-٩٦

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ (٤) سورة الانبياء ، الآيات : ١٩-٢٥

استنكفوا واستكبروا فيمذبذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله  
ولياً ولا نصيراً) (١). وقال تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن  
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٢) وقال تعالى:  
(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس وللأقمر  
واسجدوا لله الذي خلقهم إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا  
فألذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) (٣). وقال  
تعالى: (واذكروا ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من  
القول بالهدوء والأصالة ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك  
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) (٤). وهذا ونحوه  
مما فيه وصف أكابر الخلق بالعبادة، واذم من خرج عن ذلك متعدد  
في القرآن، وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك. فقال تعالى: (وما  
أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٥).  
وقال: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا  
الطاغوت) (٦). وقال تعالى لبني إسرائيل: (يا عبادي الذين آمنوا إن  
أرضي واسعة فإياي فاعبدون) (٧). (وإياي فاتقون) (٨). وقال: (يا أيها

(١) - سورة النساء، الآيات: ١٧١-١٧٢ (٢) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.

(٣) سورة فصلت، الآيات: ٣٧-٣٨ (٤) سورة الاعراف، الآيات: ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) سورة الانبياء، الآية: ٢٥ (٦) سورة النحل، الآية: ٢٦.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦ (٨) - سورة البقرة، الآية: ٤١.

الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (١) .  
 وقال : ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ) (٢) . وقال تعالى :  
 ( قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون  
 أول المسلمين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل  
 الله أعبد مخلصاً له ديني . فاعبدوا ما شئتم من دونه ) (٣) .

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله ، كقول  
 نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها : ( اعبدوا الله  
 ما لكم من إله غيره ) (٤) .

وفي « المسند » عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثت  
 بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي  
 تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري » (٥) .

وقد بين أن عبادة المخلصين ، هم الذين ينجون من السيئات التي  
 زينها الشيطان قال الشيطان : ( رب بما أغويتني لأزيننَّ لهم في  
 الأرض ولا أغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ) (٦) قال تعالى :  
 ( هذا صراط عليّ مستقيم . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، إلا من

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١ (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦

(٣) سورة الزمر ، الآيات : ١٢ - ١٦ (٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٣

(٥) ورواه البخاري تعليقاً ، وأبو داود . قال الحافظ ابن حجر : إسناده

حسن . (٦) سورة الحجر ، الآيتان : ٤٩ و ٥٠



اتبعتك من الغاوين) <sup>(١)</sup> . وقال ( فبِعزتك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ) <sup>(٢)</sup> . وقال في حق يوسف : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ) <sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين ) <sup>(٤)</sup> . وقال : ( إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ) <sup>(٥)</sup> .

وبالعبودية نمت كل من اصطفى من خلقه في قوله : ( واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإلهم عندنا لمن المصطفىين الأختيار ) <sup>(٦)</sup> . وقوله ( واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ) <sup>(٧)</sup> . وقال عن سليمان : ( نعم العبد إنه أواب ) <sup>(٨)</sup> . وعن أيوب ( نعم العبد ) <sup>(٩)</sup> . وقال عنه : ( واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ) <sup>(١٠)</sup> . وقال عن نوح عليه السلام : ( ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ) <sup>(١١)</sup> . وقال عن خاتم رسوله : ( سبحان

(١) سورة الحجر ، الآيات : ٤١ ، ٤٤ (٢) سورة ص ، الآيات : ٨٢ ، ٨٣

(٣) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٤) سورة الصافات ، الآيات : ١٥٩ ، ١٦٠

(٥) سورة النحل ، الآيات : ٩٩ ، ١٠٠ (٦) سورة ص ، الآيات : ٤٥ - ٤٧

(٧) سورة ص ، الآية : ١٧ (٨) سورة ص ، الآية : ٣٠

(٩) سورة ص ، الآية : ٤٤ (١٠) سورة ص ، الآية : ٤١

(١١) سورة الاسراء ، الآية : ٣ (توحيد - ٣٧)

الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى<sup>(١)</sup> .  
 وقال : ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه )<sup>(٢)</sup> وقال : ( وإن كنتم في ريب  
 مما نزلنا على عبدنا )<sup>(٣)</sup> . وقال : ( فأوحى إلى عبده ما أوحى )<sup>(٤)</sup> .  
 وقال : ( عينا يشرب بها عباد الله )<sup>(٥)</sup> . وقال : ( وعباد الرحمن الذين  
 يمشون على الأرض هونا )<sup>(٦)</sup> . ومثل هذا كثير متعدد في القرآن .

## فصل

إذا تبين ذلك ، فملوم أن الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلاً  
 عظيماً ، وهو تفاضلهم في حقيقة الايمان . وهم ينقسمون فيه إلى عام  
 وخاص ، ولهذا كانت إلهية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا  
 كان الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل . وفي « الصحيح »  
 عن النبي ﷺ أنه قال : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس  
 عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا  
 انتمقش . إن أُعطي رضي ، وإن منع سخط »<sup>(٧)</sup> . فسماه النبي ﷺ :  
 عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١ (٢) سورة الجن ، الآية : ١٩

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٣ (٤) سورة النجم ، الآية : ١٠

(٥) سورة الدهر ، الآية : ٦ (٦) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣

(٧) رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

دعاء وخبراً ، وهو قوله : « تمس وانتكس ، وإذا شيك فلا تنقش »  
والنقش : إخراج الشوكة من الرجل والمنقاش : ما يخرج به الشوكة .  
وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفتح لكونه تمس  
وانتكس . فلا نال المطلوب ، ولا خالص من المكروه ، وهذه حال من  
عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إذا أعطي رضي ، وإذا منع سخط .  
كما قال تعالى ( ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا  
وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون )<sup>(١)</sup> . فرضاهم لغير الله ، وسخطهم  
لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من  
أهواء نفسه ، إن حصل له رضي ، وإن لم يحصل له سخط . فهذا عبد  
مايهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، إذ الرق والعبودية في الحقيقة : هو  
رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده ، فالقلب عبده .  
ولهذا يقال : العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع

وقال القائل :

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حراً

ويقال : الطمع غل في العنق ، وقيد في الرجل ، فإذا زال الغل  
من العنق ، زال القيد من الرجل . ويروى عن عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه ، أنه قال : الطمع فقر ، واليأس غنى ، وإن أحدكم إذا يشس

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥٩

من شيء استغنى عنه . وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه ، فإن الأمر الذي يبأس منه لا يطلبه ، ولا يطبع فيه ، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه ، ولا إلى من يفعله . وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه ، فإن قلبه يتعلق به ، فيصير فقيراً إلى حصوله ، وإلى من يظن أنه سبب في حصوله ، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك . قال الخليل عليه السلام : ( فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون )<sup>(١)</sup> .

فالعبد لا بد له من رزق ، وهو محتاج إلى ذلك ، فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله ، فقيراً إليه ، وإذا طابه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه . ولهذا كانت مسألة<sup>(٢)</sup> المخلوق محرمة في الأصل ، وإنما أبيحت للضرورة . وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في « الصحاح » و « السنن » و « المسانيد » . كقوله عليه السلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُرْغمة من لحم »<sup>(٣)</sup> . وقال : « من سأل الناس وله ما يغنيه ، جاءت مسأله يوم القيامة خدوشاً - أو خموشاً أو كدوشاً - في وجهه »<sup>(٤)</sup> . وقوله : « لا تحمل المسألة إلا للذي غُرْم مُفْطِيع ، أو دم مُوجِع ، أو فقر مُدْقِع »<sup>(٥)</sup> . وهذا المعنى في « الصحيح »

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ١٧ (٢) أي سؤاله .

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بمعناه عن جابر رضي الله عنه . قال الحافظ

المنذري : باسناد لا بأس به

(٥) رواه أبو داود والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وفيه أيضاً : « لأن يأخذ أحدكم [أ] حبله فيذهب فيحتطب ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه »<sup>(١)</sup> . وقال : « ما أناك من هذا المال وأنت غير سائل ، ولا مستشرف فخذ ، ومالا ، فلا تتبعه نفسك »<sup>(٢)</sup> . فكره أخذه مع سؤال اللسان ، واستشرف القلب . وقال في الحديث الصحيح : « من يستغن يغنه الله . ومن يستعف يُعِفهُ الله . ومن يتصبر يصبره الله . وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »<sup>(٣)</sup> . وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً . وفي « المسند » : أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده ، فلا يقول لأحد : ناواني إياه ، ويقول : إن خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً<sup>(٤)</sup> . وفي « صحيح مسلم » وغيره ، عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ بايمه في طائفة ، وأسر إليهم كلمة خفية : أن لا تسألوا الناس شيئاً . فكان بعض أولئك نفر يسقط السوط من يد أحدهم ولا يقول لأحد : ناواني إياه .

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع . كقوله تعالى ( فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب )<sup>(٥)</sup> . وقول النبي ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ،

(١) رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والنسائي والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) وفي سنده انقطاع . قال الحافظ المنذري : ابن أبي مليكة - يعني راوي

الحديث - لم يدرك أبا بكر . (٥) سورة الانشراح ، الآيتان : ٧ ، ٨ .

وإذا استعنت فاستعن بالله»<sup>(١)</sup>. ومنه قول الخليل: ( فابتغوا عند الله الرزق )<sup>(٢)</sup> ولم يقل: فابتغوا الرزق عند الله، لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر، كأنه قال: لا تبتغوا الرزق إلا عند الله. وقد قال تعالى: ( واسألوا الله من فضله )<sup>(٣)</sup>.

والإنسان لا بد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه، ودفع ما يضره، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله، فلا يسأل رزقه إلا من الله، ولا يشتكي إلا إليه، كما قال يعقوب عليه السلام: ( إنما أشكو بثي وحزني إلى الله )<sup>(٤)</sup>.

والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل وقد قيل: إن الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى والصفح الجميل: صفح بلا معاتبة. والصبر الجميل: صبر بغير شكوى إلى المخلوق. ولهذا قرى على أحمد بن حنبل في مرضه: أن طاووساً كان يكره أن ينال المريض ويقول: إنه شكوى. فأنَّ أحمد حتى مات. وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل، فإن يعقوب قال ( فصبر جميل )<sup>(٥)</sup>. وقال ( إنما أشكو بثي وحزني إلى الله )<sup>(٤)</sup>. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل، فمر بهذه الآية في قراءته.

(١) رواه الترمذي وأحمد، وهو حسن لغيره.

(٢) سورة المنكبوت، الآية: ١٧ (٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦. (٥) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

فبكي حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف .

ومن دعاء موسى : « اللهم لك الحمد وإليك المشيكي ، وأنت المستعان [وبك المستغاث] وعليك النكلان ولا حول ولا قوة إلا بك » .  
وفي الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا :  
« اللهم إني أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربي ورب المستضعفين اللهم إلى من تكلمي ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة : أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليّ غضبك لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » وفي بعض الروايات : « ولا حول ولا قوة إلا بك »<sup>(١)</sup> .

وكما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ، ورجاؤه لقضاء حاجته ودفوع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحرите مما سواه ، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ، فبأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ، كما قيل : استغن عن شئت تكن نظيره ، وأفضل على من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له ، وإعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له ،

(١) إسناده ضعيف معضل . انظر « فقه السيرة » بتخریج محمد ناصر الدين

يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله . لاسيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه ، وإما على أهله وأصدقائه ، وإما على أمواله وذخائره ، وإما على ساداته وكبرائه ، كمالكه ومملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ، ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى : ( وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً )<sup>(١)</sup> وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ، خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وإن كان في الظاهر أميراً لهم ، مديراً لأموالهم ، متصرفاً بهم . فالماقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر . فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة - ولو كانت مباحة له - يبقى قلبه أسيراً لها تتحكم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، ولا سيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها ، وأنه لا يمتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تتحكم فيه تتحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ، فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي مادام قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص .



وأما إذا كان القلب - الذي هو ملك الجسم - رقيقاً مستعبداً، متيمماً لغير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض، والعبودية الدليلة لما استعبد القلب.

وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق، لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات. ومن استعبد بحق، إذا أدى حق الله وحق مواليه فله أجران، ولو أكره على النكاح بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله، فهذا يضره ذلك كل الضرر، ولو كان في الظاهر ملك الناس.

فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية للقلب، كما أن الغنى غنى النفس. قال النبي ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس »<sup>(١)</sup>.

وهذا لعمر الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة. فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي. فهذا هو العذاب الذي لا يداينيه عذاب.

وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً وأقلامهم تواباً،

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة.

فإن العاشق لصورة ، إذا بقي قلبه متعلقاً بها ، مستعبداً لها ، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى ، فدوام تعلق القلب بها <sup>(١)</sup> بلا فعل الفاحشة ، أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويحول أثره من قلبه <sup>(٢)</sup> . وهوؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين ، كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران ؟  
وقيل :

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين  
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين  
ومن أعظم أسباب هذا البلاء : إعراض القلب عن الله ، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ، ولا ألد ولا أمتع ولا أطيب .

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه ،

(١) يعني وهو غير مجاهد لصرها عن نفسه ، حتى تكون عبوديتها خالصة لربه .  
وإلا ففي حالة المجاهدة هذه يكون في طاعة ربه ، فلا يصح أن تكون شرأ مطلقاً ، فكيف تكون أشد ضرراً مما ذكره المؤلف رحمه الله .

(٢) وذلك لأن دوام تعلق القلب بالصورة على التفسير السابق لا بد أن يحمل المرء على مخالفة الشرع ولو في ناحية لا تتعلق بالفاحشة الكبرى ، مثل إهماله لبعض واجباته الشخصية أو العائلية ونحوهما .

أو خوفاً من مكروهه ، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى في حق يوسف : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )<sup>(١)</sup> فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصورة والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله . و[هذا] يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والاختصاص له ، بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها ، فاذا ذاق طعم الاختصاص لله ، وقوي في قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعالى : ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) ولذكر الله أكبر<sup>(٢)</sup> فإن الصلاة فيها دفع لشر مكروهه ، وهو الفحشاء والمنكر ، وفيها تحصيل خير محبوب ، وهو ذكر الله . وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه ، فإن ذكر الله ؛ عبادة لله ، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع ، والقلب خلق يحب الحق ويريد به ويطلبه ، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك ، فإنها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٢) سورة النكبات ، الآية : ٤٥

الدغل (١).

ولهذا قال تعالى: (قد أفاح من زكاها. وقد خاب من دساها) (٢)  
 وقال تعالى: (قد أفاح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) (٣) وقال:  
 (قل للمؤمنين بغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى  
 لهم) (٤) وقال تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من  
 أحد أبداً) (٥) فجعل سبحانه غرض البصر، وحفظ الفرج، هو أقوى  
 تزكية للنفس، وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة  
 النفوس تتضمن زوال جميع الشرور: من الفواحش والظلم، والشرك  
 والكذب وغير ذلك.

وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن  
 يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة  
 يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويمفو عما يجترحونه  
 ليطيعوه ويعينوه، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد  
 مطيع لهم.

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة

(١) الدغل: دخل في الأمر مفسد.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ١٠، ٩ - سورة الاعلى، الآيتان: ١٤، ١٥

(٣) سورة النور، الآية: ٣٠ (٤) سورة النور، الآية: ٢١

عبادة الله . وإذا كان تعاونها على العلو في الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين ، لهواه الذي استعبده واستترقه - مستعبد للآخر . وهكذا أيضاً طالب المال ، فإن ذلك المال يستعبده ويستترقه .

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد إليه ، ككل ما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ، ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده - يستعمله في حاجته - بمنزلة حماله الذي يركبه ، وبساطه الذي يجلس عليه . بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته ، من غير أن يستعبده ، فيكون هلوياً : إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً .

ومنها : ما لا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به . فإذا علق قلبه به صار مستعبداً له . وربما صار معتمداً على غير الله ، فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ، ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غير الله ، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة »<sup>(١)</sup> . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فإنه لو طلبها من

(١) رواه البخاري وابن ماجه ، وقد تقدم .

الله ، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي ، وإذا منعه إياها سخط . وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويمادي أعداء الله تعالى . وهذا هو الذي استكمل الإيمان ، كما في الحديث : « من أحب الله وأبغض الله ، وأعطى الله ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان »<sup>(١)</sup> وقال : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله ، والبغض في الله »<sup>(٢)</sup> .

وفي « الصحيح » عنه ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار »<sup>(٣)</sup> . فهذا وفق ربه فيما يحبه وما يكرهه . فكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأحب المخلوق لله ، لانغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه لله ، فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فاذا أحب أنبياء الله وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ، لالشيء آخر ، فقد أحبه الله لالغيره . وقد قال تعالى : ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين )<sup>(٤)</sup> . ولهذا قال تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) حديث حسن ، أخرجه أحمد عن البراء ، والطبراني في « الكبير » عن

ابن عباس ، وفي « الصغير » عن ابن مسعود . (٣) متفق عليه .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ (٥) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

فإن الرسول لا يأمر إلا بما يحب الله ، ولا ينهى إلا عما يبغضه الله ، ولا يفعل إلا ما يحبه الله ، ولا ينجز إلا بما يحب الله التصديق به . فمن كان محبا لله ، لزم أن يتبع الرسول ، فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا ، فقد فعل ما يحبه الله ، فيحبه الله .

وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد في سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان ، والعمل الصالح ، وفي دفع ما يبغضه الله : من الكفر ، والفسوق ، والمصيان .

وقد قال تعالى : ( قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم - إلى قوله - حتى يأتي الله بأمره )<sup>(١)</sup> . فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله ، والجهاد في سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في « الصحيح » أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »<sup>(٢)</sup> . وفي الصحيح : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله ، والله لانت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال : « لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال : فوالله لانت أحب إلي من نفسي .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٥ (٢) رواه الشيخان .

فقال: «الآن يا عمر»<sup>(١)</sup>.

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حب ما يحب، وبنقض ما يبغض. والله يحب الإيمان والتقوى، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان.

ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب، فكما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها، وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك، كان له أجر كأجر الفاعل. كما قال النبي ﷺ «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء». ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(٢)</sup>. وقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم». قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»<sup>(١)</sup>.

والجهاد: هو بذل الوسع - وهو كل ما يملك من القدرة - في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه الحق. فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد، كان تركه دليلاً على ضعف محبة الله ورسوله في قلبه.

(١) رواه الشيخان. (٢) رواه مسلم.



ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات ،  
سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة . فالمحبون للمال والرئاسة والصور ،  
لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا ، مع ما يصيبهم من  
الضرر في الدنيا والآخرة . فالحب لله ورسوله إذا لم يحتمل ما يرى  
من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ، دل  
ذلك على ضعف محبته لله ، إذ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم ، هو  
الطريق الذي يسير به العقل .

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حباً لله ، كما قال تعالى ( ومن  
الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا  
أشد حباً لله ) (١) .

نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقاً لا  
يحصل له بها المطلوب . فمثل هذه الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة  
صالحة محمودة .

فكيف إذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟ كما  
يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور ، من حب أمور  
توجب لهم ضرراً ، ولا تحصل لهم مطلوباً ، وإنما المقصود : الطرق  
التي يسلكها ذو العقل السليم لحصوله مطلوبه .

وإذا تبين هذا ، فكلياً ازداد القلب حباً لله ، ازداد له عبودية ،  
وكلياً ازداد له عبودية ، ازداد له حباً وحرية عما سواه .

والقلب فقير بالذات إلى الله من جهتين : من جهة العبادة ، وهي  
العلة الغائية ، ومن جهة الاستعانة والنوكل ؛ وهي العلة الفاعلة .

فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتذ ، ولا  
يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، إلا بعبادة ربه وحده ، ووجه الإجابة  
إليه ، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات ، لم يطمئن ، ولم يسكن ،  
إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة ، من حيث هو معبوده ومحبوبه  
ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون  
والطمأنينة .

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له ، فإنه لا يقدر على تحصيل  
ذلك السرور والسكون إلا الله ، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة : ( إياك  
نعبد وإياك نستعين )<sup>(١)</sup> فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه  
ويشتهيه ويريده ، ولم يحصل له عبادة لله ، فلن يحصل إلا على الألم  
والحسرة والعذاب ، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها ، إلا  
بإخلاص الحب لله ، بحيث يكون الله هو غاية مراده ، ونهاية مقصوده ،  
وهو المحبوب له بالقصد الأول ، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله ،

(١) سورة الفاتحة ، الآية : ٥

لا يجب شيئاً لذاته إلا الله ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا إله إلا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله ، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان ، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك ولو سمي في هذا المطلوب ، ولم يكن مستعينا بالله متوكلاً عليه ، مفتقراً إليه في حصوله ، لم يحصل له ، فإنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فالعبد مفتقر إلى الله ؛ من حيث هو المطلوب المحبوب ، المراد المعبود ، ومن حيث هو المسؤول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو إلهه الذي لا إله له غيره ، وهو ربه الذي لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته لله إلا بهذين .

فمتى كان يجب غير الله لذاته ، أو بانفت إلى غير الله أنه يعينه ، كان عبداً لما أحبه ، وعبداً لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه إياه ، وإذا لم يجب أحداً لذاته إلا الله ، وأي شيء أحبه سواه ، فانما أحبه له ، ولم يرج قط شيئاً إلا الله . وإذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ، مشاهداً أن الله هو الذي خلقها وقدرها وسخرها له ، وأن كل ما في السماوات والأرض فالله ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر إليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته لله بحسب ما قسم له من ذلك .

والناس في هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصي طرقها إلا الله .  
فأكل الخلق وأفضلهم ، وأعلام وأقربهم إلى الله ، وأقوام ،  
وأهدام : أنهم عبودية لله من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذي أرسل الله به رساله ، وأنزل  
به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره ، فالمستسلم له وغيره  
مشرك ، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ : « أن الجنة لا يدخلها  
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »<sup>(١)</sup> كما أن النار لا يدخلها  
في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فجعل الكبر مقابلاً للإيمان ، فإن الكبر  
ينافي حقيقة العبودية ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال :  
« يقول الله : العظمة إزار ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً  
منها عذبتة »<sup>(٢)</sup> فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء  
أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة  
الإزار .

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ؛  
وكان مستحباً في الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، وإذا علا الإنسان

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم وأبو داود .

شرفاً ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وإن عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان قال تعالى : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )<sup>(١)</sup> .

وكل من استكبر عن عبادة الله ، فلا بد أن يعبد غيره ، ويذل له ، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة .

وقد ثبت في « الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « أصدق الاسماء : حارث وهام »<sup>(٢)</sup> فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهام : فعال من همم ، والههم أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته ، بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب ، يستعبده ويستذله غير الله ، فيكون عبداً ذليلاً لذلك المراد المحبوب : إما المال ، وإما الجاه ، وإما الصور ، وإما ما يتخذها لها من دون الله ، كالشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء والصالحين ، والملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أرباباً ، وغير ذلك مما عبد من دون الله .

(١) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠ (٢) الذي في « صحيح مسلم » : « أحب الاسماء إلى الله : عبادة ، وعبدالرحمن ، . وحديث « وأصدقها : حارث وهام » . رواه أبو داود ، والنسائي ، وليس هو في الصحيح .

وإذا كان عبداً غير الله كان لا بد مشركاً ، وكل متكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً عن عبادة الله ، وكان مشركاً قال تعالى : ( ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب - إلى قوله - وقال موسى إني عدتُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب . - إلى قوله - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جباراً )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فامتكبروا في الأرض وما كانوا سابقين )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى ( إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحبي نساءهم )<sup>(٣)</sup> وقال : ( وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين )<sup>(٤)</sup> . ومثل هذا في القرآن كثير . وقد وصف فرعون بالشرك في قوله : ( وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهنك )<sup>(٥)</sup> . بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكباراً عن عبادة الله ، كان أعظم إشرافاً بالله ، لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ، ازداد فقراً وحاجة إلى

(١) سورة المؤمن ، الآيات : ٢٣ ، ٣٥ (٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٩

(٣) سورة القصص ، الآية : ٤ (٤) سورة النمل ، الآية : ١٤

(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٦

مراده المحبوب الذي هو مقصود قلبه بالقصد الأول ، فيكون مشركاً لما استعبده من ذلك .

ولن يستغني القاب عن جميع المخلوقات ، إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا لله ، ولا يبغض شيئاً إلا لله ، ولا يمطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله . فكأما قوي إخلاص حبه ودينه لله كملت عبوديته ، واستغناؤه عن المخلوقات . وبكمال عبوديته لله تكمل برأته من الكبر والشرك ، والشرك غالب على النصرارى ، والكبر غالب على اليهود . قال تعالى في النصرارى : ( اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون )<sup>(١)</sup> وقال في اليهود : ( أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففرقوا كذبتم وفريقاً تقتلون )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٨٤

سبيل الغي يتخذوه سبيلاً<sup>(١)</sup> .

ولما كان الكبر مستلزماً للشرك ، والشرك ضد الاسلام ، وهو

الذنب الذي لا يغفره الله قال تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر

مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً )<sup>(٢)</sup> .

وقال : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن

يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً )<sup>(٣)</sup> . كان الانبياء جميعهم مبعوثين

بدين الاسلام ، فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، لامن الاولين ، ولا

من الآخريين قال نوح : ( فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري

إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين )<sup>(٤)</sup> . وقال في حق

إبراهيم : ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد

اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم

قال أسلمت لرب العالمين - إلى قوله - فلا تخونن إلا وأنتم مسلمون )<sup>(٥)</sup> .

وقال عن يوسف : ( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين )<sup>(٦)</sup> . وقال عن

موسى : ( إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقلوا

على الله توكلنا )<sup>(٧)</sup> . وقال تعالى : ( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور

(١) سورة الاعراف ، الآية : ١٤٥ (٢) سورة النساء ، الآية : ٤٧

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٥ (٤) سورة يونس ، الآية : ٧٢

(٥) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٠ - ١٣٢

(٦) سورة يوسف ، الآية : ١٠١ (٧) سورة يونس ، الآية : ٨٤ ، ٨٥



يحكم بها النبيون الذين أسلموا المذنبين هادوا) (١). وقال عن بلقيس :  
 ( رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) (٢). وقال :  
 ( وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا  
 واشهد بأننا مسلمون ) (٣). وقال : ( إن الدين عند الله الإسلام ) (٤).  
 وقال : ( ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ) (٥). وقال تعالى :  
 ( أفغير دين الله يبغون ؛ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً  
 وكرهاً ) (٦).

فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً ، لأن الخلق جميعها  
 متعبدة له التبعيد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون  
 له مدبرون ، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً ، ليس لأحد من المخلوقات  
 خروج عما شاءه وقدّره وقضاه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو رب  
 العالمين ومليكهم ، يصرّفهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم  
 ومصورهم . وكل ماسواه فهو مربوب مصنوع مفطور ، فقير محتاج  
 معبّد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارئ المصور ،  
 وهو وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر له ،

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤

(٢) سورة النمل ، الآية : ٤٤

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١١٤

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب ، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضر ، بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه ، وإلى ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويعانمه . وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه ، ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه . قال تعالى : ( قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن - كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون )<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وإن يعسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يعسك بخير فهو على كل شيء قدير )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى عن الخليل : ( يا قوم إني بري مما تشركون إني وجهت وجهي الذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . وحاجته قومه قال أتحاجونني في الله وقد هدانا ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً - إلى قوله تعالى - : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون )<sup>(٣)</sup> .

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : يا رسول الله أينا

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ (٢) سورة الانعام ، الآية : ١٧

(٣) سورة الانعام ، الآيات : ٧٨ - ٨٢

لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال : « إنما هو الشرك » ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم » وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخاصين ، حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين . قال الله تعالى : ( وإذ أتى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين )<sup>(١)</sup> . فبين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماماً ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : ( إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين )<sup>(٢)</sup> . والأمة : هو معلم الخير الذي يؤتم به ، كما أن القدوة ، الذي يقتدى به<sup>(٣)</sup> . والله تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب ، وإمما بعث الأنبياء بعده بعلمته . قال تعالى : ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين )<sup>(٦)</sup> . وقال تعالى : ( وقالوا كونوا هوداً

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٤ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٠  
 (٣) الامة هنا : الجامع لصفات ومزايا من الهدى والخير لو وزعت في أمة  
 لو سمعتم ، وكذلك كان خاتم المرسلين محمد ﷺ .  
 (٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٣ (٥) سورة آل عمران ، الآية : ٦٨  
 (٦) سورة آل عمران ، الآية : ٦٧

أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين .  
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق  
ويعقوب والأسباط - إلى قوله - ونحن له مسلمون (١) .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ : « أن إبراهيم خير  
البرية » (٢) . فهو أفضل الأنبياء بعد النبي ﷺ ، وهو خليل الله تعالى .  
وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال :  
« إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » (٣) . وقال : « لو كنت  
متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم  
خليل الله » (٤) - بعني نفسه - وقال : « لاتبقين في المسجد خوذة إلا مدت  
إلا خوذة أبي بكر » (٥) وقال : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون  
القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » (٦) .  
وكل هذا في « الصحيح » وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من  
تمام رسالته ، فإن في ذلك تمام تحقيق مخالته لله التي أصابها محبة الله تعالى  
للعبد ومحبة العبد لله ، خلافاً للجهمية .

وفي ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ، رداً على  
أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين ببخسون الصديق رضي

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٥ ، ١٣٦ . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم . (٤) متفق عليه . (٥) متفق عليه . (٦) رواه مسلم .

الله عنه حقه ، وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكاً بعبادة علي وغيره من البشر .

والخلة : هي كمال المحبة المستنزمة من العبد كمال العبودية لله ، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الدل وكمال الحب ، فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان معبداً للمحبوب . والمتيم : المعبد ، وتيم الله : عبد الله ، وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم . ولهذا لم يكن له ﷺ من أهل الأرض خليل ، إذ الخلة لا تشمل الشركه ، فانه كما قيل لله المعنى :

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلاً بخلاف أصل الحب ، فانه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة : « اللهم إني أحبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما »<sup>(١)</sup> . وسأله عمرو بن العاص : « أي النساء أحب اليك ؟ فقال : عائشة . قال : فمن الرجال ؟ قال : أبوها »<sup>(٢)</sup> وقال لعلي رضي الله عنه : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، وبجبه الله ورسوله »<sup>(٣)</sup> وأمثال ذلك كثير .

(١) رواه البخاري بلفظ : « اللهم أحبهما فاني أحبهما » . وما أورده المؤلف فهو من رواية الترمذي في حق الحسن والحسين وفي سنده عبد الله بن أبي بكر ابن زيد بن المهاجر ، وهو مجهول ، كما في « التقريب » . (٢) متفق عليه .

وقد أخبر تعالى أنه : ( يحب المتقين )<sup>(١)</sup> و ( يحب المحسنين )<sup>(٢)</sup>  
و : ( يحب المقسطين )<sup>(٣)</sup> و : ( يحب التوابين ويحب المتطهرين )<sup>(٤)</sup>  
و : ( يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص )<sup>(٥)</sup>  
وقال : ( فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه )<sup>(٦)</sup> فقد أخبر بحبته  
لعبادته المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال : ( والذين آمنوا أشد حبا  
للَّهِ )<sup>(٧)</sup> .

أما الخلة فخاصة ، وقول بعض الناس : إن محمداً حبيب الله  
وإبراهيم خليل الله ، ووطن أن المحبة فوق الخلة ؛ فقول ضعيف ، فإن محمداً  
أيضاً خليل الله ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .  
وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب و خليل ، وأمثال ذلك ،  
فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة الله تعالى هي محبته ومحبة ما أحب ، كما في  
« الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد  
حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواها ، ومن كان

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥ وسورة المائدة ، الآية : ١٤

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٩ وسورة الممتحنة ، الآية : ٨

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢ (٥) سورة الصف ، الآية : ٤

(٦) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ (٧) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥

يجب المرء لا يحبهُ إلا الله، ومن كان يكرهه أن يرجع إلى الكفر بمد إذ أنقذه الله منه، كما يكرهه أن يلقى في النار،<sup>(١)</sup> أخبر النبي ﷺ أن من كان فيه هذه الثلاث؛ وجد حلاوة الايمان، لأن وجود الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً أو اشتهاه؛ إذا حصل له به مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى.

ومن قال: إن اللذة إدراك الملائم - كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء - فقد غلط في ذلك غلطاً يديناً، فإن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة، فإن الانسان مثلاً يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة تتبع النظر إلى الشيء، فإذا نظر إليه التذبه. واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر، وايست هي رؤية الشيء، بل تحصل عقيب رؤيته.

قال تعالى: ( وفيها ما نشتهيهِ الأَنفُسُ وتلذ الأَعين )<sup>(٢)</sup>. وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام: من فرح، وحزن، ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحجوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفس الشعور هو الفرح وبلا الحزن.

(١) رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧١

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن  
الواجد حلاوة الإيمان ، تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور :  
تكميل هذه المحبة ، وتعريفها ، ودفع ضدها .

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة  
الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله  
أحب إليه مما سواهما كما تقدم .

وتعريفها : أن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

ودفع ضدها : أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء  
في النار .

فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله ، وكان رسول  
الله ﷺ يحب المؤمنين الذين يحبهم الله ، لأنه أكمل الناس محبة لله ،  
وأحقرهم بأن يحب ما يحبه الله ، ويبغض ما يبغضه الله ، والخلافة ليس لغير  
الله فيها نصيب ، بل قال : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً  
لاتخذت أبا بكر خليلاً »<sup>(١)</sup> . علم مزيد مرتبة الخلافة على مطلق المحبة .

والمقصود : هو أن الخلافة والمحبة لله : تحقيق عبوديته ، وإنما يغلط  
من يغلط في هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط .  
لامحبة معه ، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء ، أو إذلال لا تحتمله



الربوبية ، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال: أمسكوا عن هذه المسألة لانسمعها للنفوس فتدعيها. وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية . وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق <sup>(١)</sup> ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجح <sup>(٢)</sup> ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري <sup>(٣)</sup> ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد . ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة ، حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله ، فيدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصح بكل وجه إلا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا المرسلين ، [ فضلاً عنهم ] .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ . وسببه : ضعف تحقيق العبودية التي يبينها الرسل ، وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته . وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة [ طائشة جاهلة ] ، انبسطت النفس بحمقها في ذلك ، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله . ويقول :

(١) الزنديق : هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان . (٢) المرجئة :

قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

(٣) الحرورية : هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه من حبسه بسبب

التحكيم ، وحاربوه عند قرية اسمها حروراء . (توحيد - ٣٩)

أنا محب ، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل .  
 فهذا عين الضلال ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : ( نحن أبناء  
 الله وأحباؤه )<sup>(١)</sup> . قال الله تعالى لهم : ( قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل  
 أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء )<sup>(٢)</sup> . فإن تعذبه لهم  
 بذنوبهم يقضي أنهم غير محبوبين ، ولا منسوبين إليه بنسبة البنوة ، بل  
 يقضي أنهم مربوبون مخلوقون . فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه .  
 ومحبوه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه : من الكفر ، والفسوق ،  
 والعصيان . ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغضه  
 ويبغض منه ذلك ، كما يحب عبده المؤمن ويحب منه ما يفعله من الخير  
 إذ أن حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه . ومن ظن أن الذنوب لا تضره  
 لكون الله يحبه مع إصراره عليها ، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم  
 لا يضره مع مداومته عليه ، وعدم تناوئه منه لصحة مزاجه . ولوتدبر  
 الأحمق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه ، وما جرى لهم من  
 التوبة والاستغفار ، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي كان فيه تمحيص  
 لهم وتطهير بحسب أحوالهم ، علم ضرر الذنوب بأصحابها ، ولو كان  
 أرفع الناس مقاماً ، فإن الحب للمخلوق إذا لم يكن حارفاً بمحابه ولا  
 صريداً لها ، بل يعمل بمقتضى الحب ، وإن كان جهلاً وظالماً ، كان ذلك

سبب بغض المحبوب له ، ونفوره عنه ، بل سبباً لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعاً من الجهل بالدين : إما من تعدي حدود الله ، وإما من تضييع حقوق الله ، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لاحقيقة لها ، كقول بعضهم : أي مريد لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه . فقال الآخر : أي مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء .

فالأول : جعل مریده يخرج كل من في النار . والثاني : جعل مریده يمنع من دخول النار .

ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد .

وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين . وهي إما كذب عليهم ، وإما غلط منهم .

ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الانسان ، أو يضعف حتى لا يدري ما قال . والسكر لذة مع عدم تمييز . ولهذا كان من هؤلاء من إذا ضحا استغفر من ذلك الكلام ، والدين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والمذم والفرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فان هذا الجنس يحرك ما في القلب من الحب كأنما ما كان ، ولهذا أنزل الله محبته يتمحن

بها المحب . فقال : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )<sup>(١)</sup> فلا يكون محباً لله إلا من يتبع رسوله . وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية . وكثير ممن يدعي المحبة يخرج عن شريعته وسننه ﷺ ، ويدعي من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع للذكره . حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسننه وطاعته ، بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد في سبيله والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به ، وكمال بغض ما نهى الله عنه ، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ( أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم )<sup>(٢)</sup> .

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها ، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك : هم أصحاب محمد ﷺ ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل . فأين هذا من قوم يدعون المحبة ؟ وسمعوا كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ما سوى مراد المحبوب ، وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء ، حتى

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود ، بل لا يمكن أن يحب إلا ما بلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيه ويضره ، ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماساً في أهوائهم وشهواتهم ، فهم يحبون ما هو وونه ، كالصور ، والرئاسة ، وفضول المال ، والبدع المضلة ، زاعمين أن هذا من محبة الله ، وكذبوا وضلوا ، فان محبة الله لا تكون إلا ببغض ما يبغضه الله ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد الله تعالى ، الإرادة الكونية في كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن بالله وكتبه ورسله ، من غير هؤلاء الصوفية مثل هذه المقالة ، فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب لله ، وهذا معنى صحيح ، فإن من تمام الحب لله ؛ أن لا يحب إلا ما يحبه الله ، فاذا أحببت ما لا يحب ؛ كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه وبسخطه وينهى عنه ، فإن لم أوافق في بغضه وكرهه وسخطه ، لم أكن محباً له ، بل محباً لما يبغضه ،

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين

أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدعي محبة الله ناظراً إلى عموم ربوبيته ، أو متبعاً لبعض البدع المخالفة لشريعته ، فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرأ من دعوى اليهود والنصارى ، لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار ، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شرأ من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم .

وفي التوراة والإنجيل من الترغيب في محبة الله ما هم متفقون عليه ، حتى إن ذلك عندم أعظم وصايا التاموس .

في الإنجيل : أعظم وصايا المسيح : أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك ، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة ؛ هو من ذلك ، وهم براء من محبة الله ، إذ لم يتبعوا ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم . والله يبغض الكافرين ويمقتهم وبلغهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه . لا يمكن أن يكون العبد محباً لله ، والله تعالى غير محب له ، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم . كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : « من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ،

ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصابرين ،  
ويحب التوَّابين، ويحب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به  
من واجب ومستحب ، كما في الحديث الصحيح : « لا يزال عبدي  
يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع  
به ، وبصره الذي يبصر به »<sup>(٢)</sup>... الحديث . وكثير من المخطئين  
الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقموا فيما وقع فيه النصارى  
من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته ، وترك المجاهدة في سبيله ،  
ونحو ذلك ، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى ربهم  
بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التي  
لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً ، فيجعلون  
متبوعهم وشيوخهم شارعين لهم ديناً ، كما جعل النصارى قسيسيهم  
ورهبانهم شارعين لهم ديناً . ثم إنهم ينتقصون العبودية ، ويدعون أن  
الخاصة بتعدونها ، كما يدعي النصارى في المسيح والقساوسة ، ويثبتون

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن

رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع .

لخاصتهم من المشاركة في الله ، من جنس ما تثبته النصراني في المسيح وأمه والقسيسين والرهبان ، إلى أنواع آخر يطول شرحها في هذا الموضوع .

وإنما الدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لله ، وتكمل محبة الرب لعبده . وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما كان في القلب حب لغير الله ، كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يراده وجه الله فهو باطل . فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ، ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع .

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله ، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله ، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين : أن يكون لله ، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )<sup>(١)</sup> فلا بد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولا بد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى ، كما قال تعالى : ( على من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم



يخزنون»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإِنما لكل امرئ ما نوى؛

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ، واليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث : « هو في هذه الأمة أخفى من ديب النمل »<sup>(٤)</sup> وفي حديث آخر : « قال أبو بكر : يا رسول الله ، كيف نجو منه ، وهو أخفى من ديب النمل ؟ فقال النبي ﷺ لا بني بكر : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٢

(٢) رواه أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) رواه البزار بلفظ : « الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا » .

وفي سننه عبد الأعلى بن أعين ، وهو ضعيف .

من دِقِّهِ وجِلِّهِ . قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ،  
وأستغفرك لما لا أعلم <sup>(١)</sup> ، وكان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي  
كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

و كثيراً ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد  
عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له ، وإخلاص دينها له ، كما قال شدّاد  
ابن أوس : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم  
الرياء والشهوة الخفية . وقيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة  
الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « ما ذئبان جائعان  
أرسلتا في غم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » <sup>(٢)</sup> .

قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فبيّن ﷺ أن الحرص  
على المال والشرف ، [ في إفساد الدين ] ، لا ينقص عن إفساد  
الدينين الجائعين لزريعة الغم ، فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا  
الحرص ، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبودية الله ومحبته له ، لم يكن  
شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف - عن أهل

(١) رواه أبو يعلى بمعناه عن شيخه عمرو بن الحصين القرظي ، وهو متروك ، كما قال  
الهيثمي في «المجمع» . (٢) رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى . وقال المنذري : إسناده  
جيد ، وقد كتب الحافظ ابن رجب في هذا الحديث رسالة قيمة أدرجت في كتاب  
« جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر .

الاخلاص لله - السوء والفحشاء ، كما قال تعالى : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين )<sup>(١)</sup> فان المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا أسر ولا أنهم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له ، وإخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله ، فيصير القلب منيباً إلى الله ، خائفاً منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : ( من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب )<sup>(٢)</sup> إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه ، فلا يكون عبد الله ومحبه ، إلا بين خوف ورجاء ، كما قال تعالى : ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً )<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباها ربه ، فأحبه قلبه واجتذبه إليه ، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله ، فان فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ، كالفصن ،

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٤ (٢) سورة ق ، الآية : ٣٣

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٥٧

أي نسيم مرَّ به عطفه وأماله . فتاره تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ،  
 فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذهُ هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذمّاً .  
 وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتفضيه الكلمة ،

ويستعبده من يشي عليه ولو بالباطل ، ويعادي من يذمه ولو بالحق .  
 وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التي  
 تستعبد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتخذ إلهه هواه ، ويتبع هواه  
 بغير هدى من الله

ومن لم يكن محباً مخلصاً لله ، عبداً له ، قد صار قلبه معبداً لربه  
 وحده لا شريك له ، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ،  
 ويكون ذليلاً له خاضعاً ، وإلا استعبده الكائنات ، واستولت على  
 قلبه الشياطين ، وكان من الغاوين إخوان الشياطين ، وصار فيه من  
 السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه .  
 فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه ، كان  
 مشركاً : ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا  
 تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين  
 إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين  
 فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون ) (١) .

وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء  
المخلصين أهل محبة الله وعبادته ، وإخلاص الدين له ، كما جعل فرعون  
وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم . قال تعالى في إبراهيم :  
( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة  
يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة  
وكانوا لنا عابدين )<sup>(١)</sup> . وقال في فرعون وقومه : ( وجعلناهم أئمة يدعون  
إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون . وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ويوم  
القيامة هم من المقبوحين )<sup>(٢)</sup> . ولهذا يصير أتباع فرعون أولاً إلى أن  
لا يميزون بين ما يحبه الله ويرضاه ، وبين ما قدره وقضاه ، بل ينظرون  
إلى المشيئة المطلقة الشاملة ، ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق  
والمخلوق ، بل يحملون وجود هذا وجود هذا . ويقول محققوم :  
الشريعة فيها طاعة ومعصية ، والحقيقة فيها معصية بلاطاعة ، والتحقيق  
ليس فيه طاعة ولا معصية . وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقومه  
الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى ، وما أرسله به من  
الأمر والنهي .

(١) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٧٢ ، ٧٣

(٢) سورة القصص ، الآيتان : ٤١ ، ٤٢

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم، فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق، ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية، وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً لهذا الفرق، ازدادت محبته لله وعبوديته له، وطاعته له، وإعراضه عن عبادة غيره ومحبته غيره، وطاعة غيره. وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه. والخليل يقول: (أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآبائكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)<sup>(١)</sup>. ويتمسكون بالمتشابهة من كلام المشايخ كما فعلت النصارى.

مثال ذلك: اسم «الفناء» فإن الفناء ثلاثة أنواع: نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمناققين الملحدين المشبهين.

فأما الأول: فهو الفناء عن إرادة ماسوى الله، بحيث لا يجب إلا الله، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب من غيره. وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال: أريد أن لا أريد إلا ما يريد، أي المراد المحبوب المرضي. وهو المراد بالإرادة الدينية. وكال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ما أَرَادَهُ اللهُ ورضيه وأحبه، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، ولا يجب إلا ما يحبه الله،

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٧٧

كالملائكة والأنبياء والصالحين، وهذا معنى قولهم في قوله تعالى: (إلا من أتى الله بقلب سليم)<sup>(١)</sup>. قالوا: هو السليم مما سوى الله، أو مما سوى عبادة الله، أو مما سوى إرادة الله، أو مما سوى محبة الله، فالمعنى واحد. وهذا المعنى إن سمي فناء، أو لم يسم؛ هو أول الإسلام وآخره، وباطن الدين وظاهره.

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السوى، وهذا يحصل لكثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ماتعبد، وترى غير ماتقصد، لا يخطر بقلوبهم غير الله، بل ولا يشعرون به. كما قيل في قوله تعالى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها)<sup>(٢)</sup>. قالوا: فارغاً من كل شيء، إلا من ذكر موسى. وهذا كثير أ ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور، إما حب، وإما خوف، وإما رجاء، يبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء، إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه؛ بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره، فإذا قوي على صاحب الفناء هذا، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، حتى يفنى من لم يكن، وهي المخلوقات، العبد فمن سواه، ويبقى من لم يزل، وهو

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٩ (٢) سورة القصص، الآية: ١٠

الرب تعالى والمراد فناؤها في شهود العبد وذكره ، وفناؤه عن أن يذكرها أو يشهدا وإذا قوي هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب في تمييزه ، فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أن رجلاً ألقى نفسه في اليم ، فألقى محبه نفسه خلفه . فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خافي ؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . وهذا الموضوع زلت فيه أقدام أقوام ، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبوب ، حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما .

وهذا غلط ، فإن الخالق لا يتحد به شيء أصلاً ، لأنه ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير )<sup>(١)</sup> . وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، إلا إذا استحالا وفسدت حقيقة كل منهما ، وحصل من اتحادهما أمر ثالث ، لاهو هذا ولا هذا ، كما إذا اتحد الماء واللبن ، والماء والحجر ، ونحو ذلك . ولكن يتحد المراد والمحبوب ، والمراد والمكروه ، وينفقان في نوع الإرادة والكرهية فيحب هذا ما يحب هذا ، ويبغض هذا ما يبغض هذا ، ويرضى ما يرضى ، ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره ، ويوالي من يوالي ، ويمادي من يمادي وهذا الفناء كله فيه نقص

وأكابر الأولياء ، كأبي بكر وعمر ، والسابقين الأولين من



المهاجرين والأنصار، لم يقموا في هذا الفناء، فضلاً عن هو فوقهم من الأنبياء. وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة. وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولاً، وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم، أو يحصل لهم غشي أو ضيق أو سكر، أو فناء، أو ولّه، أو جنون، وإنما كان مبادئ هذه الأمور في التابعين من عبّاد البصرة، فإنه كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن، ومنهم من يموت، كأبي جهير الضير، وزرارة ابن أبي أوفى قاضي البصرة. وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالط فيه، كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد<sup>(١)</sup> وأبي الحسن النوري، وأبي بكر الشبلي، وأمثالهم، بخلاف أبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والفضيل بن عياض، بل وبخلاف الجنيد وأمثاله، ممن كانت عقولهم وتميزهم يصحّبهم في أحوالهم، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه، بل الكمل [من المؤمنين الذين لا يهتدون إلا بهدي الكتاب والسنة] لا يكون في قلوبهم سوى محبة الله وإرادته وعبادته، لأنّ عندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه، بل يشهدون المخلوقات

قائمة بأمر الله ، مدبرة بمشيئته ، بل مسبحة له ، قانتة له . فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممدداً لما في قلوبهم من إخلاص الدين ، وتجريد التوحيد لله ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هي الحقيقة التي دعا إليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الإيمان والكمال من أهل العرفان ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به إلى السموات وعان ما هنالك من الآيات ، وأوحى إليه ربه من أنواع المناجاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك ، بخلاف ما كان يظهر على موسى من التعشي صلى الله [ وسلم ] عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء . فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، فلا فرق بين الرب والعبد ، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد ، الواقفين في الحلول والاتحاد ، وهذا يبرأ منه المشايخ [ المستقيمون على هدي الكتاب والسنة ، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فإنهم ] إذا قال أحدهم : ما أرى غير الله أو لا أنظر إلى غير الله ونحو ذلك ، فرادهم بذلك ما أرى رباً غيره ، ولا خالقاً ولا مدبراً غيره ، ولا إلهاً لي غيره ، ولا أنظر إلى غيره محبة له أو خوفاً منه أو رجاء له ، فإن العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب فمن أحب

شيثاً أو رجاء أو خافه التفت إليه . وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له، ولا خوف منه، ولا بنض له، ولا غير ذلك من تعلق القلب له، لم يقصد القلب أن يلتفت إليه، ولا أن ينظر إليه، ولا أن يراه، وإن رآه اتفاقاً رؤبة مجردة، كان كما لورأى حائطاً ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به .

والمشايع والصالحون رضي الله عنهم يذكرون شيثاً من تجريد التوحيد الربانية وتحقيق إخلاص الدين كله، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً إلى غير الله، ولا ناظراً إلى ما سواه، لا حباً له ولا خوفاً منه ولا رجاء له، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات، خالياً منها، لا ينظر إليها إلا بنور الله .

فبالحق يسمع، وبالحق يبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشي . فيحب منها ما يحبه الله، ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالي منها ما والاه الله، ويبغض منها ما يبغضه الله، ويخاف الله فيها، ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها، ولا يرجوها في الله، فهذا هو القلب السليم الخفيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم .

فهذا النوع الثالث - الذي هو الغناء في الوجود - هو تحقيق آل فرعون ومعرفةهم وتوحيدهم، كالقراطة وأمثالهم [من كل من يدين

بوحدة الوجود الذين نطق عنهم الحلّاج وابن عربي وابن الفارض وابن  
سبعين والعفيف التلمساني].

وأما النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو التحقيق المحمود، الذي  
يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين،  
وجنده الغالبين.

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول، أن الذي أراه بعيني  
من المخلوقات: هو رب الأرض والسموات، فإن هذا لا يقوله إلا من  
هو في غاية الضلال والفساد: إما فساد العقل، وإما فساد الاعتقاد.  
فهو متردد بين الجنون والاحقاد. وكل المشايخ الذين يقتدى بهم في  
الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، من أن الخالق  
سبحانه مبين للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته  
شيء من مخلوقاته. وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييز الخالق  
عن المخلوق، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا. وهم  
قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات، فإن  
بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات، فيظنه خالق الأرض  
والسموات، لعدم التمييز والفرقان في قلبه - بمنزلة من رأى شعاع  
الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء. وهم قد يتكلمون

في الفرق والجمع ، ويدخل في ذلك من العبارات المختلفة نظير ما دخل في الفناء .

فإن العبد إذا شهد للتفرقة والكثرة في المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقاً بها مشتتاً ناظراً إليها ، وتعلقه بها ؛ إما محبة ، وإما خوفاً ، وإما رجاء ، فإذا انتقل إلى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه إلى الله بعد التفاته إلى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانة بربه ، وهو في هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر إلى المخلوق ، ليفرق بين الخالق والمخلوق [ فقد يكون مجتمعاً على الحق ، معرضاً عن الخلق ، نظراً وقصداً ] وهو نظير النوع الثاني من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثاني ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة بالله ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معدومة بوحداية الله سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات وإآتهم ، وخالقها ومالكها ، فيكون - مع اجتماع قلبه على الله إخلاصاً ومحبة وخوفاً ورجاء واستعانة وتوكلاً على الله وموالاته فيه ، ومعاداة فيه ، وأمثال ذلك - ناظراً إلى الفرق بين الخالق والمخلوق ، مميّزاً بين هذا وهذا ، يشهد في تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذي لا إله إلا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب في علم

القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب وعبادته ، وقصده وإرادته ، ومحبه وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها تنفي عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وتثبت في قلبه ألوهية الحق .

فيكون نافياً لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتاً لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسموات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على الله ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقاً في علمه وقصده ، في شهادته وإرادته ، في معرفته ومحبه : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً بالله تعالى ، ذاكر له ، عارفاً به ، وهو مع ذلك عالم بمبانيته خلقه ، وانفراده عنهم ، وتوحيده دونهم ، ويكون محباً لله ، معظماً له ، عابداً له ، راجياً له ، خائفاً منه ، محباً فيه ، موالياً فيه ، معادياً فيه ، مستعيناً به ، متوكلاً عليه ، ممتنعاً عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاته فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهية الله سبحانه وتعالى . وإقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه ، يتضمن إقراره بربوبيته ، وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره ، فحينئذ يكون موحداً لله .

وذلك يبين أن أفضل الذكر « لا إله إلا الله » كما رواه

الترمذي ، وابن أبي الدنيا ، وغيرهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال :  
« أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »<sup>(١)</sup> .

وفي « الموطأ » وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كثير أن النبي ﷺ قال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير »<sup>(٢)</sup> .

ومن زعم أن هذا ذكر العامة ، وأن ذكر الخاصة : هو الاسم المفرد ، وذكر خاصة الخاصة : هو الاسم المضمّر ، فهم ضالتون ضالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : ( قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون )<sup>(٣)</sup> من أين غلط هؤلاء ، فإن الاسم [الله] مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله : ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ) - إلى قوله - : ( قل الله )<sup>(٣)</sup> أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، فالاسم [الله] مبتدأ ، خبره قد دل عليه الاستفهام ، كما في نظائر ذلك ، يقال : من جاءك ؟ فنقول : زيد .

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً ، فليس بكلام تام ، ولا جملة

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وهو حديث حسن . والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي . (٢) رواه مالك في « الموطأ » ، مراسلاً ، ورواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . (٣) سورة الأنعام ، الآية : ٩١

مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي .

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالاً نافعاً ، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات .

فإن لم يقترب به من معرفة القلب وحاله ، ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه ، لا ما تكون الفائدة حاصله بغيره .

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وب : هو ، في فنون من الاحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : أخاف أن أموت بين النبي والاثبات ، حال لا يقندي فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به ، إذ لو مات العبد في هذه الحال ، لم يمت إلا على ما قصده ونواه ، إذ الأعمال بالنيات : وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت : « لا إله إلا الله »<sup>(١)</sup> ، وقال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »<sup>(٢)</sup> ، ولو كان ما ذكره محذوراً ، لم يلحق الميت كلمة

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) رواه أبو داود ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .



يخاف أن يموت في أناسها موتاً غير محمود ، بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد .

والذكر بالاسم المضمر [ أو ] المفرد ، أبعده عن السنة ، وأدخل في البدعة ، وأقرب إلى ضلال الشيطان ، فإن من قال : يا هو يا هو ، أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدي وقد يضل<sup>(١)</sup> .

[ وقد صنّف صاحب « الفصوص »<sup>(٢)</sup> كتاباً سماه كتاب « الهو » وزعم بعضهم أن قوله : ( وما يعلم تأويله إلا الله )<sup>(٣)</sup> معناه : وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو الهو ، وهذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل ، فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء ، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل « هو » منفصلة .

ثم كثيراً<sup>(٤)</sup> ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتاج على قول القائل : « الله » بقوله : ( قل الله ، ثم ذرهم )<sup>(٥)</sup> ويظن أن الله أمر نبيه بأف يقول الاسم المفرد ، وهذا غلط باتفاق أهل العلم ، فإن قوله : ( قل الله ) ، معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ،

(١) إلى هنا انتهت النسخة الهندية التي طبعنا عليها ، وما زاد إلى آخر الكتاب إنما هو من بعض النسخ المطبوعة . (٢) هو محيي الدين بن عربي . (٣) سورة آل عمران ، الآية : ٧ . (٤) في هذا الكلام تكرار لبعض ما سبق . (٥) سورة الأنعام ، الآية : ٩١ .

وهو جواب لقوله : ( قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ؟ قل : الله )<sup>(١)</sup> أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، والكلام رد لقول من قال من المكذبين لرسول الله : ( ما أنزل الله على بشر من شيء )<sup>(٢)</sup> فقال : ( من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ؟ )<sup>(٣)</sup> ثم قال : ( قل الله ) أنزله ، ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون .

ومما يبين ما تقدم ، ما ذكره سيدي به وغيره من أئمة النحو : أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لا يحكون به ما كان قولاً . فالقول لا يحكى به إلا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ، ولهذا يكسرون « إن » إذا جاءت بعد القول ، فالقول لا يحكى به اسم ، والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع المسلمين ذكر أبا باسم مفرد مجرد والاسم المجرد لا يفيد شيئاً من الأيمان باتفاق أهل الاسلام ، ولا يؤمر به في شيء من العبادات ، ولا في شيء من المخاطبات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد : ما يذكر أن بعض الأعراب صر بمؤذن يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله » فقال : ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذي يتم به الكلام ؟

وما في القرآن من قوله. (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً)<sup>(١)</sup> وقوله: (سبح اسم ربك الأعلى)<sup>(٢)</sup>. وقوله: (قد أفلح من تركى . وذكر اسم ربه فصلى)<sup>(٣)</sup>. وقوله: (فسبح باسم ربك العظيم)<sup>(٤)</sup>. ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً .

بل في «السنن» أنه لما نزل قوله: (فسبح باسم ربك العظيم)<sup>(٥)</sup>. قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزل قوله: (سبح اسم ربك الأعلى)<sup>(٦)</sup>. قال: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(٧)</sup>. فشرع لهم أن يقولوا في الركوع: «سبحان ربي العظيم». وفي السجود: «سبحان ربي الأعلى» .

وفي «الصحيح» أنه كان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم». وفي سجوده: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(٨)</sup>. وهذا معنى قوله: «اجعلوها في ركوعكم وسجودكم». باتفاق المسلمين . فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك: هو بالكلام التام المفيد، كما في «الصحيح»

(١) سورة المزمل ، الآية : ٨ (٢) سورة الأعلى ، الآية : ١

(٣) سورة الأعلى ، الآيتان : ١٤ ، ١٥ (٤) سورة الواقعة ، الآية : ٧٤

(٥) سورة الواقعة ، الآيتان : ٧٤ ، ٩٦ وسورة الحاقة ، الآية : ٥٢

(٦) سورة الأعلى ، الآية : ١

(٧) رواه أحمد في «المسند» وأبو داود وابن ماجه .

(٨) الذي في «الصحيح» بلفظ: «سبح قدوس رب الملائكة والروح» ،

وأما هذا فرواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وهو صحيح .

عنه ﷺ أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (١) .

وفي « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » (٢) .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « من قال في يومه مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه » (٣) . و « من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده ، سبحان العظيم حطت عنه خطاياها ، ولو كانت مثل زبد البحر » (٤) .

وفي «الموطأ» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » (٥) . وفي «سنن ابن ماجه» وغيره عنه

- 
- (١) رواه مسلم بلفظ : « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله .. » ورواه ابن حبان بلفظ « أفضل الكلام » وجملة : بعد القرآن ليست عندهما .  
 (٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . (٣) رواه البخاري ومسلم .  
 (٤) رواه البخاري ومسلم . (٥) رواه مالك مراسلاً والترمذي وتقدم .

ﷺ أنه قال: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»<sup>(١)</sup>.  
ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء،  
وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى: (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم  
الله عليه)<sup>(٢)</sup>. وقوله: (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله  
عليه)<sup>(٣)</sup>. وإنما هو قول: باسم الله. وهذا جملة تامة، إما اسمية، على  
أظهر قولي النحاة، أو فعلية. والتقدير: ذبحي باسم الله، أو أذبح باسم  
الله. وكذلك قول القاري: «بسم الله الرحمن الرحيم». فتقديره:  
قراءتي باسم الله، أو أقر باسم الله. ومن الناس من يضم في مثل هذا:  
ابتدائي باسم الله، أو ابتدأت باسم الله، والأول أحسن، لأن الفعل  
كله مفعول باسم الله، ليس مجرد ابتدائه، كما أظهر المضمرة في قوله:  
(اقرأ باسم ربك الذي خلق)<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: (باسم الله مجراها  
ومرساها)<sup>(٥)</sup>. وفي قول النبي ﷺ: «من كان ذبح قبل الصلاة  
فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح فليذبح باسم الله»<sup>(٦)</sup>. ومن  
هذا قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لريبه عمر بن أبي سلمة:

(١) رواه الترمذي، وهو حديث حسن.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٢١ (٣) سورة المائدة، الآية: ٥

(٤) سورة الاعلى، الآية: ١ (٥) سورة هود، الآية: ٤١

(٦) رواه البخاري ومسلم.

« يا غلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك »<sup>(١)</sup> . فالمراد أن يقول : باسم الله ، ليس المراد أن يذكر الاسم مجرداً . وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل »<sup>(٢)</sup> . وكذلك قوله **سُبْحَانَكَ** : « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند خروجه ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء »<sup>(٣)</sup> . وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم : من ذكر الله تعالى ، وإنما هو بالجملة التامة ، كقول المؤذن : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . وقول المصلي : الله أكبر ؛ سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى ، سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات لله . وقول الملبى : لبيك اللهم لبيك . وأمثال ذلك .

فجمع ما شرعه الله من الذكر ، وإنما هو كلام تام ، لا اسم مفرد ، لا مظهر ولا مضمَر .

وهذا هو الذي يسمى في اللغة : كلمة ، كقوله : « كلمتان خفيفتان

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله  
وبحمده ، سبحان الله العظيم»<sup>(١)</sup>. وقوله : « أفضل كلمة قالها الشاعر :  
كلمة لييد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل»<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله تعالى : ( كبرت  
كلمة تخرج من أفواههم )<sup>(٣)</sup> الآية . وقوله : ( وتمت كلمة ربك صدقا  
وعدلاً )<sup>(٤)</sup>.

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ : « الكلمة » . من الكتاب  
والسنة ، بل وسائر كلام العرب ، إنما يراد به الجملة التامة ، كما كانوا  
يستعملون الحرف في الاسم ، فيقولون : هذا حرف غريب ؛ أي :  
لفظ الاسم غريب .

وقسم سيبويه الكلام إلى : اسم وفعل وحرف . جاء لمعنى ليس  
باسم ولا فعل ، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفاً . لكن خاصة  
الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وسمى حروف الهجاء  
باسم الحرف ، وهي أسماء .

ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها ، كما قال النبي ﷺ  
« من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، أما أني

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥

(٤) سورة الانعام ، الآية : ١١٥

لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»<sup>(١)</sup>  
 وقد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد،  
 فقالوا: زاي . فقال: جنم بالاسم، وإنما الحرف: «ز» .  
 ثم إن النحاة اصطَلحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف،  
 يسمى كلمة، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل،  
 كحروف الجر ونحوها .

وأما ألفاظ حروف الهجاء، فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف  
 من اللفظ، وتارة باسم ذلك الحرف، ولما غلب هذا الاصطلاح صار  
 يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة  
 في اللغة لفظاً مشتركاً بين الاسم مثلاً، وبين الجملة، ولا يُعرف في  
 صريح اللغة من لفظ «الكلمة» إلا الجملة التامة .

والمقصود هنا: أن المشروع في ذكر الله سبحانه، هو ذكره  
 بجملة تامة، وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي  
 ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله  
 ومعرفته، ومحبهه وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية، والمقاصد  
 السامية .

(١) رواه الترمذي بلفظ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ...»  
 وقال: حديث حسن صحيح غريب .



وأما الاقتصار على الاسم المفرد؛ مظهراً أو مضمراً، فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة، من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع.

وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع، كما قال تعالى: ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )<sup>(١)</sup> وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله. في الأولى: أن لا نعبد إلا إياه.

وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره.

وقد بيّن ﷺ لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة. قال تعالى: ( بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون )<sup>(٢)</sup> وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله،

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠ (٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢

ولا نستعين إلا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله ، فكذلك نحن  
مأمورون أن نتبع الرسول ونظيمه ، وتأنسى به .

فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرّمه ، والدين ما شرعه قال تعالى :

( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من

فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون )<sup>(١)</sup> فجعل الإيتاء ، لله وللرسول ، كما

قال : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )<sup>(٢)</sup> وجعل

التوكل على الله وحده بقوله : ( وقالوا حسبنا الله )<sup>(١)</sup> ولم يقل : ورسوله ،

كما قال في وصف الصحابة رضي الله عنهم : ( الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم

الوكيل )<sup>(٣)</sup> ومثله قوله : ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتّبعك من

المؤمنين )<sup>(٤)</sup> أي حسبك وحسب المؤمنين ، كما قال : ( أليس الله بكاف

عبده )<sup>(٥)</sup> ثم قال : ( وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله )<sup>(١)</sup> فجعل

الإيتاء ، لله وللرسول ، وقدم ذكر الفضل لله ، لأن الفضل بيد الله

يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وله الفضل على رسوله وعلى

المؤمنين . وقال : ( إنا إلى الله راغبون )<sup>(١)</sup> فجعل الرغبة إلى الله وحده ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٦٤

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٣٦

كما في قوله : ( فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب )<sup>(١)</sup> .  
وقال النبي ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا  
استعنت فاستعن بالله »<sup>(٢)</sup> والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع .  
فجعل العبادة والخشية والتقوى لله ، وجعل الطاعة والمحبة لله  
ورسوله ، كما في قول نوح عليه السلام : ( أن اعبدوا الله واتقوه  
وأطيعون )<sup>(٣)</sup> وقوله : ( ومن بطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقنه  
فأولئك هم الفائزون )<sup>(٤)</sup> وأمثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة إليه ، والتوكل عليه  
وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا  
بالله وعصوا الرسول ، فاتخذوا أجبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله  
والمسيح بن مريم ، فجعلوا يرغبون إليهم ويتوكلون عليهم ، ويسألونهم  
مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لسننهم ، وهدى الله المؤمنين المخلصين  
لله ، أهل الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا  
من المفضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم لله وأسلموا  
وجوههم لله ، وأناجوا إلى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ،  
ورغبوا إليه . وفوضوا أمورهم إليه ، وتوكلوا عليه ، وأطاعوا رسله ،

(١) سورة الانشراح ، الآيات : ٨٠٧

(٢) رواه أحمد، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وهو حسن لغيره .

(٣) سورة نوح ، الآية : ٣ (٤) سورة النور ، الآية : ٥٢

وعزّروهم<sup>(١)</sup> ووقروهم ، وأحبوهم ووالوهم ، واتبعوهم واقفوا آثارهم ،  
واهتدوا بمنارهم

وذلك هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين  
من الرسل ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً إلا إياه ، وهو  
حقيقة العبادة لرب العالمين .

فنسأل الله العظيم أن يثبتنا عليه : ويكمله لنا ويميتنا عليه ، وسائر  
إخواننا المسلمين .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم<sup>(٢)</sup> .



(١) أي عظموم .

(٢) من الصفحة (١٩٥) إلى هنا ، كله زيادة - على النسخة الهندية - من بعض  
النسخ المطبوعة .

# الْفِرْقَانَا

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونموذ بالله من شرور  
 أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل  
 فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن  
 محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله  
 وكفى بالله شهيداً . أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى  
 الله باذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ،

وأرشد به من النفي ، وفتح به أعينا عمياً ، وآذاناً صمًا ، وقلوباً غلفًا ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والنفي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان .

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن الله أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) <sup>(١)</sup> وقال تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) <sup>(٢)</sup> وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض

(١) سورة يونس ، الآيات : ٦٢ - ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فحسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الدين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم؟ حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون<sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً )<sup>(٢)</sup> .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٥٦ - ٥٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٤

(٣) سورة النحل ، الآيات : ٩٨ - ١٠٠ .

ضعيفاً) <sup>(١)</sup> . وقال تعالى : ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلاً ) <sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ) <sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ) <sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : ( إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون . وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ) <sup>(٥)</sup> إلى قوله : ( إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ) <sup>(٦)</sup> وقال تعالى : ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ) <sup>(٧)</sup> وقال الخليل عليه السلام : ( يا أبت إني أخف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ) <sup>(٨)</sup> وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٥٠

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٩

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ١٧٣ - ١٧٥

(٥) سورة الأعراف ، الآيات : ٢٧ ، ٢٨ (٦) سورة الأعراف ، الآية : ٣٠

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ . (٨) سورة مريم ، الآية : ٤٥



أولياء تلقون إليهم بالمودة<sup>(١)</sup> الآيات إلى قوله : (إنك أنت العزيز الحكيم)<sup>(٢)</sup> .

## فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الله ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)<sup>(٣)</sup> .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني<sup>(٤)</sup> بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلي

(١) سورة المتحنة ، الآية : ١ ، وتامها : ( وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ) . (٢) سورة المتحنة ، الآية : ٥

(٣) سورة يونس ، الآيتان : ٦٢ ، ٦٣ (٤) لفظ « المبارزة » لم يرد في صحيح البخاري ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة ، والحديث في « البخاري » مروى في كتاب « الرقائق باب التواضع » ولفظه : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » ... وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلي على هذا الحديث في « جامع العلوم والحكم » فليراجع .

( توحيد - ٤٢ )

عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . « ولئن سألتني لآعطينه ، وإن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي : عن قبض نفس عبدى المؤمن ، بكره الموت وأكره مساءته . ولا بد له منه » وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين النبي ﷺ أنه من عادى ولياً لله فقد بارز الله في المحاربة .

وفي حديث آخر : « [و]إني لأتأر لأوليائي كما يتأر الليث الحرب » أي : آخذ تأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب تأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأصروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله <sup>(١)</sup> » وفي حديث آخر رواه أبو داود وقال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل

(١) حديث حسن أخرجه أحمد في « المسند » عن البراء والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود .

الإيمان»<sup>(١)</sup>.

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته لطاعات ، أي متابعتها لها ، والأول أصح . والولي : القريب ، يقال : هذا يلي هذا ، أي : يقرب منه . ومنه قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلا ولي رجل ذكر »<sup>(٢)</sup> أي لا أقرب رجل إلى الميت ووكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والإناث ، كما قال في الزكاة : « فابن لبون ذكر »<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معادياً له ، كما قال تعالى : ( لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة )<sup>(٤)</sup> فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « ومن عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » .

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس . (٣) هذا اللفظ جاء في رواية أبي داود عن أبي بكر ونصه : « فيما دون خمس وعشرين من الأبل والغنم ، في كل خمس ذود شاة ، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين فإن لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر » . ورواه النسائي والبخاري عنه . (٤) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

وأفضل أولياء الله هم أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،  
وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد  
ﷺ . قال تعالى : ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا  
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا  
فيه )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح  
 وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . ليسأل  
الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً )<sup>(٢)</sup> .

وأفضل أولي العزم : محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد  
 ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، صاحب  
 المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ،  
 وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب  
 الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع  
 دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولائته من  
 الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقاً ، وأول  
 الأمم بعثاً ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نحن الآخرون  
 السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٣ (٢) سورة الأحزاب ، الآيات : ٧ ، ٨

من بعدهم ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني يوم الجمعة - فهذانا  
الله له : الناس لنا تبع فيه ، غدا لليهود ، وبعد غد للنصارى ،<sup>(١)</sup> .

وقال ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض »<sup>(٢)</sup> . وقال ﷺ :  
« آتي باب الجنة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد .  
فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »<sup>(٣)</sup> .

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة ، ومن حين بعثه الله جعله  
الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن  
به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته  
وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله  
وأولياء الشيطان . قال تعالى : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم  
الله )<sup>(٤)</sup> قال الحسن البصري رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله ،  
فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ، أن من اتبع الرسول  
فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ ، فليس من  
أولياء الله ؛ وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم ، أو في غيرهم ،  
أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى  
يدعون أنهم أولياء الله [ وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يدعون

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . (٢) رواه الترمذي  
وأبو داود ، ومسلم بمناه . (٣) رواه مسلم في « صحيحه » عن أنس .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٣١

أنهم أبناءؤه] وأحباؤه . قال تعالى : ( قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق )<sup>(١)</sup> الآية ، وقال تعالى : ( وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم )<sup>(٢)</sup> ، إلى قوله : ( ولا هم يحزنون )<sup>(٣)</sup> .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله ، لسكنائهم مكة ، ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : ( قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامراً تهجرون )<sup>(٤)</sup> . وقال تعالى : ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك )<sup>(٥)</sup> إلى قوله : ( وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون )<sup>(٦)</sup> فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياؤه المتقون .

ونبت في « الصحيحين » عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر : « إن آل فلان ليسوا لي بأولياء - يعني طائفة من أقاربه - إنما وليي الله وصالح المؤمنين »<sup>(٧)</sup>

(٥) سورة المائدة ، الآية : ١٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١١١

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١١٣ (٤) سورة المؤمنون ، الآيات : ٦٦ ، ٦٧

(٥) سورة الانفال ، الآية : ٣٠ (٦) سورة الانفال ، الآية : ٣٤

(٧) أخرجه « البخاري » في كتاب « الادب » باب « بيل الرحم بيلها » ، وأخرجه مسلم في « كتاب الايمان » باب « موالة المؤمنين ومقاطعة غيرهم » عن عمرو بن العاص .

وهذا موافق لقوله تعالى : ( فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ )<sup>(١)</sup> الآية وصالح المؤمنين : هو من كان صالحاً من المؤمنين . وهم المؤمنون المنقون أولياء الله ودخل في ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »<sup>(٢)</sup> ومثل هذا الحديث الآخر : إن أوليائي المنقون أباً كانوا وحيث كانوا<sup>(٣)</sup> .

كما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله ، وليس ولياً لله ، بل عدو له . فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنه مرسل إلى جميع الانس ، بل إلى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ؛ مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله ، وإنما

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤

(٢) أخرجه مسلم بلفظ : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة - أحد - الذين بايعوا تحتها » ، وأبو داود والترمذي عن جابر .

(٣) روى الحاكم في « المستدرک » مرفوعاً : « إن أوليائي منكم المنقون » ، وفي سنده إسماعيل بن عبيد وهو مجهول . ولفظ : أياً كانوا وحيث كانوا ، إنما هو من كلام مجاهد .

كان ملكاً مطاعاً ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : إنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن لله أولياء خاصة ، لم يرسل اليهم ، ولا يحتاجون إليه ، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه ويتنفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنة فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو لم يعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفّة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل اليهم ، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصفّة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المعراج ، فصار أهل الصفّة بمنزلة ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله )<sup>(١)</sup> وأن الصفّة لم تكن إلا بالمدينة ، وكانت صفّة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم ، فإن المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ،

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١



فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ؛ ومن تعذّر ذلك عليه نزل في المسجد ، إلى أن يتيسر له مكان ينتقل إليه .

ولم يكن أهل الصفة ناماً بأعيانهم بلازمون الصفة ، بل كانوا يقاؤون تارة ويكثرّون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ، ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بهام من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الاسلام وقتله النبي ﷺ ، كالعربيين الذين اجتووا المدينة ، أي : استوخموا ، فأمرهم النبي ﷺ بلباقح - أي إبل لها لبن - وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا ؛ قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتي بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت أعينهم ، وتركهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون .

وحديثهم في « الصحيحين » <sup>(١)</sup> من حديث أنس ؛ وفيه أنهم

(١) أخرجه « البخاري » في « كتاب الحدود » باب : لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا ، ونصه : قدم رهط من عكل على النبي ﷺ كانوا في الصفة فاجتووا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ! أبغنا رسلاً ، فقال : « ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله . » فأتوها فشرّبوا من ألبانها وأبوالها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود . فأتى النبي ﷺ الصربخ ، فبث الطلب في آثارهم ، فما ترجل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وماحسهم ، ثم ألقوا في الحرّة يستسقون فما سقوا حتى ماتوا . اجتووا : استوخموا أبغنا رسلاً : بكسر الراء وسكون السين : أي اطلب لنا لبناً . الذود : بفتح =

نزلوا الصفّة، فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين  
سعد بن أبي وقاص، وهو أفضل من نزل بالصفّة، ثم انتقل عنها،  
ونزلها أبو هريرة وغيره، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من  
نزل الصفّة.

وأما الأتصار فلم يكونوا من أهل الصفّة، وكذلك أكابر  
المهاجرين - كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير،  
وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة [بن الجراح] وغيرهم - لم يكونوا  
من أهل الصفّة.

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة، وأن النبي ﷺ  
قال: «هذا واحد من السبعة» وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم،  
وإن كان قد رواه أبو نعيم في «الحلية» وكذا كل حديث يروي عن  
النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد،  
والأقطاب، مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشرة، أو أربعين، أو  
سبعين، أو ثلاثمائة، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، والقطب الواحد، فليس

= القال وسكون الواو: ما بين الثلاثة إلى المشرة من الأبدل. الصريح: المستغيث.  
ترجل النهار: ارتفع. ما حسمهم: ما كوى مواضع القطع. الحرة: أرض  
ذات حجارة سوداء.

في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ؛ وأنهم بالشام ، وهو في « المسند »<sup>(١)</sup> من حديث علي كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي .

وقد أخرجنا في « الصحيحين » عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين بقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وهؤلاء المارقون هم الحوارج الحرورية الذين صرخوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما .

(١) قال الشيخ أحمد في تليقه على « المسند » : إسناده ضعيف لانقطاعه ، شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد:

قد لسمعت حية الهوى كبدي      فلا طيب لها ولا راق  
إلا الحبيب الذي شففت به      فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه، فعلقها على العرش، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه ﷺ.

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت بينهما كالزنجي، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

والمقصود هنا؛ أنه فيمن يقر برسائله العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك، فيكون منافقاً، وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ، إما عناداً، وإما جهلاً، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله، وأن محمداً رسول الله، لكن يقولون: إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب، وأنه لا يجب علينا اتباعه، لأنه أرسل إلينا رسلاً قبله؛

فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء الله ، وإنما أولياء الله الذين وصفهم الله تعالى بولايته بقوله : ( ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون )<sup>(١)</sup> .

ولا بد في الإيمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزله الله ، كما قال تعالى : ( قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا ما أوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )<sup>(٣)</sup>

(١) سورة يونس ، الآيات: ٦٣، ٦٤ (٢) سورة البقرة ، الآيات: ١٣٦، ١٣٧

(٣) سورة البقرة ، الآيات: ٢٨٥ ، ٢٨٦

وقال في أول السورة ( ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .  
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .  
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم  
يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) (١) فلا  
بد في الإيمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده (٢) ،  
وأن الله أرسله إلى جميع الثقليين : الجن والانس . فكل من لم يؤمن بما  
جاء به فليس بمؤمن ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين . ومن  
آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض ، فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله  
تعالى : ( إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله  
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين  
ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً .  
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف  
يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ) (٣) .

ومن الإيمان : الإيمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في  
تبليغ أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه . فالحلال ما أحله

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١-٥

(٢) وبذلك تعلم كفر القاديانية الذين يزعمون بأن النبوة لم تنقطع بعد محمد

(٣) سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ - ١٥٢ . ﷺ

الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق الله تعالى للخلق ، ورزقه أيام ، وإجابته لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، يفعله بما يشاء من الأسباب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي لله تعالى ، كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبّادهم . وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عدو لله ، وإن ظن طائفة أنه ولي لله ؛ كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوساً ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان وزيراً لالاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وهو الذي يؤرخ

له تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه ؛ كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين لما رأوا أن ذلك اسمه الاسكندر ؛ وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذلك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك - الذي قد كان أرسطو وزيره - متأخر عن ذلك ، ولم يكن هذا السور ، ولا وصل إلى بلاد بأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ؛ يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بتابع للرسول ، ولا مؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا بطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترب بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل آفاك أئيم ، يلقون السمع



وأكثرهم كاذبون<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المـكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الفلوات أو البدع في العبادة .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقرنت بهم ، فصاروا من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن . قال الله تعالى : ( ومن يشء عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين )<sup>(٢)</sup> وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويمتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترن به .

قال تعالى : ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى )<sup>(٤)</sup> ، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٣ (٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٥٠ . (٤) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

(توحيد - ٤٣)

التي أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبده مجتهداً في عبادته ، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فإن الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

## فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من نفاق ، كما جاء في « الصحيحين » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر . »

وفي « الصحيحين » أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إمالة الأذني عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في « الصحيحين » أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، فقال : يا رسول الله ا أعلى كِبْرَ سِنِي ؟ قال : « نعم » .

وثبت في « الصحيح » عنه أنه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر في الاحساب ، والطعن في الانساب ، والنياحة على الميت ، والاستسقاء بالنجوم » (١) .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتى خان » .

وفي « صحيح مسلم » : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » .  
 وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه . وقد قال الله تعالى :  
 ( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قاتلوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ) (٢) ، فقد جعل

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز عن أبي مالك الأشعري .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٦٦ ، ١٦٧ .

هو لاء إلى الكفر ، أقرب منهم الإيمان ، فعلم أنهم مخطون ، وكفرهم أقوى ، وغيرهم يكون مخطاً وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق ، قال الله تعالى : ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( إنما النسي زيادة في الكفر )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى في المنافقين : ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا )<sup>(٤)</sup> فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(١) سورة التوبة ، الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٣٧ (٣) سورة محمد ، الآية : ١٧

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٠

كفره ونفاقه . وقال تعالى : ' ويزداد الذين آمنوا إيماناً '(١) وقال تعالى :  
( ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ) (٢) .

## فصل

وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقرَّبون ، وأصحاب يمين مقنصون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و(المطففين) ، وفي سورة (فاطر) ؛ فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ؛ فقال في أولها : ( إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجَّت الأرض رجاً . وبست الجبال بساً . فكانت هباءً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين ) (٣) .

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها الأولين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١ (٢) سورة الفتح ، الآية : ٤

(٣) سورة الواقعة ، الآيات : ١ - ١٤ .

موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : ( فلولا ) أي فهلاً ( إذا بلغت  
 الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن  
 لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين .  
 فأما إن كان من المقرئين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان  
 من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من  
 المكذبين الضالين . فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق  
 اليقين . فسبح ربك العظيم )<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في سورة الانسان : ( إنا هديناه السبيل إما شاكراً  
 وإما كفوراً . إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً . إن  
 الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عينا يشرب بها عباد  
 الله يفجرونها تفجيراً . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً .  
 ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً . إنا نطمئناكم لوجه  
 الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً  
 قطرباً . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً . وجزاهم  
 بما صبروا جنة وحريراً )<sup>(٢)</sup> الآيات .

وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال : ( كلا إن كتاب

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣ - ٩٦ (٢) سورة الدهر ، الآيات ٣ - ١٢

الفجار لفي سجين وما أدرك ما سجين . كتاب صرقوم ويل يومئذ  
 المكذبين الذين يكذبون يوم الدين . وما يكذب به إلا كل معتمد  
 أنيم . إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . كلا بل ران على قلوبهم  
 ما كانوا يكسبون . كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا  
 الجحيم . ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون . كلا إن كتاب الأبرار  
 لفي عليين . وما أدراك ما عليون . كتاب صرقوم يشهده المقرَّبون . إن  
 الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نضرة  
 النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك . وفي ذلك فليتنافس  
 المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عيناً يشرب بها المقرَّبون (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف، قالوا : يمزج  
 لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقرَّبون صرفا ، وهو كما قالوا :  
 فإنه تعالى قال : ( يشرب بها ) ، ولم يقل يشرب منها ، لأنه ضمن قوله :  
 يشرب معنى يروي ، فإن الشارب قد يشرب ولا يروي ، فاذا قيل :  
 يشربون منها ، لم يدل على الري ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروون  
 بها ، فالمقرَّبون ، يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها ، فلم يذا  
 يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجا ،

(١) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ - ٢٨ ،

وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : ( كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجييراً )<sup>(١)</sup>.

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن الجزء من جنس العمل في الخير والشر ، كما قال النبي ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مساماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذاكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . رواه مسلم في « صحيحه » . وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »<sup>(٢)</sup> قال الترمذي : حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في « السنن » يقول الله

(١) سورة الدهر ، الآيتان : ٥ ، ٦ .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .



تعالى : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته <sup>(١)</sup> ، وقال : « ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله » <sup>(٢)</sup> ، ومثل هذا كثير .

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون ، وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يقول الله تعالى : « من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة . ومانتقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت ممعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » <sup>(٣)</sup> .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المنتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكافون أنفسهم

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، وقال : حسن صحيح . قال الحافظ المنذري : وفي تصحيح الترمذي له نظر ، فان أباً سلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله » . (٣) رواه البخاري في « صحيحه » وليس فيه لفظ المبارزة ، وإنما هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة . وقد تقدم .

بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ،  
ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما  
تقربوا إليه بجميع ما بقدرت عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حباً تاماً ،  
كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » (١) ،  
يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ( اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذي  
أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين ) (٢) أي أنعم عليهم  
الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ( ومن يطع الله والرسول  
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ) (٣) .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله  
عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشرعوا صرفاً ، كما عملوا له  
صرفاً . والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه ،  
ولا يثابون عليه ، فلم يشرعوا صرفاً ، بل مزج لهم من شراب المقربين  
بحسب ما مزجوه في الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ، ونبي

(١) حديث قدسي رواه البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة .

(٢) سورة الفاتحة ، الآيتان : ٦ ، ٧ (٣) سورة النساء ، الآية : ٦٩

ملك ، وقد خير الله سبحانه محمداً ﷺ ، بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، فالنبى الملك ، مثل داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي قال ( رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين في الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب )<sup>(١)</sup> . أي : أعطى من شئت ، وأحرم من شئت ، لاحساب عليك ، فالنبى الملك ، يفعل ما فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار ، من غير إثم عليه .

وأما العبد الرسول ، فلا يعطى أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطى من يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل يعطى من أمره ربه باعطائه ، ويولي من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات لله تعالى ، كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إني والله لأعطي أحداً ، ولا أمنع أحداً ، إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت »<sup>(٢)</sup> ولهذا يضيف الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول ، كقوله تعالى : ( قل الأنفال

(١) سورة ص ، الآيات : ٣٥ - ٣٩ (٢) رواه البخاري بلفظ : « ما أعطيتكم ولا أمنعكم ، أنا قاسم ، أضع حيث أمرت » .

لله والرسول<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله والرسول<sup>(٢)</sup> ) وقوله تعالى: ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول<sup>(٣)</sup> ) .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخس : إنه يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه الله .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي الملك ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقرين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقرين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أبيض له على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ١ (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .

## فصل

وقد ذكر الله تعالى أوليائه المقتصدين والسابقين في سورة (فاطر)، في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حريير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور . الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) (١) لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية، هم أمة محمد ﷺ خاصة، كما قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله، ذلك هو الفضل الكبير) (١).

وأمة محمد ﷺ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في (الواقعة) (٢) و(المطففين) و(الانفطار) فإنه دخل فيها جميع الأمم

(١) سورة فاطر، الآيات: ٣٢ - ٣٥

(٢) والآيات في سورة الواقعة: (وكنتم أزواجاً ثلاثاً . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون) . =

المنقدمة ، كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب المصرّون عليها . والمقتصد : المؤدي للفرائض ، المحتجب للمحارم . والسابق للخيرات : هو المؤدي للفرائض والنوافل ، كما في تلك الآيات . ومن تاب من ذنبه ، أي ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين ، كما في قوله تعالى : ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ) .

وقوله : ( جنات عدن يدخلونها )<sup>(٢)</sup> مما يستدل به أهل السنة ،

= والآيات في سورة الانفطار : ( إن الأبرار اني نعيم . وإن الفجار اني جحيم ) . وفي سورة المطففين : ( يوم يقوم الناس لرب العالمين . كلا إن كتاب الفجار اني سجين ) إلى قوله تعالى : ( كلا إن كتاب الأبرار اني عليين ) .

(١) في سورة آل عمران ، الآيات : ١٣٣ - ١٣٦ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٢٣ .

على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .  
وأما دخول كثير من أهل الكبار النار ، فهذا مما تواترت به  
السنن عن النبي ﷺ ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا  
محمد ﷺ في أهل الكبار ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا  
ﷺ ، وشفاعة غيره ؛ فمن قال : إن أهل الكبار مخلدون في النار ،  
وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو  
الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله [ من تأوله ] من المعتزلة ، فهو مقابل  
بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبار النار ،  
ويزعمون أن أهل الكبار قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ،  
وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولاجماع سلف الأمة  
وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من  
كتابه ، وهو قوله تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون  
ذلك لمن يشاء )<sup>(١)</sup> فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر  
مادونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك النائب ، كما يقوله من يقوله  
من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يغفره  
الله أيضاً للنائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للنائبين ؛

قال تعالى: ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم )<sup>(١)</sup>، فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له.

ففي آية التوبة<sup>(٢)</sup>؛ عمم وأطلق، وفي تلك الآية<sup>(٣)</sup> خصص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلق ما سواه على المشيئة، ومن الشرك التعطيل للحالتين، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه، كتعطيل الخالق، أو يجوز أن لا يعذب بذنب، فانه لو كان كذلك، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له، بلا توبة ولا حسنات ماحية، لم يعلق ذلك بالمشيئة.

وقوله تعالى: ( ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )<sup>(٣)</sup> دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض، فبطل النفي والعموم العام.

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) المراد آية التوبة الواردة في سورة الزمر: ( قل يا عبادي الذين أسرفوا الخ . ) وقوله في تلك الآية إشارة إلى قوله تعالى: ( إن الله لا يغفر أن يشرك به الخ . )

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨



## فصل

وإذا كان أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنون المتقين ، والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسول الله ، وجماع ذلك : الايمان بخاتم الرسل محمد ﷺ ؛ فالايان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسول ، وبما جاؤوا به ، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة ، فان الله تعالى أخبر في كتابه ، أنه لا يمدب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة . قال الله تعالى : ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والألسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله

حجة بعد الرسل) (١). وقال تعالى عن أهل النار: (كلما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير. قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازلنا الله من شيء. إن أنتم إلا في ضلال كبير) (٢). فأخبر أنه كلما أتى في النار فوج أقرؤا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك على أنه لا يلقي فيها فوج إلا من كذب النذير. وقال تعالى في خطابه لابليس: (لا ملأ من جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) (٣). فأخبر أنه يملؤها بابليس ومن أتبعه، فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم. فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له، فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل.

## فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً [عاماً] بجملاً، وأما الإيمان المفصل، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لا آمن به، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيماناً بجملاً، فهذا إذا عمل بما علم أن الله

(١) سورة النساء، الآيات: ١٦٣ - ١٦٥

(٢) سورة الملك، الآيات: ٨، ٩ (٣) سورة ص، الآية: ٨٥

أصره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه . ولم تقم عليه الحجة به ، فإن الله تعالى لم يكافه معرفته ، والايان المفصل به ، فلا يعذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك ، فن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمل به ، فهو أكمل إيماناً وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي لله تعالى . والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء الله المؤمنون المنتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى : ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومة ممدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلاً نمد هوؤلاً وهؤلاً من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً )<sup>(١)</sup> .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وأن عطائه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر ، ثم قال تعالى : ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً )<sup>(٢)</sup> ؛ فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة

(١) سورة الاسراء ، الآيات : ١٨ - ٢١ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٢١

يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً )<sup>(٢)</sup> .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : ( لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد ، وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( لا يستوي القاعدون

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٥ (٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠

من المؤمنين غير أولي الضر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم  
 فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد  
 الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات  
 منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( أجمعتم  
 سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر  
 وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين .  
 الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم  
 درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان  
 وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدأ إن الله عنده أجر عظيم<sup>(٢)</sup>  
 وقال تعالى : ( أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة  
 ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما  
 يتذكر أولو الألباب )<sup>(٣)</sup> ؛ وقال تعالى : ( يرفع الله الذين آمنوا منكم  
 والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير )<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة النساء ، الآيتان : ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآيات : ١٩ - ٢٢ (٣) سورة الزمر ، الآية : ٩

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ١١

## فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً ، لقوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) (١) .

وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم بقول الله تبارك وتعالى فيه : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ، فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ؛ فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تبلغه الدعوة ، وإن قيل : إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم ، فلا يكونون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن [لم] يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ؛ وكذلك المجانين والأطفال ، فإن النبي ﷺ قال : « يرفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى بفيق ، وعن الصبي

(١) سورة بونس ، الآيات : ٦٢ ، ٦٣

حتى يحتمل ، وعن النائم حتى يستيقظ»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث قد رواه أهل « السنن » من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما ، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول ، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم ؛ فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأموال الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزاًزاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ، ولا تصح عقود باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع ، وفي مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون ولياً لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، إما مكاشفة صحتها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد ، فأت

(١) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود والحاكم . وقال الحافظ ابن حجر بعد ما أورده طرق عديدة بألفاظ متقاربة ، هذه طرق يقوي بعضها بعضاً . وصححه أحمد شاكر في « المسند » .

أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات ونصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يمتد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنياً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء ضبقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية ، فهو لاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلاً عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن أحد من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنوناً ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يجن أحياناً وبفيق أحياناً ، إذا كان في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ، ويؤدي الفرائض ، ويحتمل المحارم ، فهذا إذا جن ، لم يكن جنونه مانعاً من أن يثبته الله على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه



وتقواه ، فان الله يثيبه وبأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي لله ، فان هذا ان لم يكن مجنوناً ، بل كان متولها من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ، ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر . وإن كان مجنوناً باطنياً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الايمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله ، ولكن إن كان له حالة في إفاقته ، كان فيها مؤمناً بالله متقياً ؛ كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وإن كان له حال إفاقته فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق .

## فصل

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحا ، ولا بخلق شعر أو تقصيره أو ظفره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عبا . بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في النجار والصناع والزراع .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى : ( إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الدين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرئوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرئوا ما تيسر منه )<sup>(١)</sup>.

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : ( القراء ) فيدخل فيهم العلماء والنسّاك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء .

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢٠

واسم الصوفية : هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح .  
وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة [ بن  
صر ] بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالنسك ، وقيل :  
إلى أهل الصفّة . وقيل : إلى [ أهل ] الصفاء . وقيل : إلى الصفوة .  
وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى ؛ وهذه أقوال ضعيفة ،  
فإنه لو كان كذلك ل قيل : صفي ، أو صفائي ، أو صفوي أو صفي<sup>(١)</sup> ،  
ولم يقل : صوفي ، وصار اسم الفقراء ، يعني به أهل السلوك ، وهذا  
عرف حادث ؛ وقد تنازع الناس : أيهما أفضل ، مسمى الصوفي ، أو  
مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضاً أيهما أفضل ، الخني الشاكر ، أو الفقير  
الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيد وبين أبي العباس بن  
عطاء ، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا  
كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، حيث قال : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من  
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند

(١) صفي بضم الصاد وتشديد الفاء ، نسبة إلى أهل الصفة ، وصفائي نسبة إلى  
أهل الصفاء ، وصفوي بفتح الصاد وسكون الفاء ، نسبة إلى صفوة ، وصفي  
بفتح الصاد وتشديد الفاء نسبة إلى الصف المقدم .

الله أتفاكم<sup>(١)</sup>.

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : « أتقام » قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كما مدن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا »<sup>(٢)</sup>.

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقام .

وفي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لمجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب »<sup>(٣)</sup>.

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى أذهب عنكم عبية<sup>(٤)</sup> الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس رجلان : مؤمن تقي ، وفاجر شقي<sup>(٥)</sup> . فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله ، فهو أكرم عند الله ، وإذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » عن أبي نضرة ، وقال الهيثمي : رجاله رجال

الصحيح . (٤) العيبة : الكبر .

(٥) حديث صحيح ، رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح .

ولفظ الفقر في الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه ، كما قال تعالى : ( إنا الصدقات للفقراء والمساكين )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله )<sup>(٢)</sup> وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل النبي .

فقال في الصنف الأول : ( للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً )<sup>(٣)</sup>.

وقال في الصنف الثاني، وهم أفضل الصنفين : ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون )<sup>(٤)</sup>.

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء الله باطناً وظاهراً ، كما قال النبي ﷺ : « المؤمن من آمنه الناس على دماهم وأموالهم »<sup>(٥)</sup> و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »<sup>(٦)</sup> و « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠ (٢) سورة فاطر ، الآية : ١٥

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ (٤) سورة الحشر ، الآية : ٨

(٥) رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن . ورواه ابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٦) رواه البخاري ومسلم . (٧) رواه الترمذي ، وأحمد ، والطبراني ،

قال الملائي : حديث حسن .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله<sup>(١)</sup>، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان. قال الله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)<sup>(٢)</sup>: وقال تعالى: (أجمتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم. خالدن فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم)<sup>(٣)</sup>.

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما أهالي ألاً أعمل عملاً

(١) قال الحافظ العراقي، رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر. وقال الحافظ ابن حجر: هو من كلام إبراهيم بن عيلة.

(٢) -سورة النساء، الآية: ٩٥ (٣) سورة التوبة، الآيات: ١٩ - ٢٢

بعد الاسلام إلا أن أَسْقِي الحاج ، وقال آخر : ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الاسلام ، إلا أن أعمّر المسجد الحرام ، وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ولكن إذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأَنْزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية .

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قال : حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني .

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال : « إيمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا؟ قال : « حج مبرور » .

وفي «الصحيحين» أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لا تستطيعه ، أو لا تطيقه » قال : فأخبرني به ، قال : « هل تستطيع إذا خرجت مجاهداً أن تصوم ولا تفطر ، وتقوم ولا تفتر؟ »

وفي «السنن» عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يامعاذ اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلاق حسن »<sup>(١)</sup> وقال : « يامعاذ إني لأحبك ، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك »<sup>(٢)</sup> ، وقال له وهو رديفه : « يامعاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم ألا يمشوا بهم »<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً لمعاذ : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروه سنامه الجهاد في سبيل الله » وقال : « يامعاذ ألا أخبرك بأبواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وقيام الرجل في جوف الليل » ثم قرأ : ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون )<sup>(٤)</sup> ثم قال : « يامعاذ ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك ؟ » فقال : « أمسك عليك لسانك هذا ، فأخذ بلسانه ، قال :

(١) رواه الترمذي وقال : حديث . وهو كما قال .

(٢) رواه أبو داود ، والنسائي ، وسنده صحيح .

(٣) رواه الشيخان . (٤) سورة السجدة ، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .



يارسول الله وإنا لما مؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « تكلمت أملك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »<sup>(١)</sup>.

وتفسير هذا ما ثبت في « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » فالنكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من النكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها ، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضاً ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » .

وثبت في « الصحيحين » عن أنس أن رجلاً سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنهم تقالطوها ، فقالوا : وأبنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم<sup>(٢)</sup> ، وقال الآخر : أما

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وقد تكلم عليه الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » ، فليراجع . (٢) جملة : « لا آكل اللحم » هي من رواية مسلم ، وليست في البخاري . (توحيد - ٤٥)

أنا فلا أتزوج النساء، فقال رسول الله ﷺ: « ما بال رجال يقول أحدم: كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »؛ أي سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها، فمن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله، قال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) (١) بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ؛ كما ثبت عنه في « الصحيح » (٢) أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة.

## فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشبهه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الحوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته، ولا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) أي « صحيح مسلم ». ولفظه: « أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله،

وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، فقال تعالى : ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرنا لك ربنا وإليك المصير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )<sup>(١)</sup> .

وقد ثبت في « الصحيح »<sup>(٢)</sup> أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء

وقال : « قد فعلت » .

ففي « صحيح مسلم » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية ( إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير )<sup>(٣)</sup> . قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم » .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤

الله تعالى : ( لا يكلف الله نفساً إلا وسعها )<sup>(١)</sup> إلى قوله ( أو أخطأنا )<sup>(٢)</sup> قال الله : « قد فعلت » ( ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا )<sup>(٣)</sup> قال : « قد فعلت » ( ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين )<sup>(٤)</sup> قال : « قد فعلت » وقد قال تعالى : ( وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمَّدت قلوبكم )<sup>(٥)</sup>.

وثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمر بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً ، أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » . فلم يؤثم المجتهد المخطئ ، بل جعل له أجراً على اجتهاده ، وجعل خطأه مغفوراً له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يفاط ، لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله ، إلا أن يكون نبياً ، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يقوى إليه في قلبه ، إلا أن يكون موافقاً ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

فإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أوافق هو أم مخالف ،  
توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ، فمنهم  
من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله ، وافقه في كل ما يظن أنه حدثه  
به قلبه عن ربه ، وسلم إليه جميع ما يفعله ؛ ومنهم من إذا رآه قد قال أو  
فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان  
مجتهداً مخطئاً ؛ وخيار الأمور أوساطها ، وهو أن لا يجعل معصوماً ولا  
مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه  
بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله ، وأما إذا خالف  
قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين ، لم يكن لأحد أن يلزمه بقول  
المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « قد كان  
في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم » . وروى  
الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لو لم أبعث فيكم لبعث  
فيكم عمر »<sup>(١)</sup> .

(١) ليس هو في الترمذي ، وإنما أخرجه ابن عدي ، وفي سنده زكريا بن  
يحيى الوقار . قال ابن عدي : يضع الحديث ، ولا حديث شواهد كلها ضعيفة . =

وفي حديث آخر : « إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه »<sup>(١)</sup> .  
 وفيه : « لو كان نبي بعدي لكان عمر »<sup>(٢)</sup> وكان علي بن أبي طالب رضي  
 الله عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . ثبت هذا  
 عنه من رواية الشعبي<sup>(٣)</sup> . وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول في شيء :  
 « إني لأراه كذا ، إلا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق قال : كنا  
 نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك . وكان عمر يقول : اقتربوا من  
 أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه تنجلي لهم أمور صادقة .  
 وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله  
 عنه ، أنها تنجلي للمطيعين ، هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم ،  
 فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء في  
 هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ؛ فإن خير  
 هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر<sup>(٤)</sup> .

= والذي في جاء في الترمذي : « لو كان نبي بعدي لكان عمر » . وهو حديث  
 حسن . (١) رواه الترمذي بلفظ « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه »  
 وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٢) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » .

(٤) أخرج البخاري عن ابن عمر قال : كنا نخير الناس في زمن النبي

ﷺ ؛ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم .

وأخرج البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي رضي الله عنه : =

وقد ثبت في « الصحيح » تمييز عمر ، بأنه محدث في هذه الأمة  
فأي محدث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ ، فممر أفضل منه ، ومع  
هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع  
له على ما جاء به الرسول ﷺ ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل  
عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن  
ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ؛ والحديث  
معروف في « البخاري » وغيره ، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة  
ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين بايعوه  
تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه  
وبينهم ، على أن يرجع في ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط  
لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على  
كثير من المسلمين ، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من  
المصاححة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول الله  
ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : أفليس قتلنا  
في الجنة وقتلهم في النار ؟ قال : « بلى » قال : فلام نمطي الدنيا في ديننا ؟  
فقال له : النبي ﷺ : « إني رسول الله وهو ناصري ، ولست  
أعصيه » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ، قال :

= يا أبت ! أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر : قلت : ثم من ؟  
قال : عمر ، وخشيت أن أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، قال :  
ما أنا إلا رجل من المسلمين .

« بلى » ، قال : « أقلت لك : إنك تأتيه العام ؟ » قال : لا . قال : « إنك آتية ومطوف به » .

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ . فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة لله وللنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أملاً (١) .

وكذلك لما مات النبي ﷺ ، أنكر عمر موته أولاً ، فلما قال أبو بكر : إنه مات ، رجع عمر عن ذلك (٢) .

(١) رواه البخاري في « باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (ج ٣/٢٣٩) (٢) روى البخاري عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنخ . قال إسماعيل : ( هو شيخ البخاري ) يعني بالعالية ، فقام عمر يقول : والله مات رسول الله ﷺ . قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً . ثم خرج فقال : أيها الخائف على رسلك . فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وقال : ( إنك ميت وإنهم ميتون ) وقال : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ) أخرجه البخاري عقب باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً . في المناقب ( ٦/٥ ) .



وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف  
تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس  
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا  
مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألم  
يقول : « إلا بحقها » فإن الزكاة من حقها ، والله لو منعوني عنها كانوا  
يؤدونوها إلى رسول الله ﷺ لقائاتهم على منعها . قال عمر : فوالله ما هو  
إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق <sup>(١)</sup> .  
ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضي الله  
عنه محدث ، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق  
يتلقى عن الرسول المصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدث يأخذ عن  
قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمصوم ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي  
المصوم ﷺ .

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ،  
ويناظرهم ويرجع اليهم في بعض الأمور ، وينازعونه في أشياء فيحتاج  
عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرّم على منازعته ، ولا يقول

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة . وفي مسلم بلفظ : لو منعوني عقلاً ،  
بدل : عناقاً .

لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فيذبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني ،  
 فأني أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولي الله ، وأنه مخاطب يجب على  
 أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسأموه حاله من  
 غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وهم مخطوون ، ومثل هذا أضل  
 الناس ، فممر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ،  
 وكان المسلمون ينازعونه ويعرضون ما يقوله ، وهو وهم على الكتاب  
 والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله  
 ويترك ، إلا رسول الله ﷺ .

وهذا من الفروق بين الانبياء وغيرهم ، فإن الانبياء صلوات  
 الله عليهم وسلامه ، يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز  
 وجل ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الاولياء ، فإنهم لا تجب  
 طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل  
 يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة  
 وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً ، وإن كان صاحبه  
 من اولياء الله ، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ،  
 ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً ، وكان من الخطأ المنفور  
 إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ، فان الله تعالى يقول : ( فاتقوا

الله ما استطعتم) (١).

وهذا تفسير قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته ) (٢).

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يمصى ، وأن  
يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أي بحسب استطاعتكم ، فإن  
الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كما قال تعالى : ( لا يكلف الله  
نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ) (٣) وقال تعالى :  
( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً وسعها أولئك أصحاب  
الجنة هم فيها خالدون ) (٤) وقال تعالى : ( وأوفوا الكيل والميزان بالقسط  
لا نكلف نفساً إلا وسعها ) (٥).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الإيمان بما جاءت به الأنبياء في غير  
موضع ، كقوله تعالى : ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى  
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى  
وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
مسلمون ) (٦) وقال تعالى : ( ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

- |                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة التباين ، الآية : ١٦  | (٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ |
| (٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦  | (٤) سورة الاعراف ، الآية : ٤٢   |
| (٥) سورة الانعام ، الآية : ١٥٢ | (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٣٦   |

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (١) وقال تعالى : ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (٢) .

وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون مفرطاً في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني (٣) :

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ - ٥ (٢) - سورة البقرة ، الآية : ١٧٧

(٣) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عطية الداراني ، نسبة الى داريا ، قرية من

دمشق ، توفي سنة ٢١٥

أنه ليقع في قلبي النكته من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين :  
الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد<sup>(١)</sup> رحمه الله عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب  
والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في  
علمنا ، أو قال : لا يقتدى به .

وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمر السنة على نفسه قولاً  
وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا ، نطق  
بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول في كلامه القديم : ( وإن تطيعوه  
تهتدوا )<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عمر بن نجيد : كل وجَد لا يشهد له الكتاب والسنة  
فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي  
الله ، ويظن أن ولي الله يُقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله  
ويسلم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك  
الشخص له ، وبخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أصله من نهاوند ،  
ومولده بالعراق . تفقه على مذهب أبي ثور ، توفي سنة ٢٩٧

(٢) سورة النور ، الآية : ٥٤

الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ؛ وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء الله المنقين ، وجنده المفاجين ، وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين ، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال ، وآخر إلى الكفر والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : ( ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يا وبائي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولاً )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ( يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولاً وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والمنهم لعنا كبيراً )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك

(١) سورة الفرقان ، الآيات : ٢٧-٢٩

(٢) سورة الاحزاب ، الآيات : ٦٦-٦٨

يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم ومأم بخارجين من النار) (١).  
وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: (اتخذوا  
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا  
إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (٢).

وفي «المسند» وصححه (٣) الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره  
هذه الآية، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال: ما عبدوهم، فقال النبي ﷺ  
«أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، فأطاعوهم وكانت هذه  
عبادتهم إياهم» ولهذا قيل في مثل هؤلاء: إنما حرموا الوصول بتضييع  
الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ  
فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق، إنسهم  
وجنهم، عربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم، ملوكهم وسوقتهم، وأنه  
لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنياً وظاهراً  
حتى لو أدر كه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه،  
كما قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة  
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم  
وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٦٥ - ١٦٧ (٢) سورة التوبة، الآية: ٣١

(٣) الترمذي لم يصححه وإنما حسنه فقط وهو الصواب.

الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأوائك هم الفاسقون) (١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه

الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن

يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ،

وقد قال تعالى : ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك

وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا

أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم

تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً .

فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن

أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض

عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً . وما أرسلنا من رسول

إلا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله

واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، فلا وربك لا يؤمنون

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت

ويسلموا تسليماً) (٢).

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ٨١ ، ٨٢

(٢) سورة النساء ، الآيات : ٦٥-٦٠



وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ، مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله ، فإنه بنى أمره على أنه ولي الله ، وأن ولي الله لا يخالف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله ، كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، لم يقبل منه ماخالف الكتاب والسنة ، فكيف إذا لم يكن كذلك ! وتجد كثيراً من هؤلاء ؛ عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض النصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحياناً ، أو يمشي أربيقاً من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يحتج أحياناً عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه ، ففضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرقت لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يفتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد (توحيد - ٤٦)

يكون عدواً لله ، فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الايمان والقرآن ، وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة .

مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها ، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابساً للنجاسات ، معاشرراً للكلاب ، يأوي إلى الحمامات والقبامين والمقابر والمزابيل ، رأخته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف . وقد قال النبي ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جنب ولا كلب <sup>(١)</sup> » وقال عن هذه الأخلية : « إن هذه الحشوش محتضرة » <sup>(٢)</sup> أي يحضرها الشيطان ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين ، فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تناذى مما يتأذى منه بنو آدم » <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود والنسائي عن علي ، ورجاله ثقات ، إلا أن نجى - وهو أحد الرواة - لم يوثقه سوى المجلي ، والحديث في « الصحيحين » دون قوله : « ولا جنب » ، وروى أبو داود في « سننه » : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ » وهو حديث حسن لطرقه .

(٢) أخرجه أبو داود عن زيد بن أرقم ، ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم بلفظ : « من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن » =

وقال : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً »<sup>(١)</sup> وقال : « إن الله  
 نظيف يحب النظافة »<sup>(٢)</sup> وقال : « خمس من الفواسق يقتلن في الحل  
 والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور »<sup>(٣)</sup> .  
 وفي رواية : « الحية والعقرب » وأمر صلوات الله وسلامه عليه  
 بقتل الكلاب<sup>(٤)</sup> وقال : « من اقتنى كلباً لا يبغي عنه زرعاً ولا ضرعاً ،  
 نقص من عمله كل يوم قيراط »<sup>(٥)</sup> وقال : « لا تصحب الملائكة رفقة  
 معهم كلب »<sup>(٦)</sup> وقال : إذا وانغ الكلب في إناه أحدكم فليفسله ، سبع  
 مرات لإحداهن بالتراب »<sup>(٧)</sup> .

وقال تعالى : ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون  
 ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي  
 = مسجداً ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، ورواه البخاري بلفظ :  
 « من أكل بصلاً أو ثوماً فليعتزلنا » أو « ليعتزل مسجداً » ، ولفظة الخبيثتين  
 وردت من قول عمر ، كما في « صحيح مسلم » .  
 (١) رواه مسلم عن أبي هريرة . (٢) رواه الترمذي بلفظ : « إن الله تعالى  
 طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة » ، وهو حسن . (٣) أخرجه مسلم  
 بهذا اللفظ ، والبخاري بلفظ : « خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم :  
 الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور » . (٤) ثبت أنه  
 ﷺ أمر بقتل الكلاب ، ثم نهى عن ذلك واستثنى من النهي الكلب العقور ،  
 والاسود البهم . (٥) متفق عليه ، عن سفیان بن أبي زهير . (٦) رواه مسلم ،  
 وأبو داود ، والترمذي ، وأحمد ، عن أبي هريرة . (٧) رواه مسلم بلفظ :  
 « أولاهن » ، ولفظة إحداهن وردت عند الدارقطني ، وإسنادها ضعيف .

الأي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف  
وبنهام عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع  
عنهم إصْرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه  
ونصروه واتَّبَعُوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يجبها  
الشيطان ، أو بأوي إلى الحمامات والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ،  
أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث  
وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يجبها الشيطان ،  
أو يدعو غير الله فيستغيث بال مخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية  
شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب أو النيران  
أو بأوي إلى المزابل والمواقع النجسة ، أو بأوي إلى المقابر ، ولا سيما  
إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو يكره  
سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر  
سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء  
الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا  
القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن

(١) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧

فهو يفيض الله ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شجعت من كلام الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر يثبت الايمان في القلب ، كما يثبت الماء البقل ، والغناء يثبت النفاق في القلب ، كما يثبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الايمان الباطنة، فارقابين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفر لكم) <sup>(١)</sup> وقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً هدي به مانشاء من عبادنا) <sup>(٢)</sup> فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . قال الترمذي حديث حسن <sup>(٣)</sup> .

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت صممه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ (٢) سورة الشورى ، الآية ٥٢ .

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمي وغيره .

ورجله التي يمشي بها . [ فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطن ، وبي يمشي ]<sup>(١)</sup> ، واثن سألتني لأعطينه ، واثن استعاذني لأعيدنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، [ ولا بدله منه ]<sup>(١)</sup> .

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الردي ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجهان ، وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيئة الكذاب ، والأُسود العنسي ، وطاحنة الأُسدي ، والحارث الدمشقي ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

## فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة هي الشريعة (١) ما بين الربيعين ليس من رواية البخاري .

قال الله تعالى ( لعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إنهم إن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين )<sup>(٢)</sup> والمنهاج : هو الطريق . قال تعالى : ( وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يمرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً )<sup>(٣)</sup> .

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر ، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه ، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين الإسلام ، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره ، فمن استسلم لغيره كان مشركاً ، والله ( لا يفرق أن يشرك به )<sup>(٤)</sup> ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته ، كان ممن قال الله فيه : ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين )<sup>(٥)</sup> .

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخريين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى : ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه )<sup>(٦)</sup> عام في كل زمان ومكان .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ (٢) سورة الجاثية ، الآيتان : ١٨ ، ١٩

(٣) سورة الجن ، الآيتان : ١٦ : ١٧ (٤) سورة النساء ، الآية : ٤٨

(٥) سورة غافر ، الآية : ٦٠ (٦) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥

فنوح وإبراهيم وبمقوب والأنسباط وموسى وعيسى  
والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذى هو عبادة الله وحده لا شريك  
له . قال الله تعالى عن نوح : ( يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي  
وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم )<sup>(١)</sup> إلى قوله :  
( وأمرت أن أكون من المسلمين )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( ومن يرغب  
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في  
الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين .  
ووصى بها إبراهيم بنيه وبمقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا  
تموتن إلا وأنتم مسلمون )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وقال موسى لقومه يا قوم  
إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين )<sup>(٤)</sup> .

وقال السحرة : ( ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين )<sup>(٥)</sup> .

وقال يوسف عليه السلام : ( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين )<sup>(٦)</sup> .

وقالت بلقيس : ( أسلمت مع سليمان لله رب العالمين )<sup>(٧)</sup> وقال

تعالى : ( يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا . والزيانيون

(١) سورة يونس ، الآية : ٧١ (٢) سورة يونس ، الآية : ٧١

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ١٣٠ - ١٣٢

(٤) سورة يونس ، الآية : ٨٤ (٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٦

(٦) سورة يوسف ، الآية : ١٠١ (٧) سورة النمل ، الآية : ٤٤



والأخبار<sup>(١)</sup> وقال الحواريون (آمننا بالله واشهد أنا مسلمون)<sup>(٢)</sup>.  
 فدين الانبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم، كما في «الصحيجين»  
 عن النبي ﷺ قال: «إنا مشر الانبياء ديننا واحد» قال تعالى: (شرع  
 لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين أوحينا اليك وما وصينا به  
 إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على  
 المشركين ما تدعوهم اليه)<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من  
 الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وأن هذه أمتكم أمة  
 واحدة وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما  
 لديهم فرحون)<sup>(٤)</sup>.

## فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أولياء الله تعالى، على أن  
 الانبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده  
 السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: (ومن يطع الله والرسول  
 فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤ (٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٢

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١ - ٥٣

والصالحين وحسن أولئك رفيقا»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » وأفضل الامم أمة محمد ﷺ قال تعالى: ( كنتم خير أمة أخرجت للناس )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا )<sup>(٣)</sup>. وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في « المسند »: « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » وأفضل أمة محمد ﷺ ، القرن الأول.

وقد ثبت عن النبي ﷺ ، من غير وجه أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الدين يلونهم ، ثم الدين يلونهم » ، وهذا ثابت في « الصحيحين » من غير وجه .

وفي « الصحيحين » أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه » .

والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، أفضل من سائر الصحابة .

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٩

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠ - (٣) سورة فاطر ، الآية : ٣٢

قال تعالى: ( لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أوائك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى )<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه )<sup>(٢)</sup> والسابقون الأولون: الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح: صلح الحديبية فإنه كان أول فتح مكة، وفيه أنزل الله تعالى: ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر )<sup>(٣)</sup> فقالوا: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «نعم».

وأفضل السابقين الأولين، الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الأمة وجاهيرها، وقد دلت على ذلك دلائل، بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والتقدرية».

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة. وأفضل أولياء الله تعالى، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠ (٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠

(٣) سورة الفتح، الآيتان: ١، ٢

وإتباعاً له ، كالصحابه الذين هم أكمل الأئمة في معرفة دينه وإتباعه ،  
وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به ، فهو أفضل أولياء  
الله ، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأئمة ، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ  
وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه .

وقد ظن طائفة غاطلة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ،  
قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم  
الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي ، فإنه صنف مصنفاً غلط فيه  
في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم  
الأولياء ، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء  
من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم  
ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» ،  
فخالف الشرع والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما  
يقال لمن قال : فخرٌ عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن .

وذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة ،  
والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف  
الأنبياء كلهم ؟ والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ،  
وإدعي أنه خاتم الأولياء ، وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر  
الأنبياء أفضلهم ، فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ،

كقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، أن لا أفتح لأحد قبلك».

وليلة المعراج، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم، فكان أحقهم بقوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) (١) إلى غير ذلك من الدلائل، كل منهم يأتيه الوحي من الله، لاسيما محمد ﷺ، لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره، فلم تحتج شريعته إلى سابق، ولا إلى لاحق، بخلاف المسيح، أحلهم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح فكمّلها، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح، كالتوراة والزبور، وتام الأربع وعشرين نبوة، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدّثين، بخلاف أمة محمد ﷺ، فإن الله أغنام به، فلم يحتاجوا معه إلى نبي، ولا إلى محدّث، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرّقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله الله به بما أنزله إليه، وأرسله إليه، لا بتوسط بشر.

وهذا بخلاف الأولياء، فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣

لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد ﷺ ، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه ، لا يكون ولياً لله إلا إذا أتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه .  
ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهذا كافر ملحد ، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة ، دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فإن أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : إن محمداً بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة .  
فاذا ادعى المدعي ، ان محمداً ﷺ ، إنما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أو من ببعض ، وأكفر ببعض ، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى للقسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على للناس، فيقولون: ولايته أفضل من نبوته، وينشدون:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يمانه فيها أحد، لا إبراهيم ولا موسى، فضلاً عن أيمان ثلة فيها هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبي ولي، فالرسول نبي ولي، ورسالته متضمنة لنبوته، ونبوته متضمنة لولايته، وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله، فهذا تقدير ممتنع، فانه حال إنبائه إياه، ممتنع أن يكون إلا ولياً لله، ولا تكون مجردة عن ولايته، ولو قدرت مجردة، لم يكن أحد مماثلاً للرسول في ولايته.

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب «الفصوص» ابن عربي: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المنفاسفة، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة، وذلك أن المنفاسفة الذين قالوا: إن الافلاك قديمة أزلية، لها آلة تشبه بها، كما يقوله أرسطو وأتباعه: أو لها موجب بذاته، كما يقوله متأخروهم، كابن سينا، وأمثاله، ولا يقولون: إنها رب خلق

السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، إنكار علمه بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الأفلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ؛ فمن لم يعلم إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات ، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ، فإن جميع هؤلاء يقولون : إن الله خلق السموات والأرض ، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المنطسفة واليونان ، كانوا يبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيات منهم



بكثير، ولكن متأخروهم كابن سينا [ وغيره ] أرادوا أن يلقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهباً قد يعتزى إليه متفلسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضوع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كوسى وعيسى ومحمد ﷺ قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ ، أعظم ناموس طرق العالم ، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها : المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك : المفارقات ، لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك نفساً ، وأكثرهم جعلوها أعراضاً ، وبعضهم جعلها جواهر .

وهذه المجردات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان ، لا في الأعيان [ كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً مجردة ، و ] كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن الصورة ، ومدة وخلاء مجردين ، وقد ( توحيد - ٤٧ )

اعترف حذآتهم ، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ؛ فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من اتصف بها فهو نبي :

١ - أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوّة القدسية ، ينال

بها العلم بلا تعلم .

٢ - وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل في نفسه ،

بمحيث يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم ويسمعه ، ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى .

٣ - وأن يكون له قوة فعّالة ، يؤثر بها في هبولى العالم ،

وجعلوا معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ، هي [ من ] قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصاحية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ، وبيننا أن كلامهم هذا

أفسد الكلام ، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصل ما هو

أعظم منه لا آحاد العامة ، ولا تباع الأنبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : ( وما يعلم جنود ربك إلا هو )<sup>(١)</sup> وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضاً ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن المصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل مادونه ، والعقل الفعّال العاشر ، رب كل ماتحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله . وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروي : « إن أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزّتي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، فبك أخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضاً القلم لما روي « إن أول ما خلق الله القلم » الحديث رواه الترمذي<sup>(٢)</sup> .

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي ، والدارقطني ، وابن الجوزي ، وغيرهم . وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ،

(١) سورة المدثر ، الآية : ٣١

(٢) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد ، والترمذي وصححه .

ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم ، فان لفظه « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال : - ويروى - « لما خلق الله العقل قال له .. »<sup>(١)</sup> ، فمضى الحديث . أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات ( وأول ) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر ( لما ) وتام الحديث « ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك » فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل

(١) أخرج عبد الله ابن الامام أحمد في « زوائد المسند » قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن يرفعه : « لما خلق الله تعالى العقل قال له : أقبّل فأقبّل ؛ ثم قال له : أدبر فأدبر . قال : ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وهو مرسل وهو في « معجم الطبراني الاوسط » موصول من حديث أبي أمامة وأبي هريرة باسنادين ضعيفين ، وبما يحسن التنبيه عليه أن كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء ، وهي تدور بين الضعف والوضع .

وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » عن داود بن المخبر بضعا وثلاثين حديثاً في فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر : كلها موضوعة . وقال ابن القيم في « المنار » ص (٢٥) أحاديث العقل كلها كذب .

بعقل عقلاً ، كما في القرآن ( وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير )<sup>(١)</sup> ( إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون )<sup>(٢)</sup> ( أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها )<sup>(٣)</sup> ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله تعالى في الإنسان بعقل بها .

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعقل ، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيسميها عالم الأضر ، وقد يسمي (العقل) عالم الجبروت (والنفوس) عالم الملائكوت ، و(الأجسام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن مافي الكتاب والسنة من ذكر الملك والملائكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تليساً كثيراً كاطلاقهم أن الفلك محدث ، أي معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي :

(٢) سورة الرعد ، الآية ٤٠

(١) سورة تبارك ، الآية ١٠

(٣) سورة الحج ، الآية ٤٦

محدثاً، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء . وكل مخلوق فهو محدث ، وكل محدث كائن بمد أن لم يكن ، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمنزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضايا المفسدة، ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط في غير هذا الموضوع .

وهؤلاء المنفلسة قد يحملون جبريل هو الخيال الذي بتشكل في نفس النبي ﷺ ، والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المنفلسة وزعموا أنهم أولياء الله ، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ، كابن عربي صاحب «الفتوحات» و «الفصوص» . فقال : إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال ، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ، ولو كان خاصة النبي ما ذكره ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكره يحصل لآحاد المؤمنين؟ والنبوة أمر وراء ذلك، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من

الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن آدم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رضوان الله عليهم أجمعين، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء، كقوله تعالى: ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين )<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ( وكم من ملك في السموات لا تنغي شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ( وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون )<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٩ (٢) سورة النجم، الآية: ٢٦  
 (٣) سورة سبأ، الآيات: ٢٢، ٢٣ (٤) سورة الانبياء، الآيات: ١٩، ٢٠، ٢١

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ويرام الناس كذلك.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة (عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين) <sup>(١)</sup> وأن محمداً ﷺ (رآه بالأفق المبين) <sup>(٢)</sup> ووصفه بأنه (شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فندلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفطارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشى السدرة ما ينشى . مازع البصر وماطى . لقد رآه من آيات ربه الكبرى) <sup>(٣)</sup>.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين، يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى، والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى . ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١ (٢) سورة التكوير، الآية: ٢٣

(٣) سورة النجم، الآيات: ٥-١٨



القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالياً في نفس النبي ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدعون ولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وفاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فأنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فإن الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلبي لا يكون مشتركاً كلياً إلا في الذهن ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السموات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطل الصانع ، فإنه لم يكن منكرأ هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لاصانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عبادة

الاصنام ما عبدوا إلا الله ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكيم صاحب السيف - وإن جاز في العرف الناموس - لذلك قال : أنا ربكم الأعلى - أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أفروا له بذلك وقالوا : ( انض ما أنت قاض وإنما تقضي هذه الحياة )<sup>(١)</sup> قالوا : فصح قول فرعون : ( أنا ربكم الأعلى )<sup>(٢)</sup> .

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجملوا أهل النار بمتعمون كما يتنعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط لإحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان ، نهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو في الحالات

الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفتوحات » (باب أرض الحقيقة) ويقولون : هي أرض الخيال .

فنعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الأمور بخلاف ما هي .

قال تعالى : ( ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً )<sup>(٢)</sup> إلى قوله : ( يمدم ويمنيهم وما يمدم الشيطان إلا غروراً )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين عذاب أليم )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ( وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت

(١) سورة الزخرف ، الآيات : ٣٦ - ٣٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ (٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢

الفتنان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون  
إني أخاف الله والله شديد العقاب (١).

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : أنه رأى  
جبريل يزع الملائكة (٢) ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد  
بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته .

قال تعالى : ( إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين  
آمَنوا ) (٣) وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ  
جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها ) (٤) وقال تعالى : ( إذ  
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده  
بجنود لم تروها ) (٥) وقال تعالى : ( إذ تقول للمؤمنين ألن يكفئكم أن  
يعدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا

(١) سورة الانفال ، الآية : ٤٨

(٢) في « موطأ مالك » باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن  
رسول الله ﷺ قال : ما رؤي الشيطان يوماً فيه أصفر ولا أحمر ولا أحقر  
ولا أعيط منه في يوم عرفة ، وما ذلك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله  
عن الذنوب العظام إلا ما أرى يوم بدر قيل : وما رأى يوم بدر يارسول الله ؟  
قال : وأما إنه قدرأى جبريل يزع الملائكة ، أي يصفهم للقتال وهو حديث مرسل .

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢ (٤) سورة الاحزاب ، الآية : ٩

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

وتنقوا وبأنوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء تأنيمهم أرواح تخاطبهم وتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام.

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير<sup>(٢)</sup>» وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد، والمبير: الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالوا: صدق، قال الله تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفك أنيم)<sup>(٣)</sup>.

وقال الآخر: وقيل له: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢٤، ١٩٥

(٢) رواه مسلم بلفظ: «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، والمبير: المهلك.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢

(٤) سورة الانعام، الآية: ١٢١

وهذه الأرواح الشيطانية ؛ هي الروح الذي يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين ، وشي معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وإعما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق ، تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بحمل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلمهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ؛ كانوا مناقضين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأشبه ذلك يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينقص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهل ابن عبد الله التستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه ؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد - قدس الله روحه - كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال :

التوحيد أفراد الحدوث عن القدم . فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم  
والحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب « الفصوص » أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية  
الشيطانية له : يا جنيد اهل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون  
غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : أفراد الحدوث عن القدم ، لأن قوله  
هو : إن وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في « فصوصه » :  
ومن أسمائه الحسنى : ( العلي ) على من ؟ وما ثم إلا هو . وعن ماذا ؟  
وما هو إلا هو ، فعلوؤه لنفسه وهو عين الموجودات . فالسمى محدثات ،  
هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ... إلى أن قال :

هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثم من يراه غيره ،  
وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك  
من الأسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : من شرط المميز بين الشئيين بالعلم والقول  
أن يكون ثالثاً غيرهما ، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه  
وغيره ، وليس هو ثالثاً ، فالعبد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسه  
خالقه ، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ،  
وأهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن  
عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً .

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه النلمساني منهم؛ وهو أحدتهم في اتحادهم - لما قرئ عليه « الفصوص » فقبل له : القرآن يخالف « فصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد من كلامنا . فقبل له فإذا كان الوجود واحداً ، فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهراً ، فإن الوجود إذا كان واحداً ، فمن المحجوب ومن الحاجب ؟ ولهذا قال شيوخهم لمريده : من قال لك : إن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له مريده : فمن هو الذي يكذب ؟ وقالوا الآخر : هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هي ؟ فإن كانت غيرها فقد قلم بالنسبة ، وإن كانت إياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ؛ وبيننا حقيقة قول كل واحد منهم ، وإن صاحب « الفصوص » يقول : المدوم شيء ، ووجود الحق فاض عليهما ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم



خير منه، فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق لهذه الأشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق، وصاحبه الصدر القنوي يفرق بين المطلق والمعين، لأنه كان أقرب إلى الفلاسفة، فلم يقر بأن المعدم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود.

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه، فإن المطلق بشرط الإطلاق، وهو الكلي العقلي، لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، والمطلق لا بشرط، وهو الكلي الطبيعي. وإن قيل: إنه موجود في الخارج، فلا يوجد في الخارج إلا معيناً، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج، فيلزم أن يكون وجود الرب، إما منتفياً في الخارج، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات، وإما أن يكون عين وجود المخلوقات. وهو يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه؟ أم العدم يخلق الوجود؟ أو يكون بهض الشيء خالقاً لجميعه؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالاً ومحلاً، ومن لفظ الاتحاد، لأنه يقتضي شيئين متحد أحدهما بالآخر، وعندم الوجود

واحد ويقولون: النصرارى كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله، ولو عمموا لما كفروا.

وكذلك يقولون في عباد الاصنام: إنما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم، والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام.

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم، ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض، لانه يقال لهم: فن المخطى؟ لكنهم يقولون: إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق، ويقولون: إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب «الفصوص»: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوجب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة.

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذلك، وهو لا يقولون ما كان يقوله التماساني: إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل. ويقولون: من أراد التحقيق - يعني تحقيقهم - فليترك العقل والشرع.

وقد قلت لمن خاطبته منهم: ومعلوم أن كشف الانبياء أعظم

وَأْتَمَّ مِنْ كَشْفِ غَيْرِهِمْ ، وَخَبَرِهِمْ أَصْدَقَ مِنْ خَبَرِ غَيْرِهِمْ ، وَالْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ يُخْبِرُونَ بِمَا تَعْجِزُ عُقُولُ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ لِأَنَّهَا يَعْرِفُ النَّاسَ بِمَقُولِهِمْ أَنَّهُ مَمْتَنَعٌ ، فَيُخْبِرُونَ بِعَجَازَاتِ الْعُقُولِ لِأَنَّ عَجَازَاتِ الْعُقُولِ ، وَيَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ فِي أَخْبَارِ الرَّسُولِ مَا يَنَاقِضُ صَرِيحَ الْعُقُولِ ، وَيَمْتَنَعُ أَنْ يَتَعَارَضَ دَلِيلَانِ قَطْعِيَانِ ، سِوَاهُ كَمَا كَانَ عَقْلِيَيْنِ أَوْ مَحْصِيَيْنِ ، أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا عَقْلِيًّا وَالْآخَرُ مَحْصِيًّا ، فَكَيْفَ يَمْنُ ادْعَى كَشْفًا يَنَاقِضُ صَرِيحَ الشَّرْعِ وَالْمَقْلِ ؟

وهؤلاء قد لا يعتمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبسات الشياطين .

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدمون الأولياء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعمين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة: يقولون: العبد يشهد أولاً طاعة ومعصية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لاطاعة ولا معصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب

يعصى، وهذا يزعم أن المعصية: مخالفة الإرادة التي هي المشيئة، واخلق  
كلهم داخلون تحت حكم المشيئة. ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلًا لما تختاره مني ففعلني كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه،  
فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب، مخالفة أمر الله ورسوله،  
كما قال تعالى: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات  
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص  
الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)<sup>(١)</sup>  
وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية، والأمر الكوني  
والديني

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية، فبينها  
الجنيد رحمه الله لهم، فمن أتبع الجنيد فيها كان على السداد، ومن خالفه  
ضل، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود  
هذا التوحيد، وهذا يسمونه الجمع الأول، فبين لهم الجنيد أنه لا بد من  
شهود الفرق الثاني، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في  
مشيئة الله وقدرته وخلقها، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه،  
وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه، وبفرق بين أوليائه وأعدائه، كما

(١) سورة النساء، الآيات: ١٣، ١٤

قال تعالى : ( أفجعل المسلمين كالمجرمين . مالكم كيف تحكمون )<sup>(١)</sup> .  
 وقال تعالى : ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في  
 الارض أم نجعل المنقذين كالفجار )<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( أم حسب الذين  
 اجترحووا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء  
 محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون )<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ( وما يستوي الأعمى  
 والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسي قليلاً  
 ما نذكرون )<sup>(٤)</sup> .

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء  
 وربّه ومليكه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رب غيره، وهو مع  
 ذلك أمر بالطاعة، ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد، ولا  
 يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، وإن كانت واقعة بمشيئته،  
 فهو لا يحبها، ولا يرضاها، بل يبغضها ويذم أهلها ويماقبهم .

وأما المرتبة الثالثة: أن لا يشهد طاعة ولا معصية، فانه يرى  
 أن الوجود واحد، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله؛ وهو  
 في الحقيقة غاية الاحاد في أسماء الله وآياته، وغاية المداوة لله، فان

(١) سورة القلم، الآيات: ٣٦، ٣٥ (٢) سورة ص، الآية: ٢٨

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١ (٤) سورة غافر، الآية: ٥٨

صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ، وقد قال تعالى : ( ومن يتولاهم منهم فإنه معهم )<sup>(١)</sup> ولا يتبرأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ، قال الله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )<sup>(٢)</sup> ، وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : ( أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه )<sup>(٤)</sup> ، وهو لاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك ، يقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صامت
كلانا مصلٍ واحدٌ ساجدٌ إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلتى سواي ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧ (٤) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢

إلى أن قال :

وما زلت إياها وإياي لم تنزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلّت  
إلي رسولاً كنت مني مرسلأً وذاتي بأياتي عليّ استندلت  
فان دعيت كنت المجيب وإن أكن  
منادى أجابت من دعائي ولبّيت  
إلى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت  
ينشد ويقول :

إن كان منزاتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيّعت أياي  
أمنية ظفرت نفسي بها زمنأً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي  
فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض  
روحه، تبين بظلال ما كان يظنه ، وقال الله تعالى : ( سبح لله ما في  
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم )<sup>(١)</sup> ، فجميع ما في السموات  
والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى : ( له ملك السموات  
والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخِر  
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم )<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الحديد ، الآية : ١ (٢) - سورة الحديد ، الآيتان : ٢ ، ٣

وفي « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه :  
 « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل  
 شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل النوراة والانجيل والقرآن ، أعوذ بك  
 من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ،  
 وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت  
 الباطن فليس دونك شيء انض عني الدين ، وأغني من الفقر » .

ثم قال : ( هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم  
 استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل  
 من السماء وما يرفع فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون  
 بصير )<sup>(١)</sup> فذكر أن السموات والارض ، وفي موضع آخر : ( وما  
 بينهما ) مخلوق مسبح له ، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء .

وأما قوله : ( وهو معكم ) فلفظ ( مع ) لا تقتضي في لغة العرب  
 أن يكون أحد الشئيين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : ( اتقوا الله  
 وكونوا مع الصادقين )<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ( محمد رسول الله والذين  
 معه أشداء على الكفار )<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ( والذين آمنوا من بعد  
 وهاجروا واجاهدوا معكم فأولئك منكم )<sup>(٤)</sup> ، ولفظ ( مع ) جاءت

(١) سورة الحديد ، الآية : ٤ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٩

(٣) سورة الفتح ، الآية : ١٩ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥



في القرآن عامة وخاصة ، فالعامّة في هذه الآية وفي آية المجادلة : ( ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعمهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم )<sup>(١)</sup> ، فافتتح الكلام بالعلم ، وختمه بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه .

وأما المعية الخاصة ، ففي قوله تعالى : ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون )<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى لموسى : ( إني معكما أسمع وأرى )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا )<sup>(٤)</sup> يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ، تناقض الخبر الخاص والخبر العام ؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأيدته دون أولئك ، وقوله تعالى : ( وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله )<sup>(٥)</sup> أي هو

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٧ (٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٨

(٣) سورة طه ، الآية : ٤٦ (٤) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٨٤

إله من في السماوات وإله من في الأرض كما قال تعالى : ( وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )<sup>(١)</sup> ، وكذلك قوله تعالى : ( وهو الله في السماوات وفي الأرض )<sup>(٢)</sup> ، كما فسره أئمة العلم ، كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض .

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثل شي ، ولا كقوله ، في شي من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى : ( قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد )<sup>(٣)</sup> . قال ابن عباس : الصمد العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظمته ، التقدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في سوؤده .

وقال ابن مسعود وغيره : هو الذي لا جوف له ، والأحد الذي لا نظير له . فاسمه ( الصمد ) يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، وفي النقايص عنه ، واسمه ( الأحد ) يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .

(١) سورة الروم ، الآية : ٢٧

(٢) سورة الانعام ، الآية : ٣

(٣) سورة الاخلاص

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك في هذه السورة وفي كونها تعدل ثلث القرآن .

## فصل

وكثير من الناس تشبهه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الايمانية بالحقائق الخلقية القدريّة الكونية ، فان الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر ، كما قال تعالى : ( إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين )<sup>(١)</sup> ، فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه ، لا خالق غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما في الوجود من حرّكته وسكونه ، فبعضائه وقدره ومشيتنه وقدرته وخلقّه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته وممصية رسله ، أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشراف بالله ، فأعظم الحسنات التوحيد ، وأعظم السيئات الشرك . قال الله تعالى : ( إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى :

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٥٤ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (١).

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجمل لله ندا وهو خلقك » قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزني بحليلة جارك » ، فأنزل الله تصديق ذلك : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً . يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (٢).

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وأخبر أنه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسطين ، ويحب التوابين ، ويحب المنتهزين ، ويحب الذين يقاثلون في سبيله صفاء كأنهم بنيان مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه ، كما قال في سورة (سبحان) : ( كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروهاً) (٣).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٢) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٨-٧٠

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٢٨

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقدير ، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، وأن يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . إلى أن قال : ( كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروهاً ) (١) .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائماً قال الله تعالى : ( وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) (٢) .

وفي « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ أنه قال : ( أيها الناس توبوا إلى ربكم ، فوالذي نفسي بيده إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

وفي « السنن » عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب »

الرحيم، مائة مرة»<sup>(١)</sup> أو قال: «أكثر من مائة مرة»

وقد أمر الله سبحانه أن يحتسبوا الأعمال الصالحات بالاستغفار،

فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول: «اللهم

أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»<sup>(٢)</sup>.

كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه. وقد قال تعالى:

(والمستغفرين بالأسحار)<sup>(٣)</sup> فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار.

وكذلك ختم سورة (المزمل) وهي سورة قيام الليل بقوله

تعالى: (واستغفروا لله إن الله غفور رحيم)<sup>(٤)</sup>.

وكذلك قال في سورة «الحج»: (فاذا أفضتكم من عرفات

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من

قبله لمن الضالين. ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله

إن الله غفور رحيم)<sup>(٤)</sup>.

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن

صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم عن ثوبان

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧ (٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٩

غزوة تبوك وهي آخر غزواته ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأَنْصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم )<sup>(١)</sup> وهي من آخر ما نزل من القرآن .

وقد قيل : إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : ( إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا )<sup>(٢)</sup> فأمره الله تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي » - بتأول القرآن .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه كان يقول : « اللهم اغفر لي خطيئتي ، وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي هزلي وجدتي ، وخطئي ، وعمدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ١١٧ - ١١٨

(٢) سورة النصر

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، لا إله إلا أنت .  
 وفي « الصحيحين » أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال :  
 يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : قل : « اللهم إني ظلمت  
 نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك  
 وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »

وفي « السنن » عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله !  
 علمني دعاء أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فقال : « قل : اللهم فاطر  
 السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ،  
 أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان  
 وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم » قلّه إذا  
 أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك <sup>(١)</sup> .

فليس لأحد أن يظن استغناؤه عن التوبة إلى الله والاستغفار  
 من الذنوب ؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال الله تبارك وتعالى :  
 ( وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً . ليعذب الله المنافقين والمنافقات  
 والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله  
 غفوراً رحيماً ) <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .



فالإنسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة . وقد أخبر الله تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

ونبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « إن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : « ولا أنت يا رسول الله ؟ » قال : « ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل »<sup>(١)</sup> . وهذا لا ينافي قوله : ( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية )<sup>(٢)</sup> ، فإن الرسول ﷺ نفى بآء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت بآء السبب .

وقول من قال : إذا أحب الله عبداً لم تضره الذنوب ، معناه أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصرّ على الذنوب ، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصرّ عليها ، فهو ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف والأئمة ؛ بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله : ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) سورة الحاقة ، الآية : ٢٤

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١).

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) (٢) قال الله تعالى ردأ عليهم: (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (٣).

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين المرسل، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات، وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين، ولا يحتاج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الدم والعقاب، فعليه أن لا يذم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم، فلا يفرق بين من يعمل معه خيراً ولا بين من يفعل معه شراً، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً. وقد قال تعالى: (أم نجمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٥ (٢) سورة الانعام، الآية: ١٤٨

(٣) سورة الانعام، الآيات: ١٤٨، ١٤٩

أم نجعل المتقين كالفجّار) <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( أفجعل المسلمين كاللجّرمين ) <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) <sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ) <sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ( أيعسب الإنسان أن يترك سُدى ) <sup>(٥)</sup> أي مهملاً لا يؤمر ولا ينهى .

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم ! أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ، وكتب لك التوراة بيده ؟ فيكم وجدت مكتوباً عليّ قبل أن أخلق : ( وعصى آدم ربه فغوى ) <sup>(٦)</sup> ؟ قال : بأربعين سنة ؟ قال : فلم تلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن أخلق بأربعين سنة ؟ قال : فحج آدم موسى » أي غلبه بالحجة .

(١) سورة ص ، الآية : ٢٨

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢١

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥

(٤) سورة طه ، الآية : ١٢١

(٥) سورة القيامة ، الآية : ٣٦

وهذا الحديث ضلّت فيه طائفتان : طائفة كدّبت به لماظنوا أنه يقضي رفع لدم والعقاب عمن عصى الله لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون: القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الذين لا يرون أن لهم فعلاً ، ومن الناس من قال : إنا حجاج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ؛ أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه ، فإن موسى يعلم أن النائب من الذنب لا يلام ، وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل : ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين )<sup>(١)</sup> .

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال الله تعالى : ( فاصبر إن وعد الله حقٌ واستغفر لذنبك )<sup>(٢)</sup> ، فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب .

وقال تعالى : ( ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ) (١) . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويساتم .

فالؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل ، صبروا لحكم الله ، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ، ذكر لهم القدر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله ، والرضى قد قيل : إنه واجب ، وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياها ، ورفع درجاته ، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتَّبِعُوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم عليهم بها ، كما قال أحد العلماء : أنت عند الطاعة قدرى ، وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة ، شهدوا بإنعام الله عليهم بها ،

وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة ،  
 وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فزال عنهم بشهود  
 القدر العجيب والمن والأذى ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا  
 إليه منها .

ففي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله  
 ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا  
 أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ  
 بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه  
 لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من  
 ليلته دخل الجنة . »

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ  
 فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم  
 على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إنكم تخطؤون  
 بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي ، فاستغفروني أغفر لكم .  
 يا عبادي كلكم جائع إلا من أطمعته فاستطعموني أطمعكم . يا عبادي  
 كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي كلكم ضال  
 إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي إنكم إن تبغوا ضري

فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفموني . يا عبادي لو أن أواكم وآخركم  
 وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في  
 ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أواكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على  
 أفقر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي لو  
 أن أواكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني  
 فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص البحر  
 إذا غمس فيه الخيط غمسة واحدة . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها  
 لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك  
 فلا يلومن إلا نفسه» (١) .

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يجده العبد من خير وأنه إذا وجد  
 شراً فلا يلومن إلا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم باسان الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة  
 الكونية القدرية المتعلقة بخلقهم ومشيتهم ، وبين الحقيقة الدينية الاصلية  
 المتعلقة برضاه ومحبتهم ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً  
 لما أمر الله به على ألسن رسلة ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر  
 ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ،

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله ، فإن هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلا كافر، ويزن الشرع الذي هو حكم الحاكم، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ. هذا إذا كان عالماً عادلاً ، وإلا ففي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ؛ رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار » (١).

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم محمد ﷺ . فقد ثبت عنه في « الصحيحين » أنه قال : « إنكم تختصمون إليّ وامل بمعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أفضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

فقد أخبر سيد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له ، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة ، إذا حكم الحاكم

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه



بما ظنه حجة شرعية كالبيئة والافرار، وكان الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق. وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك، فأكثر العلماء يقول: إن الأمر كذلك، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وفرق أبو حنيفة رضي الله عنه بين النوعين.

فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله ولا لعيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر.

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر، كان غالطاً من

وجهمين :

أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولا كان على الخضر اتباعه، فإن موسى كان مبعوثاً إلى نبي إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن، والانس، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً؟! ولهذا قال الخضر لموسى : « أنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله

علمكه الله، لا أعلمه»<sup>(١)</sup> وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك، فلما بينما له واقعته على ذلك، فإن خرق السفينة ثم ترقيمها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها، إحسان إليهم، وذلك جائز، وقتل الصائل جائز وإن كان صغيراً، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان، قال له: إن كنت علمت منهم ما علمه الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم، وإلا فلا تقتلهم، رواه البخاري.

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع الله.

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون ظالماً، وقد يكون عادلاً، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه، كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث ابن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم، فهؤلاء أقوالهم

(١) أخرجه الشيخان والترمذي.

يحتج لها بالكتاب والسنة ، وإذا قلنا غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزاً ، أي ليس اتباع أحدهم واجباً على جميع الأمة ، كاتباع الرسول ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .  
وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزّل ، والشرع المؤوّل ، والشرع المبدّل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأخرى ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتم في بدوق صاحبها ووجده .

## فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والاذن والتحرير والبعث والارسال والكلام والجعل ، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه ، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على

ذلك ، كان من أوايائه ، ومن كان عمله فيما ينفذه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه ، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية ، والارادة الدينية هي المنضممة لمحبهه ورضاه المتناولة لما أمر به وجمله شرعاً ودينياً .

وهذه مختصة بالايان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء )<sup>(١)</sup> .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ( ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم )<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ( وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى في الثانية<sup>(٤)</sup> : ( ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر )<sup>(٥)</sup> . وقال في آية الطهارة : ( ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون )<sup>(٦)</sup> . ولما ذكر ما أحلّه وما حرّمه من

(١) سورة الانعام ، الآية : ١٢٥ (٢) سورة هود ، الآية : ١٣٤

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١

(٤) لعله يريد بقوله : الثانية : الآية الثانية بهذا المعنى ، والأولى قوله تعالى : ( فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ) . (٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٦

النكاح قال : ( يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الدين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً )<sup>(١)</sup> .

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً )<sup>(٢)</sup> ، والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فمن أطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .  
وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني : ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون )<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ( وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر )<sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ( أناها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس )<sup>(٥)</sup> .

وأما الأمر الديني فقال تعالى : ( إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون )<sup>(٦)</sup> ، وقال تعالى : ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

(١) سورة النساء ، الآيات : ٢٦-٢٨ (٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣

(٣) سورة النحل ، الآية : ٤٠ (٤) سورة القمر ، الآية : ٥٠

(٥) سورة يونس ، الآية : ٢٤ (٦) سورة النحل ، الآية : ٩٠

إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يمظكم به إن الله كان صميماً بصيراً) (١).

وأما الإذن، فقال في الكوني لما ذكر السحر: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) (٢) أي بمشيئته وقدرته؛ وإلا فالسحر لم يمحاه الله عز وجل.

وقال في الإذن الديني: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٣)، وقال تعالى: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه) (٤)، وقال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله) (٥)، وقال تعالى: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) (٦).

وأما القضاء فقال في الكوني: (فقضاهن سبع سموات في يومين) (٧)، وقال سبحانه: (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكون) (٨).

وقال في الديني: (وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه) (٩) أي

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥ (٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٢١ (٤) سورة الاحزاب، الآيات: ٤٥، ٤٦

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٤ (٦) سورة الحنثرة، الآية: ٥

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٤ (٨) سورة البقرة، الآية: ١١٧

(٩) سورة الاسراء، الآية: ٢٣

أمر ، وليس المراد به : قدر ذلك ، فإنه قد عبد غيره ، كما أخبرني غير موضع ، كقوله تعالى : ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله )<sup>(١)</sup> .

وقال الخليل عليه لقومه : ( أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدوي لإلا رب العالمين )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين )<sup>(٤)</sup> وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم ، ولا تقتضي رضاه بذلك ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ( وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون )<sup>(٥)</sup> .

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ (٤) سورة الكافرون

(٥) سورة يونس ، الآية : ٣١

أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله : ( وقضى ربك )<sup>(١)</sup> بمعنى قدر ، وأن الله سبحانه ما قضى بشي إلا وقع ، وجعل عبّاداً لأصنام ما عبدوا إلا الله ، فإن هذا من أعظم الناس كفرأ بالكتب .

وأما لفظ البعث ، فقال تعالى في البعث الكوني : ( فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فنجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً )<sup>(٢)</sup> .

وقال في البعث الديني : ( هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة )<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت )<sup>(٤)</sup> .

وأما لفظ الارسال فقال في الارسال الكوني : ( ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ( وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته )<sup>(٦)</sup> .

وقال في الديني : ( إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً )<sup>(٧)</sup> وقال

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣ (٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٠

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ (٤) سورة النحل ، الآية : ٣٦

(٥) سورة مريم ، الآية : ٥٣ (٦) سورة الفرقان ، الآية : ٤٨

(٧) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٥



تعالى : ( إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه )<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ( إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ( الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس )<sup>(٣)</sup> .

وأما لفظ الجمل ، فقال فى الكونى : ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار )<sup>(٤)</sup> .

وقال فى الدينى : ( لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً )<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام )<sup>(٦)</sup> .

وأما لفظ التحريم ، فقال فى الكونى : ( وحرّمنا عليه المراضع من قبل )<sup>(٧)</sup> وقال تعالى : ( فانها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض )<sup>(٨)</sup> .

وقال فى الدينى : ( حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به )<sup>(٩)</sup> وقال تعالى : ( حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت )<sup>(١٠)</sup> الآية .

(١) سورة نوح ، الآية : ١ (٢) سورة المزمل ، الآية : ١٥

(٣) سورة الحج ، الآية : ٧٥ (٤) سورة القصص ، الآية : ٤١

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ (٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٣

(٧) سورة القصص ، الآية : ١٢ (٨) سورة المائدة ، الآية : ٢٦

(٩) سورة المائدة ، الآية : ٣ (١٠) سورة النساء ، الآية : ٢٣

وأما لفظ الكلمات، فقال في الكلمات الكونية: ( وصدقت  
بكلمات ربها وكتبه )<sup>(١)</sup>.

وثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه كان يقول: « أعوذ  
بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق، ومن غضبه وعقابه وشر عباده،  
ومن همزات الشياطين وأن يحضرون »<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: « من نزل منزلاً  
فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى  
يرتحل من منزله ذلك »<sup>(٣)</sup>. وكان يقول: « أعوذ بكلمات الله التامات التي  
لا يجاوزهن بر ولا فاجر، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج  
منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقاً يطرق  
بخير يا رحمن »<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢

(٢) ليس في الصحيح هذا اللفظ وإنما رواه مالك في « الموطأ » عن يحيى بن  
سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوائد قال لرسول الله ﷺ إني أروع في منامي فقال  
له رسول الله ﷺ: « قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده  
ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ».

(٣) أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم قالت: قال رسول الله ﷺ: « من نزل  
منزلاً... الحديث »

(٤) روى الطبراني عن خالد بن الوائد أنه شكأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال: إني أجد فزعاً في الليل فقال: « ألا أعلمك كلمات علمنهن جبريل عليه  
السلام وزعم أن عفريتاً من الليل يكيدني فقال: أعوذ بكلمات الله التامات التي

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر، هي التي  
 كون بها الكائنات، فلا يخرج برّ ولا فاجر عن تكوينه ومشيتنه  
 وقدرته. وأما كلماته الدينية، وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه،  
 فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجّار.

وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني،  
 وإذنه الديني، وإرادته الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر، فانه يدخل  
 تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل  
 النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيتة والقدرة والقدر  
 لهم، فقد اقرقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضى والغضب.

وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور،  
 وصبروا على المقدور، فأحبهم وأحبّوه، ورضي عنهم ورضوا عنه.  
 وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو يفضهم،  
 ويفضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم.

وبسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على

---

= لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يخرج فيها ومن شر ما ذرأ في  
 الأرض وما يخرج منها ومن شر نتن الليل وفتن النهار ومن شر طوارق الليل  
 والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمان، ورواه مالك بنحوه.

مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ ، فإنه هو الذي فرق الله تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل النفي والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه قال تعالى : ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله )<sup>(١)</sup> الآية ، وقال تعالى : ( إذ يوحى ربك إلى الملائكة أعي معكم فتبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان )<sup>(٢)</sup> .

وقال في أعدائه : ( وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم )<sup>(٣)</sup> ، وقال : ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً )<sup>(٤)</sup> ، وقال : ( هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكأثم أنيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٢٧ (٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٢

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢

آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعدما ظلموا  
 وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (١)، وقال تعالى: (فلا أقسم  
 بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول  
 شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل  
 من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين  
 ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة  
 للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذابين وإنه لحسرة على الكافرين  
 وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم (٢)، وقال تعالى: (فذكر  
 فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) (٣)، إلى قوله: (إن كانوا  
 صادقين) (٤).

فنزّه سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ عن تقترن به الشياطين  
 من الكهان والشعراء والمجانين، ويبيّن أن الذي جاءه بالقرآن ملك  
 كريم اصطفاه. قال لله تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن  
 الناس) (٥)، وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١ - ٢٢٧

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٨ - ٥٢ (٣) سورة الطور، الآية: ٢٩

(٤) سورة الطور، الآية: ٣٤ (٥) سورة الحج، الآية: ٧٥

الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين (١) ،  
 وقال تعالى : ( قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله ) (٢)  
 الآية ، وقال تعالى : ( فاذا قرأت القرآن فاستمعذ بالله من الشيطان  
 الرجيم ) (٣) إلى قوله : ( وبشرى للمسلمين ) (٤) ، فسماه الروح الأمين  
 وسماه روح القدس ، وقال تعالى : ( فلا أقسم بالخنثس . الجوار  
 الكنثس ) (٥) يعني الكواكب التي تكون في السماء خائسة ، أي منخفضة  
 قبل طلوعها ، فاذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فاذا غربت ذهبت  
 إلى كناسها الذي يحجبها (والليل إذا عسعس) (٦) أي إذا أدبر وأقبل  
 الصبح (والصبح إذا تنفس) (٧) أي أقبل (إنه لقول رسول كريم) (٨)  
 وهو جبريل عليه السلام (ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم  
 أمين) (٩) أي مطاع في السماء أمين ، ثم قال : ( وما صاحبكم بمجنون ) (١٠)  
 أي صاحبكم الذي من الله عليكم به ، إذ بعثه اليكم رسولاً من جنسكم  
 يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة ، كما قال تعالى ( وقالوا

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٩٢-١٩٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٩٧

(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٨ (٤) سورة النحل ، الآية : ١٠٢

(٥) سورة التكوير ، الايتان : ١٥ ، ١٦

(٦) سورة التكوير ، الآية : ١٧ (٧) سورة التكوير ، الآية : ١٨

(٨) سورة التكوير ، الآية : ١٩ (٩) سورة التكوير ، الايتان : ٢٠ ، ٢١

(١٠) سورة التكوير ، الآية : ٢٢

لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً آيَةً (١) وقال تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين) (٢) أي رأى جبريل عليه السلام (وما هو على الغيب بظنين) (٣) أي عتيم، وفي القراءة الأخرى (بضنين) (٤) أي بسخيل بكم العلم ولا يبذله إلا بجمل، كما يفعل من بكم العلم إلا بالمعوض (وما هو بقول شيطان رجيم) (٥) فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً، كما نزه محمداً ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً.

فأولياء الله المتقون هم المقندون بحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما عنه زجر، ويقندون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤبدم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياءه، كراماتهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك.

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر (٦)

(١) سورة الانعام، الايتان: ٨، ٩ (٢) سورة التكوير، الآية: ٢٣

(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٤ (٤) سورة التكوير: الآية ٢٤ وهي قراءة حفص

(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٥

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك.

وتسبيح الحصا في كفه<sup>(١)</sup>، وإتيان الشجر اليه<sup>(٢)</sup>، وحنين الجذع اليه<sup>(٣)</sup>، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس<sup>(٤)</sup>، وإخباره بما كان وما يكون<sup>(٥)</sup>، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في الخندق المسكر من قدر طعام وهو لم ينقص، في حديث أم سليم المشهور<sup>(٦)</sup>، وروى المسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم ينقص، وملاً أوعية المسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص، وهم نحو ثلاثين ألفاً ونسب الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة<sup>(٧)</sup>، ورد له لعين أبي قنادة حين سألت على خده فرجعت أحسن عينيه<sup>(٨)</sup> ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن

(١) رواه البزار والطبراني عن أبي ذر . (٢) رواه مسلم عن جابر .

(٣) في «الصحيحين» .

(٤) في «الصحيحين» والترمذي عن جابر . قال : قال رسول الله ﷺ : لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه .

(٥) أخرج مسلم من حديث له عن عمرو بن أخطب : فأخبرنا ما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا . (٦) في الصحيحين عن جابر .

(٧) في «الصحيحين» عن جابر .

(٨) رواه الطبراني وأبو يعلى . قال الهيثمي في «المجمع» وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم ، وفي إسناد أبي يعلى ، الحناني ، وهو ضعيف .



الأشرف فوقه وانكسرت رجله فمسحها فبرأت<sup>(١)</sup>، وأطعمهم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلاً منهم جزءاً له قطعة، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فضلة<sup>(٢)</sup>. و[قضى] دين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً<sup>(٣)</sup>.

قال جابر: فأمر صاحب الدين أن يأخذ النمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل؛ فشى فيها رسول الله ﷺ، ثم قال لجابر: جد له، فوفاه الثلاثين وسقاً، وفضل سبعة عشر وسقاً ومثل هذا كثير. قد جمعت نحو ألف معجزة.

وكرامات الصحابة والتابعين بمدغم وسائر الصالحين كثيرة جداً، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته<sup>(٤)</sup> وكانت

(١) الذي في البخاري أن الذي كسرت رجله فمسحها رسول الله ﷺ فبرأت هو عبد الله بن عتيك الذي بعثه رسول الله ﷺ لقتل أبي رافع، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعباً ولم تكسر رجله.

(٢) في «الصحيحين» عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا قضى دون حقه أو حلله.

(٤) نزول الظلّة والسرج كان عند قراءة سورة البقرة كما أخرجه البخاري عن أسيد. أما ما حدث له عند قراءة الكهف فقد ورد بلفظ «تفتشته سبحانه» وهو في «الصحيحين».

الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء  
 يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبج ما فيها. وعباد بن بشر  
 وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة،  
 فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا؛ افترق الضوء معها رواء  
 البخاري وغيره.

وقصة الصديق في «الصحيحين» لما ذهب بثلاثة أضياف معه  
 إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعموا  
 وصارت أكثر مما هي قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكر وامرأه؛ فاذا  
 هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وجاء إليه أقوام  
 كثيرون فأكلوا منها وشبعموا.

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله  
 تعالى، وكان يؤتى بمنب يأكله وليس بمكة عنبة<sup>(١)</sup>.

وحاصر بن فهيرة قتل شهيداً، فالتمسوا جسده فلم يقدرُوا  
 عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه حاصر بن الطفيل وقد رفع. وقال  
 عروة: فيرون الملائكة رفعته.

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حساً على رأسها ، فرفته فاذا دلو معلق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

ومفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ ، فشى معه الأسد حتى أوصله مقصده<sup>(١)</sup> .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبراً قسمه<sup>(٢)</sup> ، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ! أقسم على ربك ، فيقول : يارب ! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وجمالتي أول شهيد ، فنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .  
وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً ، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم ، فشربه فلم يضره .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة<sup>(٣)</sup> ، ما دعا قط إلا

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .  
(٢) رواه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » .  
(٣) روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » . فكان لا يدعو إلا استجيب له .

استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .  
 وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلاً يسمى  
 سارية ، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية ! الجبل ،  
 يا سارية الجبل الجبل ، فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين !  
 لقينا عدو أفهزمونا فاذا بصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل . فأسندنا  
 ظهورنا بالجبل فهزمهم الله <sup>(١)</sup> .

ولما عذبت الزنيرة على الاسلام في الله ، فأبت إلا الاسلام  
 وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى ،  
 قالت : كلا والله ، فرد الله عليها بصرها <sup>(٢)</sup> .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت  
 عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت  
 ووقعت في حفرة من أرضها فماتت <sup>(٣)</sup> .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ،  
 وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حلیم يا علي يا عظیم ، فيستجاب له ، ودعا  
 الله بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم ، فأجيب ،

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» ، قال ابن حجر في «الاصابة» ، إسناده حسن .

(٢) أخرج القصة عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في «الاصابة» .

(٣) القصة أخرجها مسلم .

ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدرُوا على المرور بخيولهم ، ففروا  
كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا  
مات ، فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني  
الذي ألقى في النار ، فانه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ،  
وهي ترمي بالخشب من مدّها ، ثم النفث إلى أصحابه فقال : تفقدون  
من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عزوجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ،  
فقال : أتبعني ، فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه  
الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له : أنشهد أني رسول الله ؟ قال :  
ما أسمع ، قال : أنشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقى  
فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي  
بكر الصديق رضي الله عنهما ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى  
من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله ، ووضعت  
له جاريته السم في طعامه فلم يضره ، وخببت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها  
فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه أني درهم في كفه ، وما يلقاه  
سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجي إلى بيته فلا يتغير عددها

ولا وزنها. ومرّت بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرّت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصري<sup>(١)</sup> عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بمض الخوارج - كان يؤذيهم - فخرّ ميتاً.

وصلة بن أشيم<sup>(٢)</sup> مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منّة. ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله عز وجل واستطعمه، فوَقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل النمر، وبقي الثوب عند زوجته زماناً. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل، فلما سلّم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع؛ فوَلّى الأسد وله زئير.

(١) هو أبو سعيد الحسن بن إسار البصري، تابعي جليل توفي رحمه الله بالبصرة سنة ١١٠ هـ.

(٢) هو أبو الصهباء، تابعي من زهاد البصرة وعبادهم، قتل بكابل في ولاية الحجاج سنة ٥٧٥ هـ.

وكان سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> في أيام الحرّة يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره .

ورجل من النخع كان له حمار فاتى في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أهملوني هنيهة ، ثم توضع فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه .

ولمات أويس القرني<sup>(٢)</sup> وجدوا في نياحه أكفاناً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الآثواب .

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوماً في شدة الحر فأظلمته غمامة وكان السبع يحميه ، وهو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم .

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير<sup>(٣)</sup> إذا دخل بيته سبّحت

(١) هو أبو محمد سعيد بن المسيب القرشي الخزومي ، أحد العلماء الأثبات ، والفقهاء الكبار ، توفي رحمه الله سنة ٩٣ هـ .

(٢) هو أويس بن عامر القرني ، من سادات التابعين ، أصله من اليمن ، بشر به الرسول ﷺ ، كما في «صحيح مسلم» ، توفي رحمه الله سنة ٣٧ هـ .

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير أبو عبد الله البصري ، ثقة طاب فاضل توفي رحمه الله سنة ٥٩٥ هـ .

معه آيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط .

ولما مات الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> ، وقعت قلنسوة رجل في قبره ، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر .  
وكان إبراهيم التيمي<sup>(٢)</sup> يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فر بسهلة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله ففتحتها . فإذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلية من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف . فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان بأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد<sup>(٣)</sup> أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضائه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده .

(١) هو الأحنف بن قيس التيمي ، سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم ، توفي رحمه الله سنة ٥٦٧ هـ .

(٢) هو أبو أسماء إبراهيم بن يزيد التيمي ، طاب مشهور توفي رحمه الله سنة ٩٢ هـ .

(٣) من الزاهدين توفي سنة ١٩٧ هـ .



وهذا باب واسع. [و] قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضوع.

وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، وبما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فاذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أنه ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلو درجته وغناه عنها ، لا لتقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم ، فهو لاء أعظم درجة .

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن سياد<sup>(١)</sup> الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بمض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبي ﷺ : « قد خبأتُ لك خبأً » قال : الدخ الدخ . وقد كان خبأً له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ : « احسأ فلن تعدو قدرك » يعني إنما أنت من إخوان الكهان ، والكهان كانوا يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره

(١) وحديثه في (الصحيحين) .

بكثير من المغيبات بما يستترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم »

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه ؟ » قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله ﷺ : « فانه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح حملة العرش ، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش : ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم ، ثم يستنخر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكمهم يزيدون » .

وفي رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .  
والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من

يخبره ببعض الأمور المغيبيّة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيّبات ويمينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون ، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادّعى النبوة ، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد ، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده ، وكان يري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول : هي الملائكة ، وإنما كانوا جنّاً ، ولما أمسكه المسلمون ليقنلوه طعمه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك لم تسم الله فسمى الله فطعمه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردوا ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يحسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة ؟ »

فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: «كذبك وإنه سيعود» فلما كان في المرة الثالثة، قال: دعني حتى أعلمك ما ينفعك: إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (١) إلى آخرها، فانه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب» وأخبره أنه شيطان (٢).

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع الميكانة والتصدية (٣) فنزل عليه الشياطين وتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم، وربما لا يفقه. وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم باللسنة مختلفة، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع. والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال.

ولهذا قد يضرب المصروع [ضرباً كثيراً] حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يعرضه لو كان هو المصروب] وذلك الضرب لا يؤثر في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ (٢) رواه البخاري.

(٣) الميكانة: الصغير، والتصدية: التصفيق.

الإِنسي ، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرها ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يميده من ليلته ، فلا يحج حجاً شرعياً ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبس ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسمى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، وهذا ليس بحج [ مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء ، وإلى غير القبلة ، ومن هؤلاء المحمولين ، من حمل مرة إلى عرفات ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج ] فقال : ألا تكتبوني ؟ فقوا : لست من الحجاج . يعني لم تحج حجاً شرعياً .

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة منها ، أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما نهى الله عنه ورسوله . وقد قال تعالى : ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما

بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً  
 وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون<sup>(١)</sup> فالقول على الله بغير علم ، والشرك  
 والظلم والفواحش ؛ قد حرّمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سبباً  
 لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة  
 والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأُمور التي  
 فيها شرك ، كالاستغاثة بال مخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق  
 وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات  
 الرحمانية .

ومن هؤلاء من إذا حضر مسمع المسكاه والتصدية يتنزّل عليه  
 شيطانه حتى يحوّله في الهواء ويخرجه من تلك الدار ، فإذا حضر رجل  
 من أولياء الله تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت ، سواء كان  
 ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً . فيتصور الشيطان بصورة  
 ذلك المستغاث به ، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث ؛ فيظن أنه  
 ذلك الشخص ، أو هو ملك تصوّر على صورته ، وإنما هو شيطان أضلّه  
 لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلّم المشركين .

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور ، وأعانته على بعض مطالبه ؛ كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته ، وهم يمتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل إلى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال : إذا ماتت فلا تدع أحداً يغسلني ، فإنا أجيء وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ، أي غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطاناً ، وكان قد أضلَّ الميت : وقال : إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك .

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء ، وفوقه نورٌ ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ؛ علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه ، فيزول .

ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو

صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا الغير واحد [ وهوؤلاء  
 منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج  
 إليه صورة ، فيعتقدها الميت ، وإنما هو جنّي تصور بتك الصورة .  
 ومنهم من يرى فارساً قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون  
 ذلك شيطاناً ، وكل من قال : إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا  
 خيالاً ] .

ومنهم من يرى في منامه أن بمض الأكارب ؛ إما الصديق رضي  
 الله عنه أو غيره قد قصّ شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقينه ، أو ثوبه ،  
 فيصبح وعلى رأسه طافية ، وشعره مخلوق ، أو مقصر ، وإنما الجن قد  
 حلقوا شعره أو قصره ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج  
 عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترنون بهم من  
 جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ ، فإن  
 كان الأتسي كافر أو فاسقاً أو جاهلاً ، دخلوا معه في الكفر والفسوق  
 والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل  
 الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب  
 أسماء الله أو بمض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة  
 الإخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فيغورون له



الماء ، ويتقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد يأونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ؛ إما في الهواء ، وإما مدفوعاً ملجأً إليه . إلى أمثال هذه الأمور التي بطول وصفها ، والايان بها ؛ إيمان بالجبت والطاغوت والجبت : السحر . والطاغوت : الشياطين والأصنام وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً ؛ لم يمكنهم الدخول معه في ذلك ، أو مسالته ،

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عمّار المساجد أبعده عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به ، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب ، أقرب إلى الأحوال الشيطانية ، فانه ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أهل الأرض لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله ، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدّت ، إلا

خوخة أبي بكر ، إن من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك .»

وفي «الصحيحين» عنه أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة ، وذكروا من حسناتها وتصاوير فيها ، فقال : « إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك النساوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة .»

وفي «المسند» و«صحيح أبي حاتم»<sup>(١)</sup> عنه ﷺ قال : « إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا القبور مساجد .»

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها .»

وفي «الموطأ» عنه ﷺ أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .»

وفي «السنن» عنه ﷺ أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ حينما كنتم ، فإن صلواتكم تبلغني .»

(١) وهو المعروف بـ «صحيح ابن حبان» ،

وقال ﷺ: « ما من رجل يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتى أُرَدَّ عليه السلام »<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: « إن الله وكَّلَ بقبري ملائكة يُبَاغُونِي عن أمتي السلام ».

وقال ﷺ: « أكثرُوا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلواتكم معروضة عليَّ » قالوا: يا رسول الله! كيف تعرض صلواتنا عليك وقد أُرمت؟ - يقولون: بليت - فقال: « إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء »<sup>(٢)</sup>.

وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام: (وقالوا: لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وُدًّا ولا سُوَاعًا ولا يَفُوثًا وبعوقًا ونسراً)<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس وغيره من السلف: هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم فعبدهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان.

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٣.

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقارنها<sup>(١)</sup> وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب . والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ، ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده ، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه .

وكذلك عبادة الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : « إذا أعيتم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك .

(١) قال النبي ﷺ « لا تحروا بصلاتكم . طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان » أخرجه مسلم .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عبّاد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انمقد، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا ليضلّهم، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان. ولهذا أُهل بعضهم في الهواء فقال: لا إله إلا الله، فسقط، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشقّ وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان.

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضوع.

ولما كان هذا الانقطاع إلى المغارات والبودي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، صارت الشياطين كثيرًا ما تأوي المغارات والجبال، مثل مزارع الدم التي بجبل قاسيون، وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال الروم وخراسان، وجبال الجزيرة، وغير ذلك، وجبل الكمام، وجبل الأحيش، وجبل سولان قرب أردبيل، وجبل شهنك عند تبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس، ويسمونهم: رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن، فالجن رجال، كما أن الإنس رجال، قال تعالى:

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً) (١).

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرائي، جلده يشبه جلد الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي، وإنما هو جنّي. ويقال: بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن هذه الجبال، كما يعرف ذلك بطرق متعددة.

وهذا باب لا يتسع هذا الموضوع لبسطه، وذكر ما نعرفه من ذلك، فإننا قد رأينا ومعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى ما يعرف به جهل ذلك.

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام: قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء؛ وربما صدق به مجملًا، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس، لكونه عنده ليس من الأولياء. ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليًا لله وكلا الأمرين خطأ. ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن المشركين وأهل الكتاب نصرأ، يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله. وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة، والصواب القول

الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم، لا من أولياء الله عز وجل، كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ومن يتولاهم منهم فإنه منهم) (١).

وهؤلاء العبّاد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة، تقترن بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً، ومن الأثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين. قال الله تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفك أنيم) (٢) والأفك: الكذاب. والأنيم: الفاجر.

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية؛ سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين قال الله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة) (٣).

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف:

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١، ٢٢٢

(٣) سورة الانفال، الآية: ٣٥

التصديقية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفيير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط . لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت برده ، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذكرنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون ، ومرّ النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : مررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أستمع لقراءتك فقال : لو علمت أنك تستمع لخيرته لك تحبيراً<sup>(١)</sup> ، أي لحسنته لك تحسيناً ، كما قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : « لله أشد أذناً - أي استماعاً - إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى فينته »<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ لابن مسعود : « اقرأ عليّ القرآن » فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه ابن ماجه وابن حبان ، والحاكم . قال في الزوائد ، إسناده حسن .



فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة (النساء)، حتى انتهيت إلى هذه الآية: ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً )<sup>(١)</sup> قال: «حسبك»، فاذا عيناه تذرفان من البكاء.

ومثل هذا السماع؛ هو سماع النبيين وأتباعهم، كما ذكر الله ذلك في القرآن فقال: ( أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبینا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكياً )<sup>(٢)</sup>.

وقال في أهل المعرفة: ( وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق )<sup>(٣)</sup>.

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان، واقشعرار الجلد، ودمع العين، فقال تعالى: ( الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله )<sup>(٤)</sup> وقال تعالى: ( إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا نزلت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم )<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ٤١ (٢) سورة مريم، الآية: ٥٨

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣ (٤) سورة الزمر، الآية: ٢٣

(٥) سورة الانفال، الآيات: ٢-٤

وأما السماع المحدث ؛ سماع الكف والدف والقصب، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأَكابر من أئمة الدين، يجملون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة ؛ حتى قال الشافعي : خافت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه التغيير، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله، كان نصيب الشيطان فيه أكثر، وهو بمنزلة الخمر، [بل هو] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ؛ نزلت عليهم الشياطين، وتكلمت على السنة بمضهم، وسمحت بعضهم في الهواء، وقد تحصل عداوة بينهم، كما تحصل بين شراب الخمر، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونهم . ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هذا مبعث لصاحبه عن الله، وهو من أحوال الشياطين، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما حله الله، فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أوليائه؟! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة. فلم يكرم الله عبداً بمثل أن يمينه على ما يحبه ويرضاه، ويزيده مما يقربه إليه، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كالمكاشفات ،  
ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للمعادن ،  
ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ،  
من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتبه الله لعبده من هذه الأمور ، إن استعان به على  
ما يحبه الله ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، ويؤمره الله به ورسوله ،  
ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله ، وعلت درجته . وإن استعان  
به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك ، والظلم ، والفواحش ، استحق  
بذلك الدم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ما حية ،  
وإلا كان كأمثاله من المذنبين ، ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب  
الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ،  
وتارة بسلب التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، وتارة  
ينزل إلى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الإسلام ، وهذا يكون فيمن  
له خوارق شيطانية ، فإن كثيراً من هؤلاء يرتد عن الإسلام ، وكثيراً  
منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ،  
ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، إذا أعطى عبداً خرق عادة لم  
يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً  
وتصرفاً ؛ لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة

لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب من الذنوب ، كالزنا ، والسرقه ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ، وكلهم بأمر المرید السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجعلها همته ، ولا يتبجح بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تعويهم بها ؟ إنا في أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي ، فيذهب ذلك وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه المصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الإنس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة ، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تربه أنواراً ، وتحضر عنده من بطله ، ويكون ذلك من الشياطين

يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، وبعمده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد ، يئناً وشمالاً ، ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي ، أو نومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حر كة منه في الظاهر ، وتحمله إلى مكة ، وتأتي به ، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصورا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ، ويقول له : علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة ، فتنبت وبراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير . وقد قال تعالى : ( فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن )<sup>(١)</sup> قال الله تبارك وتعالى : ( كلا ) ولفظ ( كلا ) فيها زجر وتنبية ، زجر

عن مثل هذا القول ، وتذنيه على ما يخبر به ، ويؤمر به بعه ؛ وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دينوية تعدد كرامة ، يكون الله عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ، بل هو سبحانه يتلى عبده بالسراء والضراء ، فقد يمطي النعم الدينوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الايمان والتقوى ، فما كان سببه الكفر والفسوق والمعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر ، وقيام الليل ، والدعاء ، وإعانة تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق والمعصيان وأكل المحرمات ، كالحيات ، والزنابير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرخص ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يفيض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويتكلفه ، ليس له فيه

حبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويجب سماع المكاء والتصديّة<sup>(١)</sup> ويجد عنده مواجيد . فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناول قوله تعالى : ( ومن يمشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين )<sup>(٢)</sup> .

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : ( ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك لليوم تنسى )<sup>(٣)</sup> يعني تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

## فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ إلى جميع الانس والجن ، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الايمان بمحمد ﷺ واتباعه ،

(١) المكاء : الصفير . والتصديّة : التصفيق .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦

(٣) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

فعلية أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسائله فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إنسياً أو جنياً .

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استممت

الجن القرآن ، وولّوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن

بقوله : ( وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين . قلوا يا قومنا

إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجببوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم

من ذنوبكم ويجرمكم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أوائك في ضلال مبين )<sup>(١)</sup>

وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ( قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً . يهدي إلى الرشد فأمنّا به ولن نشرك بربنا

أحداً . وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول سفهنا على الله شططاً ) وأنا ظننا أن إن تقول الانس والجن على الله

كذباً وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً )<sup>(٢)</sup> أي السفهيه منا في أظهر قولي العلماء .

(١) سورة الاحقاف ، الآيات : ٢٩-٣٢ (٢) سورة الجن ، الآيات : ١-٦



وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الانس إذا نزل بالوادي قال : أعوذ بمظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الانس والجن ، ازدادت الجن طغياناً وكفراً ، كما قال تعالى : ( وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن ان يبعث الله أحداً . وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً )<sup>(١)</sup> وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن ينزل القرآن ، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوها ، كما قالوا : ( وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً )<sup>(٢)</sup> وقال تعالى في الآية الأخرى : ( وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون )<sup>(٣)</sup> قالوا : ( وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً . وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً )<sup>(٤)</sup> أي على مذاهب شتى ، كما قال العلماء منهم : المسلم والمشرک ، واليهودي والنصراني ، والسني والبدعي .

(١) سورة الجن ، الآيات : ٦-٧ (٢) سورة الجن ، الآية : ٩

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٠ - ٢١٢

(٤) سورة الجن ، الآيات : ١٠ ، ١١

(وأنا ظننا أن لن نمجز الله في الأرض ولن نمجزه هرباً) <sup>(١)</sup> أخبروا أنهم لا يمجزونه؛ لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه: (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فنؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً. وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) <sup>(٢)</sup> أي الظالمون.

يقال: أقسط إذا عدل، وقسط: إذا جار وظلم (فن أسلم فأوائك تحراً وارشداً. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً. وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً. لنفنتهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً. وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً. قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً. قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) <sup>(٣)</sup> أي ملجأً ومعاذاً (إلا بلاغاً من الله ورسالانه ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً. حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً) <sup>(٤)</sup>.

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به، وهم جن

(١) سورة الجن؛ الآية: ١٢ (٢) سورة الجن، الآيات: ١٣، ١٤

(٣) سورة الجن، الآيات: ١٤-٢٢ (٤) سورة الجن، الآيات: ٢٣، ٢٤

نصيدين ، كما ثبت ذلك في «الصحيح من حديث ابن مسعود وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذ قال : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) <sup>(١)</sup> قالوا : ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد <sup>(٢)</sup> .

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوا بهم ، فقال : «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجذونه أوفر ما يكون لحماً ، وكل بكرة علف لدوابكم » قال النبي ﷺ : « فلا تستنجوا بهما فانها زاد لإخوانكم من الجن » <sup>(٣)</sup> وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فإذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوا بهم ، فما أعد للإنس ولدوا بهم من الطعام والعلف أولى وأحرى .

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الإنس والجن ، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام ، فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد ﷺ أرسل اليهم بأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لأنه عبد الله ورسوله ، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك .

(١) سورة الرحمن ، الآية : ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير ، ورجال إسناده ثقات .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود .

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع ، وأما مؤمنوهم ،  
فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل  
من الانس ، ولم يبعث من الجن رسول ؛ لكن منهم النذُر ، وهذه المسائل  
لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا أن الجن مع الانس على أحوال : فمن كان من  
الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة  
نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في  
ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن في  
أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له ، وهذا  
كان يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في  
مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

هذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فغايته أن يكون في عموم  
أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف  
مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .  
ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله ، إما في الشرك ،  
وإما في قتل معصوم الدم ، أو في المدوان عليهم بغير القتل ، كتمر يرضه  
وإنسانه العلم ، وغير ذلك ؛ وإما في فاحشة ، كجلب من يطلب فيه

الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ ، وإما فاسق ، وإما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تاماً العلم بالشرية فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك ، فهذا مفرور قد مكروا به .

و كثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان ، أو هموه أنه يذفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى : ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم بقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك

أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنَّ أكثرُهم مُؤمنون) (١).

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فإن كان نصرانياً واستغاث بجرس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة جرس أو من يستغيث به . وإن كان منتسباً إلى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ . وإن كان من مشركي الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك . ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان أنه تمثّل لأصحابه المستغِيثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أو لئلك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإعما هو يتوسط الشيطان .

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كانت قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يربني الجنُّ شيئاً برأقاً مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به ، قال : فأخبر الناس به ، ويوصلون إليّ كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون جوابي إليه .

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق - إذا كذب بها من لم يعرفها وقال: إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة، كما يدخل النار بحجر الطلق وتشور النارنج، ودهن الضفادع، وغير ذلك من الحيل الطبيعية، - يتمجب هؤلاء المشايخ ويقولون: نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل. فلما ذكر لهم الخبير: إنكم لصادقون في ذلك، ولكن هذه الأحوال شيطانية، أقرّوا بذلك، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان، ورأوا أنها من الشياطين، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية، فعملوا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب،

وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه، وعلى آله

وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه، صلاة

وسلاماً نستوجب بها شفاعته

آمين

تنبيه : سقط من التعليق رقم ( ٣ ) في الصفحة ( ٣١ ) من رسالة  
الفرقان هذه ما يلي :

وأخرجه أحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الله بن عمر بلفظ :  
قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى  
ذكر فتنة الأُحلاس . فقال قائل : يا رسول الله ! وما فتنة الأُحلاس؟  
قال : « هي فتنة هَرَبٍ وحرَبٍ ، ثم فتنة السراء دَخَلُهَا أو دَخِنُهَا  
من تحت قَدَمَي رَجُلٍ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، وإنما  
ولبي المنقون » .

قال أحمد شاكر في تعليقه عليه : إسناده صحيح .

---



## الحزب المقبول من أجديث الرسول

أليف الفاضل الأجل أبي سعيد محمد بن الفيض الأنصاري  
المقدمة وفيها ثلاثة فصول

### الفصل الأول في فضل الدعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ( وقال ربكم ادعوني استجب لكم )<sup>(١)</sup>.

« الدعاء مخ العبادة »<sup>(٢)</sup>.

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »<sup>(٣)</sup>.

« لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر »<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ والحديث رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه الترمذي بسند ضعيف .

(٣) رواه أحمد ، والترمذي وقال : غريب ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وأقره الذهبي .

(٤) رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، وفيه أبو مودود فضة : لينه الحافظ في «التقريب» ورواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

« إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليك عباد الله بالدعاء »<sup>(١)</sup>  
« ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل ، أو كف عنه  
من السوء ، ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم »<sup>(٢)</sup>  
« من لم يسأل الله يفضب عليه »<sup>(٣)</sup> .

« من فتح له منكم باب الدعاء ، فتحت له أبواب الرحمة ، وما  
سئل الله شيئاً - يعني أحب إليه - من أن يسأل العافية »<sup>(٤)</sup> .  
« إن ربكم حبي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه  
أن يردهما صفراً »<sup>(٥)</sup>

« ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم ، إلا  
أعطاه الله بها إحدى ثلاث . إما أن يعجله دعوته ، وإما أن يدخرها له

---

(١) رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وتمتبه الذهبي بأن فيه عبد الرحمن  
أي: المليكي ، ولينه الحافظ ابن حجر .

(٢) رواه أحمد ، والترمذي ، والحاكم ، وفي سنده ابن لهيعة ، وللحديث شواهد  
من طريق أبي سعيد وعبادة بن الصامت .

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه ، وفي سنده أبو صالح الخوزي ، ضعفه ابن معين ،  
وقال أبو زرعة : لا بأس به .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث غريب ، لانمرقه إلا من حديث أبي بكر  
المليكي ، وهو ضعيف في الحديث .

(٥) رواه أحمد ، وأبو داود والترمذي وقال : حسن غريب . قال ابن حجر  
المسقلاني : سنده جيد .

في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من سوء مثلها » قالوا : إذا نكثر .  
قال : « الله أكثر »<sup>(١)</sup> .

## الفصل الثاني

### في آداب الدعاء

« إذا سأتم الله فاسألوه ببطون أ كفم ولا تسألوه بظهورها »<sup>(٢)</sup>

« [ وكان ] إذ ارفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه »<sup>(٣)</sup>

« [ وكان ] يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه »<sup>(٤)</sup>

قال : كان يجعل إصبعيه حذاء منكبيه ويدعو .

قال : إن رفعت أيديكم بدعة ، ما زاد رسول الله ﷺ على هذا ،

يعني إلى الصدر .

(١) قال المنذري : رواه أحمد ، والبزار ، وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) قال أبو داود : روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب القرظي كلها واهية ، وهذا الطريق أمثلها ، وهو ضعيف أيضاً .

(٣) رواه الترمذي وقال : غريب لانعرفه إلا من حديث حماد بن عيسى تفرد به وهو قليل الحديث ، وقد حدث عنه الناس . وضعفه العراقي .

(٤) رواه مسلم .

« إذ دخل رجل فصلى ، فقال : اللهم اغفر لي وارحمني . فقال رسول الله ﷺ : « عجات أيها المصلي إذا صليت فقمعت ، فاحمد الله بما هو أهله ، وصل عليَّ ، ثم ادعه »<sup>(١)</sup>

قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك ، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « أيها المصلي ادعُ تُحبُّ » . فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي . فقال النبي ﷺ : « سل تعطه ، سل تعطه »<sup>(٢)</sup>

« إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلِّي على نبيك »<sup>(٣)</sup>

كان يستحب الجوامع من الدعاء وبدع ما سوى ذلك<sup>(٤)</sup>  
« لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم »<sup>(٥)</sup>

(١) رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه النسائي بسند صحيح .

(٣) رواه الترمذي موقوفاً على عمر بن الخطاب .

(٤) رواه أبو داود في الصلاة ، والحاكم في الدعاء عن عائشة . قال الحاكم :

صحيح ، وأقره الذهبي ، وجود إسناده النووي في «الأذكار» و «الرياض» .

(٥) رواه مسلم عن جابر .

« إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسأته ، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له »<sup>(١)</sup>

« يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل »  
 قيل : يا رسول الله ! ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت وقد دعوت ، فلم أر يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء »<sup>(٢)</sup>  
 « دعوة الرجل المسلم لأخيه بظهور الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل »<sup>(٣)</sup>

« إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب »<sup>(٤)</sup>  
 « أشركنا يا أخي في دعائك ولا تنسنا ، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا »<sup>(٥)</sup>

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) رواه أحمد في « المسند » والبخاري ومسلم في الدعوات عن أنس .  
 (٢) رواه مسلم عن أبي هريرة . (٣) رواه مسلم عن أبي الدرداء .  
 (٤) رواه أبو داود ، والترمذي ، والطبراني عن عبد الله بن عمرو ، وقد ضعفه الترمذي .  
 (٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .  
 (٦) رواه الترمذي وابن حبان عن أنس .

وفي رواية عن ثابت البناني مرسلًا: «حتى يسأله الملاح، وحتى يسأله شمع نعله إذا انقطع»<sup>(١)</sup>

«إذا ذكر أحداً فدعاه له، بدأ بنفسه»<sup>(٢)</sup>

«من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد، فليكثر الدعاء في

الرخاء»<sup>(٣)</sup>

«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب

دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ»<sup>(٤)</sup>

«يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا

سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو

اجتمعت على أن يفعوك بشي لم يفعوك إلا بشي قد كتبه الله لك،

ولو اجتمعوا على أن يضروك بشي لم يضروك إلا بشي قد كتبه الله

عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(٥)</sup>

(١) رواه الترمذي عن ثابت البناني مرسلًا، ورواه البزار عن أنس مرفوعاً:

«ليسأل أحدكم ربه حاجته أو حوائجه كلها، حتى يسأله شمع نعله إذا انقطع،

وحتى يسأله الملاح» قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير سيار بن حاتم

وهو ثقة. (٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح

(٣) رواه الترمذي، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(٤) رواه الترمذي، والحاكم. وفي سننه صالح المري، وهو ضعيف.

(٥) رواه الترمذي عن عبد الله بن عباس، وقال: حديث حسن صحيح.

« إذا قال العبد : يا رب ايا رب ا قال الله : لبنيك عبدي ، سل  
تُعطى »<sup>(١)</sup> .

قال النبي ﷺ : « أوجب إن ختم » فقال رجل من القوم :  
بأي شيء يختم ؟ قال : بـ « آمين »<sup>(٢)</sup> .

## الفصل الثالث

في أوقات قبول الدعاء

أي الدعاء أسمع ؟ قال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات  
المكتوبات »<sup>(٣)</sup> .

« لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة »<sup>(٤)</sup> .

« إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها  
خيراً إلا أعطاه إياه »<sup>(٥)</sup> .

« هي ما بين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة »<sup>(٦)</sup> .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن عائشة ، وهو ضعيف ، ولكن له شاهد  
عند البزار . (٢) رواه أبو داود عن أبي زهير النميري .

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال : حديث حسن .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة وابن حبان

في « صحيحهما » . (٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٦) رواه مسلم وأبو داود . قال أحمد : أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى

فيها إجابة الدعوة أنها بمدلاة العصر . ومن شاء التفصيل فليراجع « فتح الباري »

« التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس »<sup>(١)</sup>.

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء »<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية عن ابن عباس: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء،  
فممن أن يستجاب لكم »<sup>(٣)</sup>.

« إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك ، فان دعاه كدعاء  
الملائكة »<sup>(٤)</sup>.

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ،  
ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول  
الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين »<sup>(٥)</sup>.

« ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة الوالد ، ودعوة

(١) رواه الترمذي من حديث أنس، وقال: حديث غريب، وقدروي عن أنس  
من غير وجه، وله شواهد، وفي الباب عن جابر عند أبي داود وغيره، وصححه  
الحاكم والذهبي والنووي.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٤) رواه ابن ماجه. قال المنذري: رواه ثقات، لكن ميمون بن مهران لم  
يسمع من عمر.

(٥) رواه أحمد في المسند، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة. وفيه مقال،  
تكلم فيه الحافظ ابن حجر وغيره.



المسافر ، ودعوة المظلوم»<sup>(١)</sup> .

إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة»<sup>(٢)</sup> .

«ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلجم بعضهم بعضاً»<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية : «وتحت المطر»<sup>(٤)</sup> .

«كنا نؤمر بالدعاء عند أذان المغرب» .

### باب الدعاء عند القيام من النوم

«الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»<sup>(٥)</sup> .

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود ، كلهم من حديث أبي جعفر المدني . قال المناوي وغيره : لا يعرف . وقال ابن العربي في «العارضة» : الحديث مجهول ، وربما شهدت له الأصول . (٢) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود ، والدارمي ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواها الحاكم ثم قال : تفرد به يعقوب الزمعي ، قال عنه الحافظ في «التقريب» : صدوق سيء الحفظ .

(٥) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ،  
ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب اغفر لي ،<sup>(١)</sup> .

« لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ،  
وأسألك رحمتك . اللهم زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب  
من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب »<sup>(٢)</sup> .

« اللهم إني أسألك خيراً » .

« الله أكبر » عشر « الحمد لله » عشر « سبحان الله وبحمده  
عشراً ، سبحان الملك القدوس عشر ، استغفر الله عشر ، لا إله إلا الله  
عشراً ، اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة عشر »<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه البخاري والترمذي وأبو داود ، وهو بتمامه : من تعار من الليل  
فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء  
قدير ، وسبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة  
إلا بالله ، ثم قال : رب اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت  
صلاته ، وتعار : أي استيقظ .

(٢) أخرجه أبو داود والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله  
ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال : « لا إله إلا أنت . . . » وفي سنده  
عبد الله بن الوائيد ، وهو المصري ، وهو ليعن الحديث كما في « التقريب » .

(٣) رواه أبو داود ، وفي سنده شريك الهوزني ، لا يعرف ، وفيه بقية بن  
الوايد وهو مدلس ، ولكن رواه أحمد ، وابن أبي شيبة ، وأبو داود بلفظ :  
كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ، وإسناده صحيح .

« سبحان رب العالمين » .

« سبحان الله وبحمده » .

اللهم لك الحمد ، أنت قيم<sup>(١)</sup> السماوات والأرض ومن فيهن ،  
ولك الحمد ، أنت نور<sup>(٢)</sup> السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ،  
أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ،  
والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك  
أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت  
وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما  
أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا  
أنت ولا إله غيرك<sup>(٣)</sup> .

« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات  
لأولي الأبواب . . . (٤) إلى ختم السورة .

(١) أي حافظها وراعيها . (٢) أي منورها ، وبك يهتدي من فيهما .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والدارمي .

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ٩٠ - ٢٠٠ . روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنها قال : بت عند خاتي ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ، ثم رقد ، فلما كان ثلث الليل الآخر ، قعد فنظر إلى السماء فقال :  
« إن في خلق السماوات والأرض . . . الآيات ، الحديث . . . »

باب الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

« اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (١).

« سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك » (٢).

« الله أكبر كبيراً » (٣).

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه » (٤).

« الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » (٥).

(١) رواه مسلم عن عائشة . (٢) رواه أبو داود والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ، وقد روي من غير وجه بإسناد جيد .

(٣) رواه مسلم ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » استفتح به رجل فقال : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، فقال ﷺ : « عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء » .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي بسند حسن ، والهمز : المؤتة ، نوع من الجنون . والنفخ : الكبر . والنفث : الشعر ، والمراد به الشعر المذموم .

(٥) رواه أبو داود بسند صحيح .

## باب القنوت في الوتر

« اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تبارك ربنا وتعاليت »<sup>(١)</sup> .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونثني عليك الخير ولا نكفرك ، ونخلع وترك من يفجرك »<sup>(٢)</sup> .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، ونخشى عذابك الجذ ، ونرجو رحمتك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق »<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وأحمد ، والطبراني ، قال الترمذي : ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيئاً أحسن من هذا .  
ورواه ابن أبي شيبة ، وابن عساكر بسند صحيح .  
(٢) هو من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه .  
(٣) وهو أيضاً من دعاء عمر بن الخطاب .

« اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ،  
وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أئنتت على نفسك »<sup>(١)</sup> .  
« سبحان الملك القدوس »<sup>(٢)</sup> ثلاثاً .

### باب إجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان

« إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر الله  
أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال :  
أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله . ثم قال :  
حي على الصلاة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : حي على  
الفلاح ، قال : لا حول قوة إلا بالله . ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال :  
الله أكبر الله أكبر . ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله »<sup>(٣)</sup> .  
« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده

(١) رواه مسلم وأصحاب « السنن » عن عائشة .

(٢) روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أبي بن كعب قال : كان رسول  
الله ﷺ إذا سلم من الوتر قال : « سبحان الملك القدوس » ، وفي رواية النسائي  
وابن السني : « سبحان الملك القدوس » ثلاث مرات .

(٣) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المؤذن . . . » ، وقال في آخره : « ثم قال :  
لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » .

ورسوله ، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً ، وبالاسلام ديناً»<sup>(١)</sup> .  
 « اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً  
 الوسيلة والفضيلة وابته مقاماً محموداً الذي وعدته »<sup>(٢)</sup> .  
 « اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك  
 فاغفر لي »<sup>(٣)</sup> .  
 « أقامها الله وأدامها »<sup>(٤)</sup> .

### باب الدعاء بعد ركعتي الفجر

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ،  
 وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ،  
 وأمامي نوراً ، وخافتي نوراً ، واجعل لي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وعصبي

(١) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :  
 « من قال : حين يسمع المؤذن : أشهد . . . وفي آخره : غفر له ذنبه » .  
 (٢) رواه البخاري ، وأبو داود وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله  
 ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم . . . وفي آخره : حلت له  
 شفاعتي يوم القيامة » .

(٣) رواه أبو داود ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » ، وإسناده ضعيف ، فيه  
 أبو كثير ، وهو مجهول ، كما قال النووي وغيره .

(٤) رواه أبو داود ، وإسناده ضعيف ، فيه مجهول وضعيفان ، ولذلك جزم  
 النووي والمسقلاني بأنه حديث ضعيف .

نوراً، ولحمي نوراً، وودي نوراً، وشعري نوراً، وبشري نوراً، واجعل  
في نفسي نوراً، واعظم لي نوراً، اللهم أعطني نوراً» (١).

### باب الدعاء عند الخروج من البيت

« بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل  
أو نضل أو نظلم أو نظلّم أو نجهل أو يُجْهَلَ علينا » (٢).

« بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (٣).

« اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضَل ، أو أظلم أو أُظلم ، أو  
أجهل أو يُجْهَلَ عليَّ » (٤).

### باب الدعاء عند دخول المسبب

أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي من حديث أنس ، والحديث  
بتمامه : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : - يعني  
إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له :  
كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي : وهو حديث

صحيح .



الرجيم»<sup>(١)</sup>.

« بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله »<sup>(٢)</sup>.

« رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك »<sup>(٣)</sup>.

باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك له الحمد ، بيده الخير

وهو على كل شيء قدير »<sup>(٤)</sup>.

« اللهم أجرني من النار ( سبع مرات ) » .

« اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، وعملاً متقبلاً ، ورزقاً طيباً »<sup>(٥)</sup>.

باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

« بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء

وهو السميع العليم ( ثلاث مرات ) »<sup>(٦)</sup>.

(١) قال النووي في « الاذكار » : حديث حسن ، ورواه أبو داود بسند جيد .

(٢) قال النووي في « الاذكار » : روينا في كتاب ابن السني عن أنس رضي

الله عنه . قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال : « بسم الله اللهم صل على محمد » .

(٣) رواه ابن السني بلفظ : « اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك » .

(٤) رواه الطبراني من رواية يحيى بن عبد الله البالقي ، وهو ضعيف كما في « التقريب » .

(٥) رواه أحمد وابن ماجه وابن السني عن أم سلمة .

(٦) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث حسن

غريب صحيح .

(توحيد - ٥٤)

« اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت (ثلاث مرات) »<sup>(١)</sup> .

« رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً (ثلاث مرات) »<sup>(٢)</sup> .

« أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا

محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين »<sup>(٣)</sup> .

« أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله ، والكبرياء والعظمة لله ،

والخلق والأمر ، والليل والنهار ، وما سكن فيها لله »<sup>(٤)</sup> .

« اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً ، وأوسطه نجاحاً ، وآخره

فلاحاً يا أرحم الراحمين ، أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين » .

اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه الترمذي عن ثوبان بلفظ : « من قال حين يمسي : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، دون ذكر ثلاث مرات . وفي إسناده سعد ابن المرزبان ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي عنه : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وأعله صح عنده من طريق آخر . ورواه أبو داود والنسائي . قال النووي : باسناد جيدة .

(٣) حديث صحيح أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد «المسند» عن عبد الرحمن

ابن أبزي ، وأخرجه أحمد ، والدارمي ، وابن السني في «اليوم الليلة» .

(٤) ذكره النووي في «الاذكار» برواية ابن السني .

وهدها ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ( في الصباح )<sup>(١)</sup> .  
أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين .

اللهم إني أسألك خير هذه الليلة ، فتحها ونصرها ونورها  
وبركتها وهداها ، وأعوذ بك من شر ما فيها وشر ما بعدها ( في  
المساء ) .

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فنك وحدك  
لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ( في الصباح ) .

اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فنك وحدك لا  
شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ( في المساء ) .

اللهم إني أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك  
وجميع خلقك أنك أنت الله ؛ لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن  
محمداً عبدك ورسولك ( في الصباح ) .

اللهم إني أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك  
وجميع خلقك أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ،  
وأن محمداً عبدك ورسولك ( في المساء ) .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، حسبي الله لا إله إلا  
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ( سبع مرات ) .

(١) رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري .

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك  
ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك  
عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت<sup>(١)</sup> .

اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي .

اللهم استر عورائي ، وآمن روعاتي .

اللهم احفظني من بين يديّ ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي  
ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي<sup>(٢)</sup> .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل  
شيء قدير<sup>(٣)</sup> .

( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السماوات  
والأرض وعشياً وحين تظهرون . يخرج الحي من الميت ويخرج الميت  
من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون )<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه البخاري عن شداد بن أوس

(٢) أخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وصححه الحاكم .

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» عن عبدالله بن مسعود رضي الله قال: كان  
النبي ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله . لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد . . . » .

(٤) سورة الروم ، الآيات : ١٧-١٩ روى الطبراني عن عبد الله بن عباس عن =

اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض ، رب كل شيء  
ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر  
الشیطان وشرکه <sup>(١)</sup> .

اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ،  
وإليك المصير <sup>(٢)</sup> ( في الصباح ) .

اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ،  
وإليك النشور <sup>(٣)</sup> ( في المساء ) .

أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده ، لا  
شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك  
خير ما في هذه الليلة . وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه  
الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل ، ومن سوء العكبر

= رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين  
تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون .. الآية بكاملها أدرك  
ما فاتته في يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته ، ورواه أبو داود ،  
وضعه البخاري في « التاريخ الكبير » ، وفي كتابه « كتاب الضعفاء » .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر<sup>(١)</sup>  
(في المساء) .

أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر والكفر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر<sup>(٢)</sup> (في الصباح) .

(حَمَّ . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) <sup>(٣)</sup> .

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه مسلم دون لفظة « والكفر » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم أيضاً دون لفظة « والكفر » عن ابن مسعود .

(٣) سورة المؤمن ، الآيات : ١-٣

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : وكلفني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة المال ، وفي آخر الحديث : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإنه لن يزال معك من الله تعالى حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ( ثلاث مرات )  
 ( هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم .  
 هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز  
 الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور  
 له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز  
 الحكيم )<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً  
 أحد ) « ثلاث مرات » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن غاسق إذا

(١) سورة الحشر ، الآيات : ٢٢-٢٤ وأخرج أحمد في « المسند » عن معقل  
 ابن يسار عن النبي ﷺ : « من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من  
 الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف  
 ملك يصلون عليه حتى يمسي ، ورواه الترمذي وقال : حديث غريب لا نعرفه  
 إلا من هذا الوجه ورواه ابن السني ، والترمذي بإسناد فيه ضعف

وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد (١) « ثلاث مرات » .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ) (٢) « ثلاث مرات » .

اللهم بك أحوّل ، وبك أصوّل ، وبك أقاتل ( يس . والقرآن الحكيم . إناك لمن المرسلين ) (٣) إلى آخر السورة .

### باب الدعاء عند الخروج من المسجد

اللهم إني أسألك من فضلك (٤) « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله » (٥) ، « رب اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » (٦) .

(١) سورة الفلق (٢) سورة الناس

(٣) سورة يس ، الآيات : ١-٣

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي وابن ماجه .

(٥) رواه ابن السني بلفظ : بسم الله اللهم صل على محمد .

(٦) رواه ابن السني اذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لي واذا خرج : اللهم

افتح لي أبواب فضلك .



## باب الدعاء عند دخول البيت

اللهم إني أسألك خير المواج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وعلى  
الله ربنا توكلنا<sup>(١)</sup>.

## باب الدعاء عند الأكل والشرب

بسم الله، وعلى بركة الله .  
الحمد لله الذي أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل .  
بسم الله أوله وآخره<sup>(٢)</sup> .  
الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مودع ولا  
مستغنى عنه، ربنا<sup>(٣)</sup> .  
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين<sup>(٤)</sup> .  
الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوَّغ، وجعل له مخرجاً<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري .

(٢) رواه أبو داود، والترمذي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:  
« إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فانه نسي أن يذكر اسم الله  
تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره . قال الترمذي: حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري عن أبي أمامة .

(٤) رواه أبو داود، والترمذي عن أبي سعيد الخدري .

(٥) رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح .

اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه .

اللهم بارك لهم فيما رزقهم واغفر لهم وارحمهم<sup>(١)</sup> .

باب الدعاء عند دخول الخلاء وفروجه

اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث<sup>(٢)</sup> .

أعوذ بالله من الخبث والخبائث . بسم الله ( عند الدخول ) .

غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ( بعد الخروج )<sup>(٣)</sup> .

باب الدعاء قبل الوضوء وبعدہ

بسم الله الرحمن الرحيم . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم اجعلني من التوَّابين واجعلني

من المتطهرين<sup>(٤)</sup> ( بعد الوضوء ) .

(١) رواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن بسر .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .

(٣) روى أبو داود ، والترمذي أن رسول الله ﷺ كان يقول : « غفرانك »

وروى النسائي ، وابن ماجه باقيه .

(٤) روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« ما منكم من أحد يتوضأ ، ثم قال : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده . . . » وزاد

الترمذي : « اللهم اجعلني من التوَّابين واجعلني من المتطهرين » وسندها صحيح .

### باب الدعاء بعد التكبيرة الأولى

اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ،  
اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل  
خطاياي بالماء والثلج والبرد<sup>(١)</sup> .

وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً وما أنا  
من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ،  
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت  
نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا  
أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ،  
واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك  
والخير كله في يدك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت  
وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك<sup>(٢)</sup> ، الله أكبر كبيراً (ثلاثاً)  
والحمد لله كثيراً (ثلاثاً)<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، وأحمد ، والشافعي ،

والطبراني . (٣) رواه أبو داود ، والطحاوي بسند حسن .

وسبحان الله بكرة وأصيلاً<sup>(١)</sup> (ثلاثاً) أعوذ بالله من الشيطان  
الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه<sup>(٢)</sup>.

باب الدعاء في الركوع وبعده وفي السجود وبين السجرتين

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي<sup>(٣)</sup>.

سبوح قدوس رب الملائكة والروح<sup>(٤)</sup>.

سمع الله لمن حمده<sup>(٥)</sup>.

اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء

ما شئت من شيء بعد.

اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت

من شيء بعد أهل التناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد.

اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد

منك الجد، ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، سبحان ربي

العظيم «ثلاثاً» سبحان ربي الأعلى «ثلاثاً» سبحان ذي الجبروت

والملكوت والكبرياء والعظمة.

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارقطني،

والحاكم وصححه هو وابن حبان، والذهبي . (٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه البخاري ومسلم .

اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك  
سمعي وبصري ونخي وعظمي وعصبي .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وما بينهما ،  
وملء ما شئت من شيء بعد .

اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي  
للذي خلقه ، وصوره ، وشفقَّ سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن  
الخالقين .

اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دِقَّةً ، وجِلَّةً ، وأوله ، وآخره ،  
وعلايته ، وسره .

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ،  
وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .  
اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني ، رب اغفر لي .

### باب الشُّهُر والصلاة على النبي ﷺ والرعاء

التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي  
ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا  
إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل

إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت  
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة  
المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات  
اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم .

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت  
فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .  
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،  
وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله  
إلا أنت .

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ،  
وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً  
صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك  
لما تعلم ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

### باب الدعاء والذكر بعد الصلاة

الله أكبر ، أستغفر الله ( ثلاثاً ) اللهم أنت السلام ومنك  
السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام . رب أعني على ذكرك

وشكرك وحسن عبادتك . لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجند منك الجد . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء . لا حول ولا قوة إلا بالله . لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن . لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر . سبحان الله ( ثلاث وثلاثون ) والحمد لله ( ثلاث وثلاثون ) والله أكبر ( أربع وثلاثون ) الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم . قل أعوذ برب الفلق ( إلى آخرها ) ، قل أعوذ برب الناس ( إلى آخرها )

### باب الدعاء عند عيادة المريض

أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . لا بأس طهور إن شاء الله تعالى . قل أعوذ برب الناس ( إلى آخر السورة ) بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى سقيمنا بإذن ربنا . بسم الله ( ثلاثاً ) أعوذ بمزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ( سبعاً ) بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقبك . أعيد كما بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . بسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نَعَّار ، ومن شر حر النار . ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، فأجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع .

اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشي لك إلى جنازة .  
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .



باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت

لا إله إلا الله، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي  
واخلف لي خيراً منها .

اللهم اغفر لأبي سلامة، وارفع درجته في المهدين، واخلفه في  
عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره، ونور  
له فيه، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم،  
والحمد لله رب العالمين . يس والقرآن الحكيم . (السورة) .

باب الدعاء في صفة الجنائز ودفنها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين... (السورة)

اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع  
مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب  
الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من  
أهله، وزوجاً خيراً من زوجته، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر  
ومن عذاب النار .

اللهم اغفر لحيننا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ،  
وذكرنا وأثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ، ومن توفيته  
منا فتوفه على الايمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتننا بعده .

اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك ، وحبل جوارك ، فقه من  
فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق .

اللهم اغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم .

اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت هديتها إلى الاسلام ،  
وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلايتها ، جئنا شفعا  
فاغفر له .

اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً وأجرأ .

اللهم عبدك وابن عبدك كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به مني ، إن كان محسناً فزدني إحسانه ،  
وإن كان مسيئاً فاغفر له ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتننا بعده .

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله (آلّم) . ذلك الكتاب لا ريب  
فيه) . (إلى قوله: (وأولئك هم المفلحون) <sup>(١)</sup> عند رأسه (آمن الرسول بما  
أنزل إليه من ربه والمؤمنون) <sup>(٢)</sup> ... إلى آخر السورة. عند رجليه .

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ - ٥

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥

## باب الدعاء عند زيارة القبور

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله  
بكم للاحقون . نسأل الله لنا ولكم العافية .

السلام عليكم يا أهل القبور ، يفر الله لنا ولكم ، أتمم سلفنا  
ونحن بالآثر .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا كما توعدون ، غداً مؤجلون ،  
وإنا إن شاء الله بكم للاحقون .

اللهم اغفر لأهل البقيع الفرقد ، السلام على أهل الديار من  
المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا  
إن شاء الله بكم للاحقون .

## باب دعاء الاستغارة

اللهم إني أستخبرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من  
فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام  
الغيبوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي  
وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي ثم  
بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي  
وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني  
عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به .

## باب دعاء الحاجة

لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ،  
والحمد لله رب العالمين .

أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل  
برٍّ ، والسلامة من كل إثمٍ ، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا همماً إلا  
فرجته ، ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين .

## باب خطبة الحاجة بالنطع وغيره وما يتعلق به

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور  
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضله  
فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله  
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)<sup>(١)</sup>  
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة...) إلى قوله :  
(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)<sup>(٢)</sup>  
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم  
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ (٢) -سورة النساء ، الآية : ١

(٣) سورة الاحزاب ، الآيتان : ٧٠ ، ٧١

بارك الله لك ، وبارك عليكما . وجمع بينكما في خير .  
اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك  
من شرها وشر ما جبلتها عليه .

بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان مارزقتنا .

### باب الدعاء عند دخول السوق

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت  
وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . بسم الله ،  
اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها  
وشر ما فيها .

اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها صفقة خاسرة .

### باب الدعاء عند الكرب والفضب

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .  
اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلي إلي نفسي طرفة عين ، وأصاح  
لي شأني كله ، لا إله إلا أنت .

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفي قبضتك ، ناصيتي  
بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو  
لك سميت به نفسك ، وأنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ،

أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ،  
وجلاء همي وغمي . يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث . لا إله إلا الله  
المعظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب  
السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم . أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم .

باب الدعاء عند صباح الريق ونهيق الحمار

اللهم إني أسألك من فضلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

باب الدعاء في السفر ومشايمة المسافر

الله أكبر ( ثلاثاً ) .

( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا

لمنقلبون ) (١) .

اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والنقوى ، ومن العمل ما  
ترضى ، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطوّل لنا بمره ، اللهم أنت الصاحب  
في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر ،  
وكتابة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل ، آيئون تائبون عابدون  
لربنا حامدون .

اللهم إني أعوذ بك من وعناء السفر ، وكآبة المنقلب ، والخور  
 بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال .  
 أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، سمع سامع بحمد الله ونعمته ،  
 وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا حافظنا وأفضل علينا عانداً بالله من النار ،  
 الله أكبر ( ثلاثاً ) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله  
 الحمد وهو على كل شيء قدير ؛ آيئون تائبون ، ساجدون لربنا حامدون ،  
 صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . اللهم منزل  
 الكتاب ، سريع الحساب . اللهم اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم .  
 اللهم إنا نجملك في نحورهم ، ونموذ بك من شرورهم .  
 اللهم أنت عضدي ونصيري . بك أحول وبك أصول وبك أقاتل .  
 بسم الله ، الحمد لله ( سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .  
 وإنا إلى ربنا لمنقلبون )<sup>(١)</sup> الحمد لله ( ثلاثاً ) والله أكبر ( ثلاثاً )  
 سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ،  
 يا أرض ! ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشرك ما فيك ، وشر  
 ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن  
 الحية والعقرب ، ومن شر ساكن البلد ومن والد وما ولد .

(١) سورة الزخرف ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ ،

استودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك . استودع الله دينكم  
وأمانتكم وخواتيم أعمالكم . زدك الله التقوى، وغفر ذنبك، وبسر لك  
الخير حيثما كنت .

اللهم اطو له البعد ، وهون عليه السفر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قل يا أيها الكافرون . . . إلى آخر السورة .

إذا جاء نصر الله والفتح . . . السورة .

قل هو الله أحد . . . السورة .

قل أعوذ برب الفلق . . . السورة .

قل أعوذ برب الناس . . . السورة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ،  
ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب  
الرياح وما ذرّين ، فاننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ بك  
من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

اللهم بارك لنا فيها ( ثلاثاً ) .

اللهم ارزقنا جناها وحببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا .



## باب دعاء الاحرام والتلبية

لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك  
والملك لا شريك لك .  
لبيك اللهم لبيك وسعديك ، والخير في يديك لبيك والرغبات  
اليك والعمل .  
اللهم إني أسألك رضاك والجنة ، وأسألك العفو برحمتك من  
النار .

## باب دعاء الطواف والمقام والصفاء والمروة

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله .  
اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة . ربنا آتنا  
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .  
اللهم قنني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة لي  
بخير ، ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ) .  
اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي ، فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي ،  
فأعطني سوؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاعف لي ذنوبي .

اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ، و يقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ، ورضى بما قسمت لي يا أرحم الراحمين (إن الصفا والمروة من شعائر الله) <sup>(١)</sup> أبدأ بما بدأ الله به: لا إله إلا الله وحده، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

اللهم إنك قلت: ادعوني أستجب لكم، وإنك لا تخلف الميعاد ، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى توفاني وأنا مسلم ، رب اغفر وارحم أنت الأعز الأكرم .

باب دعاء عرفته <sup>(٢)</sup> بعرفة

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما تقول .

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك ما بي ، ولك ربي تراني .

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسواس الصدر ، وشتات الأمر .

(٢) في الأصل : العرفة

(١) سورة البقرة ؛ الآية : ١٥٨

اللهم إني أسألك من خير ما تجيء به الريح ، وأعوذ بك من شر ما تجيء به الريح ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يجبي ويميت وهو على كل شيء قدير .

اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي قلبي نوراً .

اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأعوذ بك من وساوس الصدر ، وشتات الأمر ، وفننة القبر .

اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الريح ، وشر بوائق الدهر .

ليبيك اللهم لبيك ، إنما الخير خير الآخرة ، الله أكبر ، والله الحمد ، الله أكبر والله الحمد ، الله أكبر والله الحمد . لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد .

اللهم اجعله حجاً مبروراً ، وذنباً مغفوراً .

اللهم اهدنا بالهدى ، وزيننا بالنقوى ، واغفر لنا في الآخرة والأولى .

اللهم إني أسألك رزقاً جلالاً طيباً مباركاً .

اللهم إنك أمرتني بالدعاء ولك الاجابة وإنك لا تخلف الميعاد ، ولا تنكث عهدك .

اللهم ما أحببت من خير فحببه إلينا ويسره لنا ، وما كرهت  
من شر فكفره إلينا وجنبناه ، ولا تنزع منا الاسلام بعد إذ هديتنا  
( ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )<sup>(١)</sup>.

اللهم إني أسألك من خير ما سألك به نبيك ﷺ ، وأعوذ بك  
من شر ما استعاذ به نبيك ﷺ ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا  
وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين )<sup>(٢)</sup> ( رب اجعلني مقيم الصلاة ومن  
ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي والمؤمنين يوم يقوم  
الحساب )<sup>(٣)</sup> ( رب ارحمهما كما ربياني صغيراً )<sup>(٤)</sup> ( ربنا اغفر لنا  
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا  
ربنا إنك رؤوف رحيم )<sup>(٥)</sup> ( ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم )<sup>(٦)</sup>  
( وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم )<sup>(٧)</sup> ولا حول ولا قوة إلا بالله  
العلي العظيم .

اللهم إنك تعلم وترى مكاني وتسمع كلامي ، وتعلم سري وعلايتي ،  
ولا يخفى عليك شيء من أمري ، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ (٢) سورة الاعراف ، الآية : ٢٢

(٣) سورة ابراهيم ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١ (٤) سورة الاسراء ، الآية : ٢٤

(٥) سورة الحشر ، الآية : ١٠ (٦) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧

(٧) سورة البقرة ، الآية : ١٢٨

الوجل المشفق المقر المعترف بذنبي ، أسألك مسألة المسكين ، وأتبهل  
إليك ابتهاج المذنب الدليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت  
لك رقبتك ، وفاضت لك عيناه ، ونحل لك جسده ، ورغم لك أنفه .  
اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيماً ، وكن لي رؤوفاً رحيماً ،  
يا خير المسؤولين يا خير المعطين ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب  
العالمين ؛ آمين .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على  
كل شيء قدير (مائة مرة) قل هو الله أحد .. السورة (مائة مرة)  
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم  
إنك حميد مجيد ، وعلينا معهم (مائة مرة) .

#### باب الدعاء عند رؤية الهلال

اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربي  
وربك الله ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد .  
آمنت بالذي خلقك ( ثلاث مرات ) الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا  
وجاء بشهر كذا ، أعوذ بالله من شر هذا .

اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان

#### باب دعاء الإفطار

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت

العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله .

اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر ذنوبي .

باب الرعاء في ليلة القدر

اللهم إنك عفوفٌ تحب العفو فاعف عني .

باب الرعاء عند لبس الثوب الجرب

اللهم لك الحمد كما كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ،  
وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، الحمد لله الذي كساني هذا  
ورزقنيه من غير حول ولا قوة ، الحمد لله الذي رزقني من اللباس  
ما أتجمل به في الناس ، وأوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي . الحمد  
لله الذي كساني ما أوارني به عورتني وأتجمل به في حياتي .

باب دعاء كفارة المجلس

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك  
وأتوب إليك .

باب دعاء حفظ القرآن

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن  
أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني .  
اللهم بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعزة

التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي  
حفظ كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك  
عني .

اللهم بديع السماوات والأرض ، ذا الجلال والاكرام ، والعزة  
التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمان بجلالك ونور وجهك أن تنور  
بكتابك بصري ، وأن تطلق بين لساني ، وأن تفرح به عن قلبي ، وأن  
تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فانه لا يميني على الحق غيرك ،  
ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العظيم .

### باب الدعاء اذا رأى مبتلى

الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضاني على كثير ممن  
خلق تفضيلاً .

### باب دعاء قضاء الدين

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز  
والكسل ، وأعوذ بك من البخل والجبن ، وأعوذ بك من غلبة الدين  
وقهر الرجال .

اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك .

## باب دعاء الاستسقاء

اللهم اسق عبادك وبهيمتك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت .  
 اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير  
 آجل . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . لا إله  
 إلا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الله الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل  
 ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين .

## باب دعاء الرباع والرعد والمطر

اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ،  
 وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به .

اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت  
 به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به .

اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً .

اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه .

اللهم سقياً نافعاً . اللهم صيباً نافعاً .



## باب دعاء التوبة

اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبداً .  
اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من

عملي .

## باب صلاة النسيح

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

## باب الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا  
وبارك لنا في مدناً .  
اللهم كما أربتنا أوله فأرنا آخره .

## باب الدعاء عند رؤية المرأة

اللهم أنت حسنت خلقتي فحسن خلقتي .  
اللهم كما حسنت خلقتي فأحسن خلقتي ، وحرّم وجهي على النار .  
الحمد لله الذي سوّى خلقتي وأحسن صورتي ، وزان مني ما شان من غيري .  
الحمد لله الذي سوّى خلقتي فعدّله ، وصور صورته وجهي فأحسنها وجعلني  
من المسلمين .

### باب اسم الله الأعظم

اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ،  
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .  
اللهم إني أسألك بان لك الحمد ، لا إله إلا أنت الحنان المنان  
بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام . يا حي يا قيوم أسألك .  
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . ألم . الله لا إله إلا  
هو الحي القيوم . لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

### باب أسماء الله تعالى

هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ،  
السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ،  
المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط  
الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ،  
اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير  
الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ،  
الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل  
القوي ، المنين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ،  
المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ،

المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي  
المتعالي، البر، التوَّاب، المنتقم، العفو، الرؤوف، ملك الملك،  
ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار،  
النافع، النور، الهادي، البديع. الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

### باب الاستعاذة

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء  
القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن  
والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل،  
والهرم، وعذاب القبر.

اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّتها أنت خير من زكاها، أنت  
وليها ومولاها.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن  
نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة  
نقمتك، وجميع سخطك.

اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ، ومن شر ما لم أعمل .  
 اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك  
 أنبت ، وبك خاصمت .

اللهم إني أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت ، أن تضلي ، أنت الحي  
 الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون

اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك من  
 أن أظلم أو أظلم .

اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .  
 اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فانه بئس الضجيع ، وأعوذ بك  
 من الخيانة فانهما بئست البطانة .

اللهم إني أعوذ بك من البرص ، والجذام ، والجنون ، ومن  
 سيء الأسقام .

اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء  
 اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري ، وشر لساني وشر  
 قلبي وشر منيبي .

اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من الترددي ، ومن  
 الفرق والحرق والمهرم وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند

الموت . وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً . وأعوذ بك من أن أموت لديناً .

اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع .

اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي .

اللهم إني أسألك الجنة ( ثلاث مرات ) .

اللهم إني أستجيرك من النار ( ثلاث مرات ) أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر ، بأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبراً ، أعوذ بالله من الكفر والدين .

#### باب جامع الدعاء

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم

به مني .

اللهم اغفر لي جدّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي .

اللهم اغفر لي ما قدّمتم وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،

وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل

شيء قدير .

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي

التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة  
زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر .

اللهم إني أسألك الهدى والنقى والعتاف والغنى . اللهم اهديني  
وسدّدني .

اللهم اغفر لي وارحمني ، واهدني وعافني وارزقني .

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .  
رب أعني ولا تمن عليّ ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا  
تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى عليّ .  
رب اجعلني لك شاكراً ، لك ذاكراً ، لك راهباً ، لك مطواعاً ، لك  
مخبتاً ، إليك أوّاهاً منيباً رب تقبلّ توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب  
دعوتي ، وثبت حجتي ، وسدّد لساني ، واهد قلبي ، واسلل سخيمة  
صدري .

اللهم إني أسألك العفو والعافية . رب إني أسألك العافية  
والمعافاة في الدنيا والآخرة .

اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك .

اللهم ما رزقني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب .

اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك،  
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات  
الدنيا؛ ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا،  
واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا  
في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا  
من لا يرحمنا .

اللهم انقضي ما علمتني ، وعلمي ما ينفعني ، وزدني علماً . الحمد  
لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار .  
اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا،  
وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .  
اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني  
حبك .

اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي ومالي وأهلي ، ومن  
الماء البارد .

اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة  
خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي .

اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق

في الرضى والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرّة ، ولا فتنة مضلّة .

اللهم زيناً بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهديين .

اللهم اجعمني أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك وانبع نصحك ، واحفظ وصيتك .

اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق ، والرضى بالقدر .

اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي ، واجعل علانيتي صالحاً .

اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من الأهل والمال والولد غير الضال ولا المضل .

### باب الدعاء عند المنام

اللهم باسمك أموت وأحيا ؛ باسمك ربي وضعت جنبي وبك



أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به  
عبادك الصالحين .

اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت  
أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا  
منجأ منك إلا اليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونيبك الذي أرسلت .  
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي  
له ولا مؤوي .

سبحان الله ( ثلاثاً وثلاثين ) .

الحمد لله ( ثلاثاً وثلاثين ) .

الله أكبر ( أربعاً وثلاثين ) .

اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء ، فالق الحب  
والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذي  
شر أنت آخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر  
فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن  
فليس دونك شيء ؛ اقض عني الدين ، واغنني من الفقر . بسم الله  
وضعت جنبي لله .

اللهم اغفر لي ذنبي ، وأخسى شيطاني ، وقك رهاني ، واجعلني

في الندى الألى .

الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني ، والذي منّ علي فأفضل ، والذي أعطاني فأجزل . الحمد لله على كل حال .  
 اللهم رب كل شيء ومليكه ، وإله كل شيء ، أعوذ بك من النار .  
 اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط عليّ أحد منهم ، وأن يبغى ، عزّ جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت .  
 اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ( ثلاث مرات ) .  
 اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم ، وكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته .

اللهم أنت تكشف المغرم والمائم .

اللهم لا يهزم جنّدك ، ولا يخلف ومدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك . أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ( ثلاث مرات ) ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده

حفظها وهو العلي العظيم<sup>(١)</sup> (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه  
والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين  
أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .  
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت  
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته  
على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر  
لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) <sup>(٢)</sup> .

قل هو الله أحد ... السورة .

قل أعوذ برب الفلق ... السورة .

قل أعوذ برب الناس ... السورة .

(حَمِّ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا

مُنذِرِينَ ... ) <sup>(٣)</sup> السورة .

( الْمَ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... ) <sup>(٤)</sup> السورة .

( تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ... ) <sup>(٥)</sup> السورة

( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة البقرة ، الآيات : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٣) سورة المدخان ، الآيات : ١-٣ (٤) سورة السجدة ، الآيات : ٢٢١ ، ٢٢٢

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠ إلى آخر السورة .

( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون  
 ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم  
 ولي دين ) .

( إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات  
 لأولي الأبواب )<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة .

## الخاتمة وفيها خمسة فصول

### الفصل الأول

في ذكر الله عز وجل

لا يقعد قوم يذكرون الله لإحقتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ،  
 ونزلت عليهم السكينة ، وذكروا الله فيمن عنده .

مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت .  
 إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ؛  
 فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم . قال :  
 فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ... الحديث .

ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في  
 درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٩٠-٢٠٠

تلقوا عدوكم فنضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى قال: ذكر الله.  
طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله .  
قال يا رسول الله ! أي الأعمال أفضل؟ قال : أن تفارق الدنيا  
ولسانك رطب من ذكر الله.

من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن  
اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة .  
ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا  
عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة .  
كل كلام ابن آدم عليه لاله، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر،  
أو ذكر الله .

لا تكثرو الكلام بغير ذكر الله، فان كثرة الكلام بغير ذكر  
قسوة للقلب، وإن أبعده الناس من الله القلب القاسي .  
أي المال تتخذ؟ قال: لساناً ذا كراً، وقلباً شاكراً، وزوجة  
مؤمنة تعينه على إيمانه . لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله .  
أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال :  
الداكرون الله كثيراً والداكرات ... الحديث .  
الشیطان جاثم على قلب ابن آدم، فاذا ذكر الله خنس، وإذا  
غفل وسوس .

ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين .. الحديث .  
ما عمل العبد عملاً أتجى له من عذاب الله من ذكر الله .  
إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي  
شفقاه .

لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله ... الحديث .

## الفصل الثاني

في فضل تلاوة القرآن وفضائل سورة

خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن  
ويتمتع فيه وهو عليه شاق له أجران .

لا حسد إلا على اثنين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاه  
الليل وآتاه النهار . ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آتاه الليل وآتاه النهار .  
المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، والمؤمن الذي  
لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر .

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين .

لا تجملوا بيوتكم مقابر ؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ

فيه سورة البقرة .

اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .

اقرأوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان<sup>(١)</sup>، أو فرقان<sup>(٢)</sup> من طير صواف تحاجان عن أصحابهما . اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة .

يا أبا المنذر : أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت :  
( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) قال : فضرب صدري وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر .

أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ،  
وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته .

من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال .

إني أحب هذه السورة : ( قل هو الله أحد ) ، قال : « إن حبك إياها أدخلك الجنة » .

ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط : ( قل أعوذ برب الفلق ) ( قل أعوذ برب الناس ) .

يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتيق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها .

(١) الغياية : ما أظل الانسان من فوق رأسه ، كالسحابة ونحوه .

(٢) الفرقان : الطائفتان

إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الحراب .  
يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى  
ومسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على  
سائر الكلام كفضل الله على خلقه .

من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر  
أمثالها، لأقول: ألم حرف: ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف .  
من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس والدهاء تاجاً يوم القيامة  
ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم  
بالذي عمل بهذا ؟ .

من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله ، وحرّم حرامه ، أدخله  
الله الجنة ، وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار .  
إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن (يس) ، من قرأ (يس) :  
كتب الله بقراتها قراءة القرآن عشر مرات<sup>(١)</sup> .  
إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ،  
وهي : ( تبارك الذي بيده الملك ) .

( إذا زلزلت ) تعدل نصف القرآن ، و ( قل هو الله أحد )  
تعدل ثلث القرآن ، و ( قل يا أيها الكافرون ) تعدل ربع القرآن .

(١) رواه الترمذي وقال : حديث غريب .



من قرأ كل يوم مائتي مرة : ( قل هو الله أحد ) مُحي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين .

[ كان ] بتموذ رسول الله ﷺ ب ( قل أعوذ برب الفلق ) و ( قل أعوذ برب الناس ) ، ويقول : يا عقبه ! تموذ بهما ، فما تموذ متموذ بمنلهما .  
قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة ،  
وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير .

قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضعف على ذلك إلى ألفي درجة .

إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء . قيل :  
يا رسول الله ! وما جلاؤها؟ قال : « كثرة ذكر الموت ، وتلاوة القرآن » .

في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء .

من قرأ سورة ( آل عمران ) يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل .

افرؤوا سورة ( هود ) يوم الجمعة .

من قرأ سورة ( الكهف ) في يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بين الجمعتين .

من قرأ (يس) ابتغاء وجه الله تعالى غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ،  
فأقرؤها عند موتاكم .

إن لكل شيء سناماً ، وإن سنام القرآن سورة ( البقرة ) .

وإن لكل شيء لباباً ، وإن لباب القرآن المفصل .

لكل شيء عروس ، وعروس القرآن ( الرحمن ) .

[ كان ] بحب هذه السورة : ( سبح اسم ربك الأعلى ) .

« ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ » قالوا :

ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قال : « أما يستطيع أحدكم  
أن يقرأ ( ألهاكم التكاثر ) ؟ »

من قرأ ( قل هو الله أحد ) عشر مرات ، بُني له قصر في الجنة ،

ومن قرأ عشرين مرة بُني له بها قصران في الجنة ، ومن قرأ ثلاثين

مرة بُني له بها ثلاثة قصور في الجنة . فقال عمر بن الخطاب : والله

يا رسول الله ! إذا لنكثرن قصورنا . فقال رسول الله ﷺ : « الله

أوسع من ذلك » .

إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن .

## الفصل الثالث

في فضل التسبيح والتعمير والترهيل والتكبير

أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،  
والله أكبر .

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب  
[إليَّ] مما طلعت عليه الشمس .

من قال : « سبحان الله وبحمده » في يوم مائة مرة حُطَّتْ  
خطاياهُ وإن كانت مثل زبد البحر .

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى  
الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

[أ] يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل من  
جلساته : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة  
تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة ، أو يُحطَّ عنه ألف خطيئة » .

سئل رسول الله ﷺ : أي الكلام أفضل ؟ قال : « ما اصطفى  
الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

لقد قلت بعدك أربع كلمات ( ثلاث مرات ) لو وُزنت بما قلت

منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده . عدد خلقه ، ورضى نفسه ،  
وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد  
وهو على كل شيء قدير في يومه مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ،  
وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من  
الشیطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا  
رجل عمل أكثر منه .

من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة .  
أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله .

أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون ، الذين يحمدون  
الله في السرّاء والضراء .

قال موسى : يا رب اعلمي شيئاً أذكرك به أو أدعوك به فقال :

يا موسى اقل : لا إله إلا الله . فقال : يا رب اكل عبادك يقولون  
هذا ؛ إنما أريد شيئاً تخصني به قال : يا موسى ! لو أن السماوات السبع  
وعامرهن غيري ، والأرضين السبع وضعن في كفة ، ولا إله إلا الله  
في كفة ، لمالت بهن لا إله إلا الله .

التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس

لها حجاب دون الله تخلص إليه .

ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً قط إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر .

إن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأناجيل ، فإنهن مسؤولات مستنطقات ، ولا تغفان فتنسين الرحمة .

قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان رب العالمين ، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . قال : فهو لأولي لبني ، فإلي ؟ فقال : قل : اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني .

إن ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، تساقط ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة .

أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنز الجنة . قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا منجى من الله إلا إليه ، كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر .

لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها اللهم . سبحان الله هي صلاة الخلائق ، والحمد لله كلمة الشكر ، ولا إله

إلا الله كلمة الاخلاص ، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال العبد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله تعالى : أسلم واستسلم .

## الفصل الرابع

### في فضل الاستغفار والتوبة

والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة .  
إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .  
إن العبد إذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه .

من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه .

لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان [على] راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأنى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائم عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ؛ أخطأ من شدة الفرح .

إن عبداً أذنب ذنباً فقال : رب ! أذنبت ذنباً فاغفره . فقال ربه :  
أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي . . .  
الحديث .

قال الله تعالى : يا ابن آدم ! إنك [إن] دعوتني ورجوتني ، غفرت لك  
على ما كان فيك ولا أبالي ، يا ابن آدم ! إنك لو لقيتني بقرب الأرض  
خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لا أتيتك بقربها مغفرة .

قال الله تعالى : من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت  
له ولا أبالي ، ما لم يشرك بي شيئاً .

من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل  
هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

ما أصر من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة .

كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب  
واستغفر ، صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تملو قلبه ، فذلكم الران الذي  
ذكر الله تعالى . ( كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون )<sup>(١)</sup> .

إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغر .

إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٤

أرواحهم في أجسادهم فقال الرب عز وجل : وعزتي وجلالي وارتفاعي [في] مكاني ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) ولا يبالي .  
يقول : رب اغفر لي ، وتب علي ، إنك أنت التواب الغفور  
« مائة مرة » .

من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان قد فرَّ من الزحف .

إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب ! أنى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك .

ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوَّث ، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق ، فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن الله تعالى ليُدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال ، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم .  
طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً .

اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أسأروا استغفروا .

التائب من الذنب كمن لا ذنب له .



## الفصل الخامس

### فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ

من صلّى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشرًا .  
 من صلّى عليّ صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ،  
 وحُطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات .  
 أوّلَى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة .  
 إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني من أمّتي السلام .  
 ما من أحد يستلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام .  
 إني أكره الصلاة عليك ، فكم أجمل لك من صلاتي ؟ فقال :  
 « ما شئت » . قلت : الربع ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير  
 لك » . قلت : النصف ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك »  
 قلت : فالثلثين ؟ قال : « ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك » . قلت :  
 أجمل لك صلاتي كلها ؟ قال : « إذا تُكفَى همك ، وبُكفّر لك  
 ذنبك » .

البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ .  
 من صلّى عليّ عند قبوري ممّته ؛ ومن صلّى عليّ غائباً أبانمته .

من صائى على النبي ﷺ واحدة صائى الله عليه وملائكته  
سبعين صلاة .

ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصابوا على نبيهم  
إلا كان عليهم ترة ، فان شاء عدبهم ، وإن شاء غفر لهم

أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهد الملائكة ؛  
وإن أحداً لم يصل على إلا عرضت على صلته حتى يفرغ منها .

من صائى على محمد ﷺ وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك  
يوم القيامة وجبت له شفاعتي .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين .  
والحمد لله رب العالمين .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
عبادة المشركين للانبياء والصالحين	٢١	الرسالة الاولى - أنواع التوحيد	٣
الجامع لعبادة الله	٢٢	توحيد الربوبية	٣
أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله	٢٣	توحيد الألوهية	٤
أمر الله بالتوحيد ونهيه عن الشرك	٢٥	توحيد الذات والصفات	٥
أقسام المحبة	٢٦	أنواع الشرك	٦
أركان العبادة	٢٧	الشرك الخفي	٧
معرفة الانسان ربه ونفسه	٢٨	كفر الشك والاعراض	٨
الانذار من الشرك	٢٩	النفاق الاعتقادي والمعملي	٩
بغض المشركين وعداوتهم	٣٠	وجوب تعلم ثلاث مسائل	١٠
بطلان قصة الغرانيق	٣١	الكفر بالطاغوت والايمان بالله	١١
النهي عن الاستغفار لابي طالب المهجرة وما فيها من العبر	٣٢	معنى الطاغوت	١٢
قصة الردة بدموت النبي ﷺ	٣٤	الاصول الثلاثة : الرب	١٤
افتراق المرتدين بمد موت النبي	٣٥	الاصل الثاني : الدين	١٥
بعض أنواع المرتدين	٣٦	أركان الاسلام	١٦
نواقض الاسلام	٣٧	الايمان والاحسان	١٧
		معرفة النبي ﷺ	١٨
		قواعد مهمة في الدين	١٩
		عبادة الكفار الاصنام بقصد القرية	٢٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
القدر أصل من أصول الإيمان	٥٦	الاستهزاء بشيء من الدين	٣٨
معنى القضاء في القرآن	٥٧	كفر	
وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله	٥٨	التصديق بأن دعوة غير الله باطلة	٣٩
علو الذات والقدر والقهر	٥٩	الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية	٤٠
معنى استواء الرحمن على العرش نزول جبريل بالوحي من فوق	٦٠	ترك عبادة غير الله مطلقاً	٤١
السموات السبع	٦١	مذهب المسلم الحنيفية السمحة	٤٢
علو الله واستواؤه على العرش	٦٢	شروط الصلاة	٤٣
إثبات الصفات لله تعالى بلا تشبيه ولا تعطيل	٦٣	مبطلات الصلاة وفرائض الوضوء	٤٤
إحاطة علم الله تعالى	٦٤	شروط الوضوء ونواقضه	٤٥
انحراف الجهمية والابتدعة	٦٥	نفي العبادة عما سوى الله	٤٦
أمور لا بد من معرفتها لكل مسلم	٦٦	اعتزال الشرك وأهله والبراءة منها	٤٧
حكم السفر إلى بلدان المشركين للتجارة	٦٧	الإنذار عن الشرك في عبادة الله	٤٨
الرضى بالكفر كفر	٦٨	مقتضى كلمة لا إله إلا الله	٤٩
حكم من أظهر علامات النفاق	٦٩	التوحيد بنفي الشرك والكفر بالباطنات	٥٠
لا تلازم بين إطلاق النفاق ظاهراً وباطناً	٧٠	حب التوحيد والاختلاص	٥١
لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم للمصيبة	٧١	التبرؤ من الشرك وبمن فعله	٥٢
عنوان السعادة	٧٢	بغض الشرك وأهله	٥٣
فساد العبادة بالشرك	٧٣	عدم التكفير قبل وإقامة الحججة	٥٤
		عدم التكفير إلا بعد البيان والإصرار	٥٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
التعبد بتحریم الحلال	٩١	قنال الرسول لمن يعبد غير الله	٧٤
الكفر بآيات الله ووجد بعضها	٩٢	عبادة المشركين للملائكة	٧٥
افتراء الكذب على الله	٩٣	والانبياء	
الزيادة في العبادة والنقصان منها	٩٤	عبادتهم للاشجار والاحجار	٧٦
إتخاذ قبور الانبياء والصالحين	٩٥	معنى الرب - معرفة الله بآياته	٧٧
مساجد		ومخلوقاته	
الافتخار والتعير	٩٦	الإيمان بالله والكفر بالطاغوت	٧٨
الكفر بالكتب والرسل	٩٧	الفرق بين توحيد الربوبية	٧٩
الإيمان ببعض المنزل دون بعض	٩٨	وتوحيد الالهية	
الرسالة الثالثة - كشف	٩٩	أصول الإيمان والاحسان	٨٠
الشبهات لشيخ الاسلام :		دليل موت الرسول ﷺ	٨١
محمد عبد الوهاب		والبعث بعد الموت	
التوحيد دين الرسل جميعاً	٩٩	الرسالة الثانية - مسائل	٨٣
التقرب والاعتقاد محض حق الله	١٠٠	الجاهلية لشيخ الاسلام :	
التوحيد الذي دعت اليه الرسل	١٠١	محمد بن عبد الوهاب	
المراد من كلمة لا إله إلا الله	١٠٢	عبادة أهل الجاهلية غير الله	٨٣
الفرح بفضل الله ورحمته	١٠٣	التفرق في الدين	٨٤
القلبة لجند الله	١٠٤	مخالفة ولي الامر	٨٥
الرد على أهل الباطل	١٠٥	الاعتزاز بالكثرة ولو على باطل	٨٦
تفصيل الرد على أهل الباطل	١٠٦	الاستدلال على بطلان الشيء	٨٧
النهي عن عبادة الاصنام	١٠٧	باتباع الضمفاء له	
والاشخاص		التلو في العلماء والصالحين	٨٨
كفر من قصد الاصنام	١٠٨	تحريف كتاب الله	٨٩
والاشخاص بالعبادة		معاداة الدين الذي اتسبوا اليه	٩٠

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لا يضل ولا يشقى من قرأ القرآن وعمل به	١٢٨	إخلاص العبادة لله	١٠٩
الرسائل وسائط بين الله وعباده لتبليغ أوامره	١٢٩	معنى الشفاعة	١١٠
لا واسطة بين الله وبين عباده في جلب المنافع ودفع المضار	١٣٠	تحريم الانجاء الى الصالحين	١١١
الملائكة والانباء لا يملكون كشف الضر	١٣١	معنى الشرك بالله وعبادة الاصنام	١١٢
اتخاذ الملائكة والنبين أرباباً كفر	١٣٢	شرك الاولين وأهل زماننا	١١٣
العلماء وسائط بين الرسول وأمة لتبليغ الاسلام فقط	١٣٣	الكفر بيمض القرآن والسنة كفر بها جميعاً	١١٥
تشبيه أنبياء الله بمجئبات الملك كفر	١٣٤	كفر من جحد التوحيد	١١٦
الوسائط بين الملوك والناس على ثلاثه أوجه	١٣٥	كفر من وضع شخصاً في مرتبة الله	١١٧
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله له ما يدعى من دون الله لا يملك كشف الضر	١٣٦	كفر المستهزىء بآيات الله	١١٨
نفي الشفاعة والدعاء للمشركين الاعتداء في الدعاء	١٣٧	كفر من اتخذ مع الله أنداداً	١١٩
مشروعية دعاء الأعلى للأدنى وبالعكس	١٤١	كفر من جحد التوحيد	١٢٠
		قتل من تبين كفره والكف عن أظهر الاسلام	١٢١
		الاستغاثة بغير الله شرك	١٢٢
		الاستغاثة بالاحياء بالاموات	١٢٣
		التوحيد يكون بالقلب واللسان والعمل	١٢٤
		لا عذر في إظهار الكفر إلا للمكروه	١٢٥
		كفر من آثر الدنيا على الآخرة	١٢٦
		الرسالة الرابعة - الواسطة	١٢٧
		لشيخ الاسلام ابن تيمية	
		معنى الواسطة بين الله وبين عباده	١٢٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٢	طلب الرسول الدعاء من أمته	١٦١	صفة المؤمنين
١٤٣	انتفاع الداعي والمدعوله بالدعاء	١٦٢	حرمة موادة من حاد الله ورسوله
١٤٤	النعمة الحقيقية نعمة الدين	١٦٣	حرمة مساعدة الظالمين
١٤٥	اتخاذ الاحبار والرهبان من دون الله كفر	١٦٤	الولاية : هي الحب في الله والبغض في الله
١٤٦	التوحيد: رجاء الله والتوكل عليه	١٦٥	المراء مع من أحب
١٤٧	تحقيق التوحيد: خشية الله وحده	١٦٦	التحذير من موالة أعداء الله
١٤٨	لا تنكر الأسباب التي خلقها الله تعالى	١٦٧	ماقال السلف في موالة الكافرين
١٤٩	في الاسباب أمور ثلاثة	١٦٨	كراهة عمر تولية الكافر
١٥١	الرسالة الخامسة : هدية طيبة	١٦٩	مماداة أهل البدع والضلال
١٥٢	للشيخ محمد بن عبد الوهاب لا إله إلا الله نفي الألوهية عما سواه	١٧٠	النهي عن المداهنة للمشركين
١٥٣	كفر من ترك توحيد الألوهية	١٧١	النهي عن التشبه بالكفار والتزبي بزيمهم
١٥٤	الاستغاثة بغير الله شرك	١٧٢	النهي عن السكبي مع الكفرة في ديارهم
١٥٥	التمسك بأصل الدين والكفر بالطواغيت	١٧٣	الكلام على أسرى بدر
١٥٦	حرمة الاستغاثة بغير الله	١٧٤	حرمة الدفاع عن الكفار لقصد الدنيا
١٥٨	الرسالة السادسة: أوثق عرى الايمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب	١٧٥	موالاة الكفار كفر
١٥٩	النهي عن موالاة الكافرين	١٧٦	بفض الكفار لله ومماذاتهم لله
١٦٠	النهي عن اتخاذ الكفار بطانة	١٧٧	من شك في كفر الكفار فهو كافر
		١٧٨	هجر من تخلف عن غزوة تبوك
		١٧٩	الرسالة السابعة — جواب أبي بطين

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
وجوب بفض من كفر بالله	١٩٩	تعريف العبادة	١٧٩
فضل كلمة لا إله إلا الله	٢٠٠	صرف العبادة لغير الله تعالى	١٨٠
معنى الآلة لغة	٢٠١	شرك	
لوازم الآلة	٢٠٢	تعريف العبادة عند الفقهاء	١٨١
حكمة مشروعية الجهاد في سبيل الله	٢٠٣	أركان العبادة	١٨٢
ما يعصم به دم الانسان وماله	٢٠٤	الفرق بين العبادة والتوحيد	١٨٣
التوحيد نطق واعتقاد وعمل	٢٠٥	عبادة غير الله تعالى شرك	١٨٤
الاعتبار بالظواهر	٢٠٦	الإخلاص وحقيقته	١٨٥
هل يلزم الرجل اتباع مذهب معين أم لا ؟	٢٠٧	إخلاص النية لله تعالى	١٨٦
أنواع الاتباع والافتداء	٢٠٨	الصدق والإخلاص ركنا توحيد العبادة	١٨٧
اتخاذ الكفار أحبارهم أرباباً من دون الله	٢٠٩	تعريف الآلة لغة وشرعاً	١٨٨
الزجاج في أقوال الأئمة عند معارضة الحق	٢١٠	المراد بالاله والالوهية	١٨٩
اختلاف العلماء في تقليد الأئمة	٢١١	توارث الأنبياء كلمة لا إله إلا الله	١٩٠
نهي الأئمة عن تقليد غيرهم	٢١٢	حقائق الأشياء لا تغير بتغير أسمائها	١٩١
الغلو في التقليد	٢١٣	اشتقاق كلمة الطاغوت	١٩٢
أقوال الأئمة في ذم التقليد	٢١٤	الفرق بين الجبوت والطاغوت	١٩٣
الرسالة التاسعة - في مقادير فيء الزوال	٢١٧	الطاغوت يشمل كل معبود	١٩٤
ظل الزوال بعد المائة والأربعين يوماً من النيروز	٢١٧	الرسالة الثامنة: أسباب نجاة السؤل من السيف المسلول	١٩٥
		لا إله إلا الله كلمة الاسلام	١٩٦
		البراءة من كل معبود سوى الله	١٩٧
		عدم صحة اسلام أبي طالب	١٩٨



الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تفسير التوحيد	٢٣٤	الرسالة العاشرة - كتاب	٢١٩
ما يعصم الانسان به نفسه	٢٣٥	التوحيد الذي هو حق الله	
تعليق التائب شرك	٢٣٦	على العبيد	
ما جاء في الرقي واتائم	٢٣٧	حق الله على العباد وحق العباد	٢٢٠
التبرك بالحجر أو الشجر	٢٣٩	على الله	
ضلال		كل ما عبد من دون الله فهو	٢٢١
الشرك شركان	٢٤١	طاغوت	
باب ما جاء في الذبح لغير الله	٢٤٢	فضل التوحيد	٢٢٢
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه	٢٤٥	سعة فضل الله وكثرة ثوابه	٢٢٣
لغير الله		فضل لا إله إلا الله ورجحانها	٢٢٤
النذر لغير الله شرك	٢٤٦	في الميزان	
الاستعاذة بغير الله شرك	٢٤٧	من حقق التوحيد دخل الجنة	٢٢٥
الاستغاثة بغير الله شرك	٢٤٨	بغير حساب	
دعاء غير الله شرك	٢٤٩	صفات من يدخل الجنة بغير	٢٢٦
سبب نزول قوله تعالى: (ليس	٢٥٠	حساب	
لك من الأمر شيء)		الرخصة في الرقية من العين	٢٢٧
انذاره ﷺ لأقاربه	٢٥١	الخوف من الشرك	٢٢٨
القنوت في النوازل	٢٥٢	الرياء من الشرك الأصغر	٢٢٩
صفة الوحي	٢٥٣	الدعوة الى شهادة أن لا إله إلا	٢٣٠
الحجة على إبطال الشرك	٢٥٤	الله	
كذب السحرة والكهان	٢٥٥	الدعوة الى الله والاحلاص فيها	٢٣١
باب الشفاعة	٢٥٦	البداة بالائم فالائم	٢٣٢
حقيقة الشفاعة	٢٥٧	الدعوة الى الاسلام بالحكمة	٢٣٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
فضيلة التوكل على الله	٢٨٧	سبب نزول قوله تعالى: (إنك	٢٥٨
من الايمان بالله الصبر على قدر	٢٨٩	لا تهدي من أحببت)	
الله		سبب الشرك الفلوي في الصالحين	٢٦٠
ما جاء في الرياء	٢٩٠	أول شرك حدث على وجه	٢٦١
من الشرك لإرادة الانسان	٢٩٢	الأرض	
بعمله الدنيا		التغليظ على من عبد الله عند قبر	٢٦٣
التحذير من التحاكم الى	٢٩٤	رجل صالح	
الطاغوت		لعن الله من اتخذ قبور الأنبياء	٢٦٤
حكم من جحد شيئاً من الأسماء	٢٩٦	مساجد	
والصفات		أول من بنى على القبور المساجد	٢٦٥
معنى الانداد	٢٩٩	النهي عن الفلوي قبور الصالحين	٢٦٦
الزجر عن قول: ما شاء الله	٣٠١	باب ما جاء أن بعض هذه	٢٦٩
وشئت		الامة يعبد الاوثان	
الجزء بآيات الله ورسوله كفر	٣٠٥	البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية	٢٧١
تحريم التسمي بكل اسم معبد	٣٠٩	باب ما جاء في السحر	٢٧٢
لغير الله		باب بيان نهي من أنواع السحر	٢٧٤
لا يقال: السلام على الله	٣١١	باب ما جاء في الكهان ونحوهم	٢٧٥
ما جاء في منكري القدر	٣١٧	باب ما جاء في النشرة	٢٧٧
ما جاء في ذم كثرة الحلف	٣٢١	باب ما جاء في التنجيم	٢٨٠
ما جاء في قوله تعالى: (وما	٣٢٧	باب ما جاء في الاستسقاء	٢٨١
قدروا الله حق قدره)		بالأنواء	
الرسالة الحادية عشرة - حكم	٣٣١	توعد من قدم شيئاً على حب	٢٨٣
موالاة أهل الشرك		الله ورسوله	
ما يرضي الله ويسخطه	٣٣٥	علامة المؤمن خوفه من الله	٢٨٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ضعف المسلمين سببه التشبه بالكفار	٣٩٣	النهي عن مجالسة المستهزئين	٣٣٧
وجوب معاداة المشركين ومناذرتهم	٤٠١	النهي عن الركون الى الظلمة	٣٤١
ما يصير به المسلم مرتدأ	٤٠٣	حكم من أكره على الكفر	٣٤٢
الاستهزاء بآيات الله كفر	٤٠٨	إحباط عمل المرتدين	٣٤٩
جحود شيء من القرآن كفر	٤١٠	استحلال موالاة أعداء الله	٣٥٣
كراهة المشركين لاقامة دين الاسلام	٤١١	ورسوله كفر	
كفر من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله	٤١٣	الرسالة الثانية عشرة - بيان النجاة والفساك من موالاة الموتدين وأهل الاشرار	٣٥٥
كفر من أنكر صحبة الصديق	٤١٥	جمع الشيخ محمد بن عتيق	
أحوال موافقة المشركين	٤١٧	وجوب معاداة الكفار والمشركين	٣٦٣
مخالفة طوائف الكفار لإظهار الدين	٤٢٠	موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين	٣٦١
قصة خالد بن الوليد مع مجاعة من هم المستضعفون	٤٢٣	سبب نزول سورة الممتحنة	٣٧٢
وجوب الهجرة من دار الكفر	٤٢٧	لن يرضى الكافر عن المسلم ما لم يترك دينه	٣٧٥
حكم السفر الى بلاد الكفار لأجل التجارة	٤٢٩	ما ورد من النهي عن اتباع سبيل الذين لا يؤمنون	٣٠٩
يحرم الجلوس بين المشركين على من قدر على الهجرة	٤٣٠	ترك التشبه بالكفار في الافعال الظاهرة	٣٨٥
الرسالة الثالثة عشرة - بيان المحجة في الرد على اللجة	٤٣٥	النهي عن التشبه بأعياد الجاهلية	٣٩١
للشيخ عبد الرحمن بن حسن			
ابن محمد بن عبد الوهاب			

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لا يعلم الغيب الا الله	٤٨٥	الكلام على بعض آيات البردة	٤٣٧
الكلام على مفاتيح الغيب	٤٨٩	نهي الرسول ﷺ عن الاطراء	٤٣٩
كلام أبي حيان في النزخشري وتفسيره	٤٩١	النهي عن اتخاذا الاحبار والرهبان ارباباً من دون الله	٤٤٣
أول من فارق الجماعة في عهد الصحابة	٤٩٣	التحريم والتحليل لله تعالى وحده	٣٤٤
ظهور البدع بمد القرون الثلاثة المفضلة	٤٩٥	اخلاص الدعاء لله وحده	٤٤٨
ما ورد في فضل الشام واليمن وذم العراق	٤٩٩	الدعاء هو العبادة	٤٤٩
معنى الصمد في سورة الاخلاص	٥٠٥	المعلم بالكليات والجزئيات لله وحده	٤٥٢
مشروعية طلب الدعاء من الاحياء في الاستسقاء	٥١٣	الشفاعة التي نفاها القرآن	٤٥٧
التمسح بالقبور بدعة	٥١٥	التوسل بدعاء الرسول وغيره	٤٦١
كيف نشأت عبادة الاصنام	٥١٩	الامور المبتدعة عند القبور	٤٦٣
النهي عن إيقاد السرج وبناء المساجد على القبور	٥٣٥	سؤال غير الله تعالى هضم للبووية	٤٦٧
أسعد الناس بالشفاعة أهل التوحيد	٥٣٧	حديث لا أصل له	٤٦٩
لا يشفع أحد الا بمشيئة الله	٥٤١	شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة باذن الله	٤٧١
الرسالة الرابعة عشرة - العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية	٥٤٣	الاستغاثة بالموتى شرك	٤٧٣
دعوة الانبياء الى العبادة	٥٤٥	لا يكشف الضر الا الله	٤٧٥
		حقيقة التوحيد عبادة الله وحده	٤٧٨
		الامر بسؤال الله والاستعانة به	٤٧٩
		بعض الاحوال الشيطانية	٤٨١
		التوكل على الله جماع الايمان	٤٨٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
اسلام الكائنات لله طوعاً وكرهاً	٦٠٥	وجوب تقديم محبة الله والرسول على كل شيء	٥٤٩
الفرق بين الخلة والحب	٦٠٩	الفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية	٥٥٣
خطأ الفلاسفة في تعريف اللذة	٦١١	الكلام على القضاء والقدر	٥٥٥
لا يفعل الحب ما يفض المحبوب	٦٠٤	الكلام على حديث احتجاج آدم وموسى	٥٥٧
مدار الثواب على صحة النية	٦١٨	كفر من اعتقد بالحلول	٥٦١
ثمررة الاخلاص تظهر بتذوق حلاوة الطاعة	٦٢٣	الانسان مخير في أفعاله	٥٦٤
الفناء ثلاثة أنواع	٦٢٨	الامر والنهي لا يسقطان حتى الموت	٥٦٥
الانبياء والصحابة لم يقمروا في الوله والفناء	٦٢٩	ما خالف الكتاب والسنة ضلال	٥٦٨
اخلاص العبادة لله بمحو عبادة ما سواه	٦٣٣	التوكل مقرون بالعبادة	٥٧١
بطلان الذكر بالاسم المفرد والمضمر	٦٣٥	تنوع دلالة الاسم حال الافراد والاقتران	٥٧٥
تفسير ما ورد من لفظ الاسم في الآيات	٦٣٩	نعت من اصطفى الله بالعبودية حرية القلب وعبوديته	٥٨١
جماع الدين أصلان	٦٤٥	سبب تزكية النفوس وتطهيرها	٥٨٩
الرسالة اغمسة عشرة -	٦٤٩	علامة محبة الله	٥٩٢
الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لشيخ		لا تنال المحبوبات الا باحتمال المكروهات	٥٩٥
الاسلام ابن تيمية		حقيقة العبودية	٥٩٧
صفات أولياء الله تعالى	٦٥٣	من استكبر عن عبادة الله عبد غير الله	٥٩٩
معنى الولاية والولي	٦٥٥		٦٠١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المجتهد مأجور على كل حال	٧٠٤	ضلال اليهود والنصارى	٦٥٨
لم تكتب العصمة لعمر بن الخطاب على ما كان عليه من فضل	٧٠٧	ومشركي مكة	
فضل أبي بكر على عمر	٧٠٨	لا يصح في عدد الابدال حديث الخوارج من الفئة المارقة	٦٦٢
مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث	٧٠٩	بطلان حديث التواجد	٦٦٤
طاعة الأنبياء واجبة بخلاف طاعة الاولياء	٧١٠	التماس رضاء الله من غير طريق الرسول كفر	٦٦٧
كل قول لا يشهدله كتاب أو سنة فهو باطل	٧١٣	أربع من أمر الجاهلية	٦٧١
عموم رسالة محمد ﷺ	٧١٥	أولياء الله على طبقتين	٦٧٣
ليست الخوارق دليلاً على الولاية	٧١٧	صفة الأبرار وأصحاب اليمين	٦٧٧
أوصاف أولياء الرحمن	٧٢١	أمة محمد ﷺ فيها الظالم والمقتصد والسابق	٦٨١
دين الأنبياء جميعاً هو الاسلام	٧٢٤	لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد	٦٨٣
الأنبياء أفضل من الأولياء	٧٢٥	تفاضل الناس في ولاية الله بحسب أعمالهم	٦٨٥
محمد ﷺ - يدولد آدم	٧٢٩	الايمان المجمل والايمان المفصل	٦٨٧
اعتقاد بمض الصوفية مذهب الفلاسفة الفاسد	٧٣١	المجنون لا يكون ولياً لله تعالى	٦٩١
تحليل متأخري الفلاسفة من المسلمين	٧٣٣	ليس للأولياء زي يتميزون به التحقيق في اسم الصوفية	٦٩٤
بطلان حديث العقل	٧٣٥	جهاد الكفار من أعظم الأعمال	٦٩٨
مفهوم العقل عند المسلمين وعند الفلاسفة	٧٣٧	النهي عن التنطع في الدين	٧٠١
		العصمة للأنبياء وليست للأولياء	٧٠٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مافله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى	٧٧٤	وصف جبريل عليه السلام في القرآن والسنة	٧٤٠
الارادة الدينية ومانخص به المراد بالقضاء الديني	٧٧٦	ضلال الملاحدة والمتفلسفة في إنكار أصول الايمان	٧٤١
الكلمات الكونية تشمل الخلق جميعاً	٧٨٣	إنكارهم للحقائق الواردة في القرآن	٧٤٢
مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	٧٨٤	اعتقادهم الخيالات الشيطانية حقائق	٧٤٣
معجزات الرسول ﷺ	٧٨٨	ادعاء الاتحاديين أن القرآن شرك	٧٤٨
كرامات الصحابة رضوان الله عليهم	٧٨٩	ادعاءؤم أن وحدة الوجود غاية التحقيق	٧٥٣
كرامات التابعين	٧٩٤	بيان أن المخلوق غير الخالق	٧٥٦
الكلام على ابن صياد	٧٩٧	معية الله بالعلم والنصر لبالذات	٧٥٧
الشياطين تطلع أتباعها على بعض المفنيات	٧٩٩	ليس كمثل الله شيء	٧٥٨
من تعاطى المحرمات لا تظهر على يديه الكرامات	٨٠٢	أعظم الذنب أن يجعل لله نداً وقد خلقك	٧٦٠
بعض ما يخدع به الشيطان أولياءه	٨٠٤	الأمر بختم الاعمال الصالحة بالاستغفار	٧٦٢
الناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام	٨١٠	ضلال من يقول : إن الذنوب لا تضر صاحبها	٧٦٥
حال الصحابة عند قراءة القرآن والذكر	٨١٢	موقف المؤمنين والمعصاة والكافرين من المصائب	٧٦٩
السماع المحدث المذموم	٨١٤	الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل	٧٧٢

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الدعاء بعد صلاة الصبح والمغرب	٨٤٥	٨١٨ مبنى الكرامات على الايمان والتقوى	
الدعاء عند الصباح والمساء	٨٤٦	٨٢٠ عموم رسالة محمد ﷺ إلى الثقلين	
الدعاء عند الاكل والشرب	٨٥٣	٨٢٣ اجتماع الرسول ﷺ بالجن	
الدعاء بعد تكبيرة الاحرام	٨٥٥	٨٢٤ اتصال الانس بالجن محمود ومذموم	
الدعاء في الركوع والسجود	٨٥٦	٨٢٩ الرسالة السادسة عشرة - الحزب المقبول من احاديث الرسول للشيوخ أبي سعيد محمد بن فيض الانصاري	
الدعاء والذكر بعد الصلاة	٨٥٨	٨٢٩ فضل الدعاء	
دعاء التوبة	٨٧٧	٨٣١ آداب الدعاء	
اسم الله الأعظم وأسمائه الحسنى	٨٧٨	٨٣٥ أوقات قبول الدعاء	
باب الاستعاذة	٨٧٩	٨٣٧ الدعاء عند القيام من النوم	
ما يعمود به المسلم من الدعاء	٨٨٠	٨٤٠ الدعاء عند افتتاح صلاة الليل	
باب جامع الدعاء	٨٨١	٨٤٢ إجابة المؤذن	
الدعاء عند النوم	٨٨٥	٨٤٣ الدعاء بعد ركعتي الفجر	
فضل ذكر الله تعالى	٨٨٨	٨٤٤ الدعاء عند الخروج من البيت	
فضل تلاوة القرآن وفضائل سورة	٨٩٠		
فضل التسبيح والتحميد	٨٩٥		
والتهليل والتكبير			
فضل الاستغفار والتوبة	٨٩٨		
٩٠١ فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ			



## تصويبات

الصفحة	السطر	اغطاً	الصواب
٦	٧	الدين	الدين
٨	٦	أظنّ	أظنّ*
٩	١٢	نقص حاشية رقم (٣) وهي موجودة في الصفحة التي تليها	
١٢	١٣	لم	ألم
١٦	٧	ليل	دليل
٢٠	٩	هؤلاً	هؤلاً
٢٣	١٤	شره	شره
٢٥	١٤	يشاء	يشاء
٢٦	٢	ربّ	ربّ
٢٧	٥	الردّ	الردّ
٤٦	٣	دعى	دعا
٤٨	٧	إذا أنذر	إذا أنذر
٥٣	٩	براء	براء
١٠٤	١٦	تبيانا	تبيانا
١٩٠	٧	وإنه	وأنه



الصفحة	السطر	اخطأ	الصواب
١٩٦	٨	به	بها
١٩٩	٨	واعترضهم	واعترضوهم
٢٥٠	١٢	مالا تملكون	ما يملكون
٢٥٢	٣	من الأمر من شيء	من الأمر شيء
٢٧٩	١٧	القرنية	القرينة
٢٨٤	٣	إلا الله	ألا الله
٤٥١	٢	وأن	وإن
٤٦٠	١٣	إلى إلى	إلى
٤٧٩	١٠	يتناولوا	يتناول
٤٩٣	٩	ستفترق	ستفترق
٥٥٠	٤	بعضنا أرباباً	بعضنا بعضاً أرباباً
٥٧٧	٨	وقولوا سديداً	وقولوا قولاً سديداً





بعض منشورات

# المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

دمشق - الحلبي

س . ب . : ٨٠٠ - هاتف : ١١٦٣٧ - برقية : ( اسلامي )

بتحقيق الألباني	مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي
السيد محمد انظر حسين	دراسات في العربية وتاريخها
محمد بهجة البيطار	حياة شيخ الاسلام ابن تيمية
للألومي	مادل عليه القرآن
لابن حمدان	صفة الفتوى والمفتي والمستفتي
للألباني	صفة صلاة النبي ﷺ
لابن تيمية	حقيقة الصيام
لابن قدامة	مختصر منهاج الفاصدين
للتبريزي	شرح مقصورة ابن دريد
بتحقيق الألباني والشاويش	ماجلة علمية حول صلاة الرغائب المبتدعة











Library of



Princeton University.

